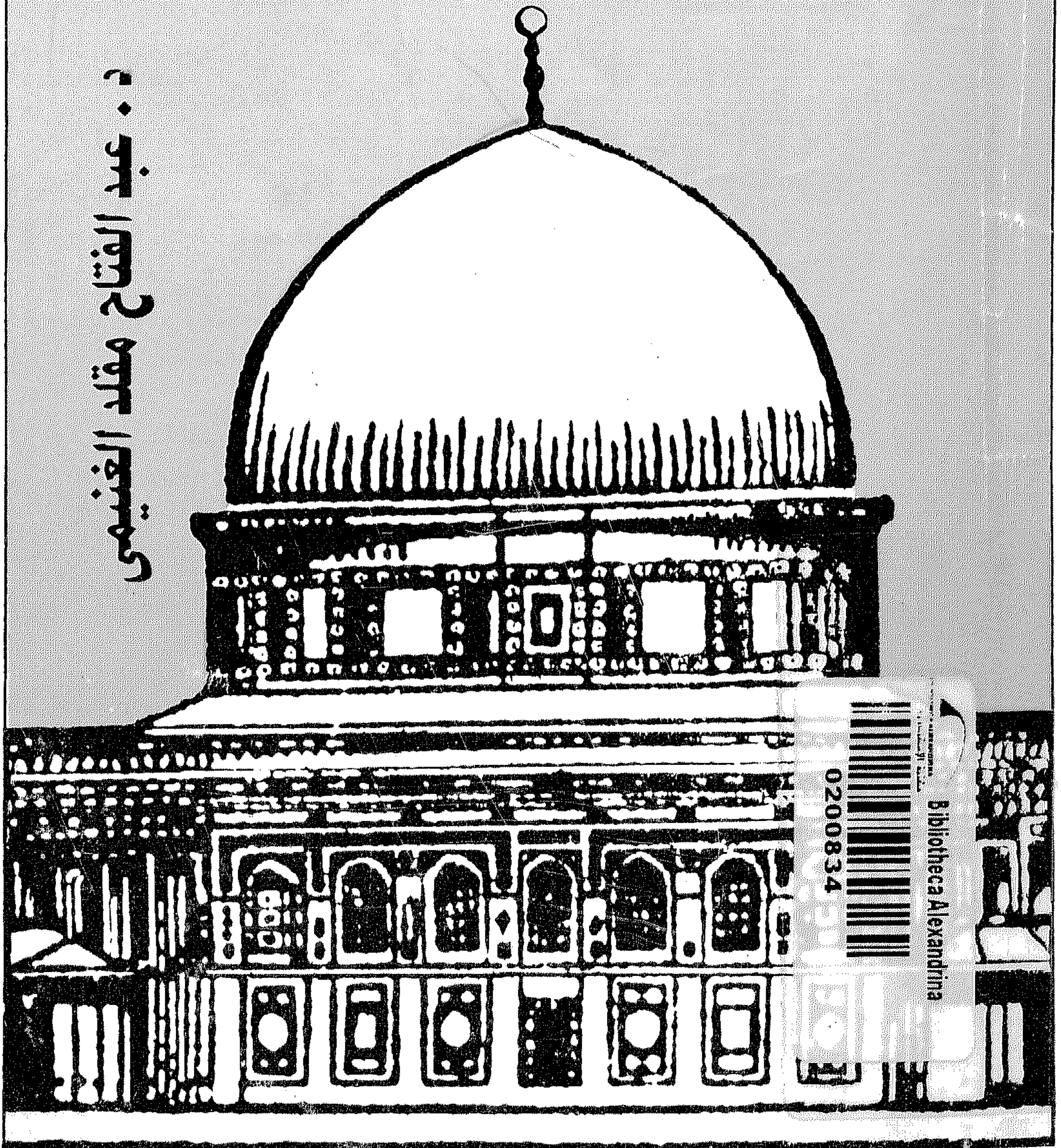


المكتبة التاريخية

هل لإسرائيل حق تاريخي في فلسطين؟

إميليا عبد الحفيظ



هل لإسرائيل حق تاريخي في فلسطين ؟

د . عبد الفتاح مقلد الغنيمي

٢٠٠٠



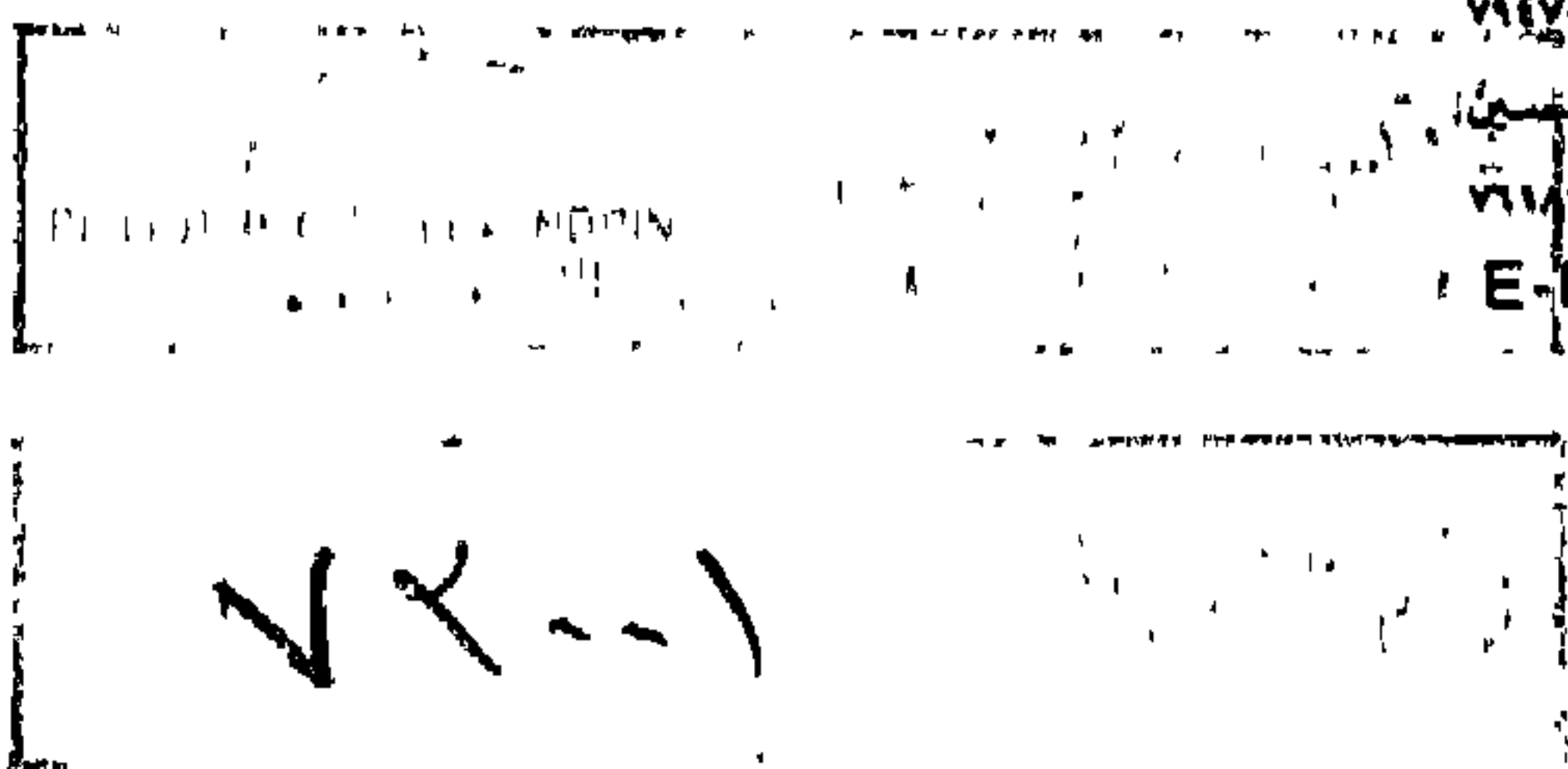
٦٠ شارع البصر المعيني (١١٤٥١) القاهرة

تليفون: ٧٩٥١٥٢٩ - ٧٩٢١٩٤٣ فاكس: ٧٩٤٧٥٦٦

٤٢ ميدان البصرة شارع مجلة من شهاب - المهندسين

تليفون: ٧٩٢١٤٥١ فاكس: ٧٩١٣٨١

E-Mail: alarabi5@intouch.com



جميع الحقوق محفوظة للناشر

العربي للنشر والتوزيع

٦٠ شارع القصر العيني (١١٤٥١) - القاهرة

ت: ٧٩٥٤٥٢٩ - ت: ٧٩٢١٩٤٠

فاكس: ٧٩٤٧٥٦٦

٤٢ ميدان البصرة - نهاية شارع دجلة - المهندسين

تليفاكس: ٧٤٩٢١٤٥

E - Mail : alarabi 5@intouch.com

الطبعة الأولى

٢٠٠٠

هل لاسرائيل حق تاريخي في فلسطين؟

المؤلف: د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي

الغلاف للفنان: مصطفى رمزي

عدد الصفحات: ٢٠٦ صفحة

الاهتمام

إلى كل الذين يدافعون عن الحق العربي الاسلامي

في فلسطين

كي يعود الوجه عربياً اسلامياً كما كان قبل عام ١٩٤٨

تاريخ قيام الدولة المقتضية للحق التاريخي العربي في فلسطين

لهم هذه الدراسة

د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التمهيد

رغم توقيع اتفاقيات السلام بين الكيان الاسرائيلي وبعض الدول العربية مثل مصر والاردن
لمحة التحرير الفلسطينية منذ عام ١٩٧٩م عندما تم توقيع اتفاقيات السلام بين مصر واسرائيل
كامب ديفيد (معسكر داود) بالولايات المتحدة بحضور الرئيس جيمي كارتر والرئيس محمد
السادات ومناحم بيجن الا ان الصراع العربي الاسرائيلي سوف يظل على مدى سنوات بعيدة
ما قد يظل الى قرن أو عدة قرون لاسيما انه قد مضى ما يقرب من عشرين عاما على توقيع
قيات السلام بين مصر واسرائيل ولا زالت عملية السلام لم تصل الى نهايتها ولا زالت مرتفعات
بالان منذ ٥ يونيو ١٩٦٧ تخضع للسيادة والاحتلال الاسرائيلي اضافة إلى تعسر عمليات السلام
الفلسطينين واسرائيل وهذا يضع بعدا كبيرا للوصول للسلام الحقيقي لاسيما ان هناك بعض
الراديكاليه مثل العراق وليبيا وايران لن تعترف باسرائيل مهما كانت نتائج السلام ذلك لأن
سراع العربي الاسرائيلي ليس شأنه شأن الصراعات الكثيرة في العالم المعاصر ، وذلك لأن
سراع ليس صدام مسلح بين قوتين أو طرفين ولكن صراع بين فكرة صهيونية استيطانية احلاليه
ت ان تحل شعب ليس له ادنى حقوق تاريخية او سياسية أو حضارية على حساب اصحاب
ض الاصلين الذين تعمل السياسة الاسرائيلية على اقتلاعهم من جذورهم وارضهم ومساكنهم
يخهم وحضارتهم والمثل واضح كل الوضوح مع السكان العرب الفلسطينيين الذين عاشوا داخل
ن فلسطينية المحتله قبل عام ١٩٤٨م الذين يقدر عددهم بحوالى مليون نسمة وفق احصائيات
١٩ فإنهم معرضون للذوبان في الهوية والشخصية الاسرائيلية رغم ان فترة السيطرة الاسرائيلية
صل بعد الى خمسين عاما (١٩٤٨-١٩٩٨م) فما بالنال لو طال أمد هذا الاحتلال واصبح الكيان
سراييلي شرعياً ومعترفاً به من كل بلدان العالم العربي والاسلامي بل له الكلمة العليا والقيادة
ياسية بما وصل إليه من تطور علمي وصناعي وتكنولوجي يجعله في مقدمة الدول المتقدمة على
توى العالم وليس منطقة الشرق الاوسط او الشرق العربي .

ان الصراع العربى الاسرائيلى يجمع بين عناصر المشكلة العديد من المشاكل التى حدثت فى العالم المعاصر ذلك لأن الذين استولوا على الدولة الفلسطينية والحكم يدعون بحكم يهوديتهم انهم شعب الله المختار وانهم بهذه الهوية اصحاب الارض والحق التاريخى دون غيرهم اما الطرف الفلسطينى الذى عاش فى فلسطين الالف السنين (سبعة الالف سنة) خمسة الالف سنة قبل الميلاد عندما دخل الكنعانيون هذه الاراضى فى العصر البرونزى منذ (٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد) فبأنه فى نظر اسرائيل التى تمتلك القوة والتأييد الغربى الاوربى الأمريكى فإنه غريب عن الارض وليس له أى سند تاريخى او حضارى او دينى أو ثقافى اذ انه تحت قوة السلاح اجبر على مفارقة أرضه ودياره والحياة خارج موطنه كمجموعة من اللاجئين .

ومن هنا فإن هذه الدراسة التى نضعها بين يدى القارئ الكريم بعيداً عن النطاق السياسى والعسكرى لكى نفحص فى اعماق التاريخ لكى نضع قضية فلسطين فى ضوء المشاهد التاريخية وعلى تطور هذه السيرة التاريخية على هدى التاريخ وعلى تطور الوجود العربى على هدى الرسائل السماوية لكى ندرك فى نهاية هذه الدراسة ولكى تكون النهاية من هو صاحب الحق تاريخياً هل هم العرب الفلسطينيون الكنعانيون الاراميون والتدميرين والفلسطينيين واليبوسيين ام هم الصهيونيون اليهود الذين تستروا تحت ستار الدين لاحتلال فلسطين لاسيما انه لا توجد ادى صلة بين يهود التوراة الذين عاشوا فى عهود داود او سليمان وقبله دخول فلسطين فى عهد يشوع وما تلا ذلك من احداث بل منذ دخول ابراهيم الخليل ابو الانبياء وعودته من مصر الى فلسطين ثم دخول يعقوب (اسرائيل) وابناؤه الاسباط الاثنى عشر والخروج مرة ثانية والتهيه فى صحراء سيناء ونقول ان الوجود الاسرائيلى فى فلسطين ليس له ادى سند شرعى تاريخياً او دينياً فى القول بوطنهم فلسطين أو الوطن المقدس أو ارض الميعاد ذلك لأن الشعب الفلسطينى الكنعانى هو صاحب البنية السياسية والحضارية والتاريخية على مدى عدة قرون قبل قدوم تلك القبائل البدوية . وانه لاصله بين التاريخ اليهودى القديم وابناء اليهودية الذين اغتصبوا فلسطين والذين جاوا قبل ظهور

الصابرا الذى ولد فى فلسطين بعد عام ١٩٤٨م قد جاءوا من اربع وسبعين دولة ويتحدثون اربع وسبعين لغة ومن مختلف السلالات والاجناس والقوميات والبلدان والانثربولوجيات .

ومن هنا فإن الصراع العربى الاسرائيلى فى جوهره سوف يطول لاماد طويلة لاسيما ان فكرة الصهيونية تريد استيطان الارض العربية وما يحدث حالياً فى عهد رئاسة بنيامين نيتانيا هو للحكم فى اسرائيل منذ ١٩٩٦ - ٢٠٠٠م) وتم هزيمة نيتانياهوى فى انتخابات مايو ١٩٩٩م وفوز باراك رئيس حزب العمل على هذا الصهيونى المتعصب ، يعطى الدليل القوى على التوسع فى الاستيطان وسط السكان العرب فى فلسطين .

ان الصراع العربى الاسرائيلى قد كان فى فترة سابقة قبل ١٩٧٩م صراعاً استعمارياً عسكرياً سياسياً ، لكنه فى فترة قادمة سوف يكون صراعاً علمياً تكنولوجياً لأن المستقبل القادم لاصحاب العقول ، لاسيما ان صراع الحضارات كما جاء فى مقال صموئيل هانتجتون الذى نشره فى يوليو ١٩٩٣م فى مجلة (قرون افبرز) التى تصدرها جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الامريكية ثم صدر فى كتاب بنفس الاسم عام ١٩٩٦م قد اشار الى حتمية الصراع الحضارى بين الثقافات المختلفة فى انحاء العالم ومن هنا قد يأخذ الصراع العربى والاسرائيلى بجانب الصراع التكنولوجى العلمى النفسى صراعاً حضارياً لقرون قادمة لكن العالم العربى فى مختلف اقطاره له صلات ثقافية وحضارية وتاريخية بعيدة الجنور قد يكتب لها الغلبة اذ احسنت الاحتفاظ بالمقومات الدينية والحضارية والثقافية والتقاليد والمبادئ والاخلاق فى ظل العولة التى تقودها الولايات المتحدة الامريكية وبول الغرب بعد انهيار المعسكر الاشتراكى عام ١٩٨٩م وانهيار الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م ، ومن هنا فإن الصهيونية العالمية والحركات الدينية اليهودية المتشددة داخل اسرائيل وفى الولايات المتحدة الامريكية لابد ان تعمل ما فى وسعها العمل على تحقيق اهدافها مهما طال الصراع ومن هنا فإن الجبهة العربية لابد ان تضع فى حساباتها ان الصراع طويل وممتد وليس توقيع اتفاقيات السلام يعنى علاقة صداقة وتعاون بل وتضامن إن لم يكن تحالف مثل التحالف بين تركيا واسرائيل واشتراك الاردن فى ذلك ان هناك بعض الاقلام المصرية والعربية والتى تريد ان

تحتل موقعاً متقدماً في المسيرة الإعلامية قد عملت على القيام بالتضليل السياسى ان لم يكن التضليل الإعلامى أو محاولة تخريب الذاكرة العربية والمصرية التى ترفض التطبيع مع الكيان الصهيونى رغم مضى ما يقرب من عشرين عاماً على توقيع اتفاقية السلام المصرية الاسرائيلية ١٩٧٩ - مارس ١٩٩٨م ، والتى نجدها تقول فى احدى المقالات على صفحات جريدة الأهرام بالحرف الواحد (أن النزاع العسكرى بين العرب واسرائيل قد انتهى وينتهى باسترداد الارض المحتلة مثلما حدث بين مصر واسرائيل بعودة سيناء كاملة وإبرام معاهدة السلام مع اسرائيل وليس من مصلحة أى وطنى مصرى حقيقى هكذا يقول صاحب التضليل السياسى ، أو من مصلحة الوطن تجاهل هذه الحقائق الدامغة للاستسلام لاسرائيل ، وإثارة صراعات بين العرب واسرائيل تعيد اجواء الستينات (اجواء الكرامة والعزه واستقلال الارادة وحرية اتخاذ القرار) والتى أدت إلى حروب ثلاث كلفت مصر احتلال سيناء مرتين دام الاحتلال الاسرائيلى بها نحو خمسة عشر عاماً وماذا تعنى خمسة عشر عاماً لقد احتل الهكسوس مصر ما يقرب من قرنين ونصف (١٧١٠-١٤٨٠ ق.م) وكذلك الاحتلال الصليبي لبلاد الشام دام اكثر من قرنين (١٠٩٥-١٢٩١م) .

أن الضعفاء والمستسلمين هم الذين يخضعون للواقع ويتعاملون معه ويتقبلونه كإحدى المسلمات الحياتية التى يجب التعامل معها من منطلق القوة والسيطرة ، لكن الشعوب الحية هى التى دائماً لا تقبل الخضوع والإستسلام فالتاريخ المصرى والعربى ملئ بالتضحيات والبطولات التى قاومت القوى الاستعمارية عبر التاريخ الطويل لكى تحقق لشعوبها حياة القوة والكرامة وحرية اتخاذ القرار لمصلحة شعبها وإن نقول إلا كما قال الشيخ احمد ياسين زعيم منظمة حماس الفلسطينية الاسلامية فى احدى لقاءاته انه يقبل قيام الدولة الفلسطينية على الضفة الغربية وغزه وانه يقبل قيام دولة فلسطينية على هذه البقعة من الديار الفلسطينية وانه يترك للأجيال القادمة ممارسة دورها فى تكملة بناء الدولة الفلسطينية من النهر الى البحر (نهر الاردن الى البحر الابيض المتوسط) وهكذا لن تنوم اسرائيل (راجع كتاب اسرائيل الى زوال للمؤلف صدر عام ١٩٩٦م) .

وبناء عليه يدعوا صاحب المقال الى التعاون العربى الاسرائيلى لاسيما بعد أن تغير شكل

العلاقة بين مصر واسرائيل كما تغير جوهرها لقد كان الاتصال باسرائيل قبل المعاهدة اتصال بعدو ، لكنه بعد معاهدة السلام لم تعد العلاقة علاقة عداء وإنما علاقة لدولة بيننا وبينها معاهدة ، ويقول ان السياحة الاسرائيلية مصدراً من مصادر الدخل (ماذا يصرف اليهود فى السياحة انهم يهود) واصبح لقاء رئيس الدولة ووزرائه الاسرائيليين على المستوى الرسمى والشعبى امراً معتاداً تذيعه الصحف كل يوم ، بل اصبح ظهور الزوار الاسرائيليين فى التلفزيون المصرى واحاديثهم فى الصحف المصرية من الامور العادية واصبحت المؤتمرات التى يشترك فيها مصريون واسرائيليون من الامور التى يقرؤها الناس .

فماذا نقول للذين يناصرون التضليل السياسى والإعلامى للسيطرة على العقول وتخدير ابناء الشعب العربى والمصرى بصفة خاصة والذي قدم اكثر من مائة الف شهيد خلال الصراع العربى الاسرائيلى انه مثل الذى يطالب بالاحتفال بمرور مائتى عام ١٧٩٨-١٩٩٨م على مجيئ الحملة الفرنسية على مصر تحت ستار التنوير وهل ما قامت به الحملة الفرنسية من اعمال بربرية وهدم واحراق البلاد ودخول الخيل الأزهر والطريقة التى تم بها اعدام سليمان الحلبي قاتل كليبر قائد الحملة الفرنسية بعد بونابرت علامة حضارية أم بربرية .

ان الجبرتى فى كتابه يتحدث عن القرى والاقاليم المصرية وكفاح الشعب المصرى ويقول عن قريتى الغنايم الواقعة فى صعيد مصر (ان ديزيه قائد الحملة الفرنسية على مصر اصدر امره باحراق الغنايم وذلك لاسراف اهلها فى المقاومة).

ولن نقول للمضلل التاريخى هل لاسرائيل والعبرانيين واليهود واليهودية حق تاريخى فى فلسطين ام لا ؟ ان الذين يطالعون هذه الدراسة يدركون ان الحق التاريخى والدينى والحضارى والثقافى لاهل العربىة الفلسطينيين الكنعانيين الذين عاشوا فى فلسطين منذ خمسة الاف سنة قبل الميلاد (فهل ننكر مثل هذه الحقيقة ايضاً فى ذكرى مرور خمسين عاماً فى ١٥ مايو ١٩٩٨ على قيام اسرائيل كنولة عدوانية غاصبة للحق العربى والتاريخى الفلسطينى حيث كان قيامها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ يمثل صورة صارخة للاغتصاب وذلك بمشاركة الدول الكبرى (الولايات المتحدة الامريكية

والاتحاد السوفيتي سابقا والدول الغربية الاوربية التي ساندت هذا الاغتصاب واعطت من لا حق له
حقا في الاحتلال والاحلال والابادة اجد نفسى مدفوعاً بعوامل داخلية نفسية تختلج في داخلى
حيث الافراح تقام في اسرائيل بهذه المناسبة وحيث الغضب والوجوم يسود الشارع العربى
والاسلامى لتلك الصورة المعكوسة المقلوبة حيث من المفروض ان تكون الافراح في الشارع العربى
والاسلامى مباركاً لقيام الدولة العربية الاسلامية الفلسطينية على الضفة الغربية « قطاع غزة توطئه
لمرحلة قادمة يسود فيها الحق والعدل باسترداد كل الوطن الفلسطينى من النهر الى البحر ولكن
مكذا تكون الاحوال فالاقدار وحق الشعوب العربية في ايدى حكامها الذين يقررون دون سواهم
كيف يكون الطريق لاعادة الحق السليب لاصحابه الشرعيين اهل فلسطينى بدلاً من السير فى اوهام
الصهيونية او تزيف التاريخ بعيدا عن التواطؤ الامريكى الاسرائيلى الذى اعطى الاسرائيليين ارضا
في فلسطين على حساب الحق التاريخى للعرب الفلسطينين الكنعانيين الذين سكنوا الديار منذ
خمسة الاف سنة قبل الميلاد وليسوا قادمين من كل اقطار المعمورة لتكون اسرائيل دولة احتلاليه
احلاليه استيطانيه .

*

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل في قرآنه الكريم وبستور البشرية القويم (وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدوا في الارض مرتين ولتعلن علواً كبيراً) والصلاة والسلام على النبي العربي القرشي الهاشمي محمد بن عبد الله خاتم الانبياء والمرسلين القائل في حديثه الصحيح [لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا (المسجد النبوي)] صلاة دائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . اما بعد

فتلك هي دراسة بعنوان (هل لليهود حق تاريخي في فلسطين) نضعها أمام القارئ العربي الكريم أولاً لكي يدرك تمام الادراك كيف أن هؤلاء القوم الذين اغتصبوا ارض فلسطين منذ مؤتمر بال في سويسرا عام ١٨٩٧م وذلك تحت ستار فكرة صهيونية استعمارية استيطانية احتلالية على حساب الحق العربي الفلسطيني الذي يسكن هذه الديار العربية ارضاً ولحماً ودماً وبشراً وحضارة وثقافة وتاريخ وعقيدة منذ خمسة الاف سنة وكيف أن هناك عمليات خداع وتضليل للعقل والفكر العربي باعتبار أن توقيع معاهدات السلام بين الدول العربية واسرائيل يعطى لها حقاً شرعياً لكي تكون عضواً بين اعضاء الاسر العربية ، بل صديقاً مفضلاً ومرغوباً فيه وذلك نسياناً لحركة التاريخ الطويل الممتد في اعماق الحركة اليومية منذ أن وطئت اقدام الشعوب العربية السامية ذلك الجزء من بلاد الشام في الجنوب الغربي للقارة الآسيوية حيث ارض فلسطين وطن الكنعانيين اليوسفيين وليس وطن الاسرائيليين الفاضبين في العصور القديمة من اصحابها الشرعيين (دخول ابراهيم ارض كنعان ١٨٠٥ ق.م وخروج يعقوب وابناؤه منها عام ١٧٠٠ ق.م وعودة موسى وقومه عام ١٢٢٤ ق.م والتيه في صحراء سيناء اربعين عام وكيف دخل يشوع الى قرى الاراضي العربية الفلسطينية الكنعانية اليوسفيه مستخدماً اقصى انواع القسوة والفظائع ثم كيف انهارت الحركة الاسرائيلية وتفكك بنو اسرائيل عشائر وقبائل يحكم كل منها قاضي مما استدعى تسمية هذا العهد بعهد القضاة أي رؤساء القبائل ثم كيف عمل القاضي (الكاهن) هيمونيل الثاني

على اختيار شاول ليكون ملكاً على بني اسرائيل الذين لم يكونوا مسيطرين إلا على مساحات قليلة في الهضبة الوسطى القاحلة في فلسطين ثم كيف دار الصراع بين شاول وداود وتولى داود وابنه سليمان حكم فلسطين اغتصاباً للأراضي العربية منذ (١٠٠٠-٩٢٧ ق.م) ثم كيف انهارت الوحدة وانقسم الاسرائيليون الى مملكتين وكيف تعرضت البلاد للغزو الاشوري والبابلي والمغولي والفارسي اليوناني والافريقي والروماني واخيراً جاءت الموجة العربية لكي نعيد الوجه العربي الاسلامي في ظل الاسلام والعروبة وجهاً عربياً حضارياً دام منذ عام ٦٣٦ هـ الى ١٩٤٨ م حتى استطاعت القوى الصهيونية الاستعمارية الاوربية الغربية ان تسلب اصحاب الحق الشرعي ارضهم ووطنهم وتاريخهم وحضاراتهم وثقافتهم لكي تحل شعباً دخيلاً جاء من شتى انحاء العالم ليكون وطناً قومياً اسرائيلياً بعد وعد بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧ م وهكذا يطالع القارئ الكريم على صفحات هذه الدراسة بقصولها الاثني عشر كيف أن اسرائيل غاضبة بالقوة للحق العربي الفلسطيني الذي يمتد الى خمسة الاف سنة قبل الميلاد .

وكان الفصل الأول في هذه الدراسة عن انه ليس لليهود حق تاريخي في فلسطين وذلك لأن هؤلاء الاسرائيليون الذين يسكنون فلسطين حالياً ليس لهم ادنى صلة بيهود التوراة أو بني اسرائيل السابقين لموسى الذي نزلت عليه الالواح وكذلك العبرانيين الذين قدموا الى فلسطين في عهد حكم الكنعانيين وزمن ابراهيم عليه السلام وكيف أن احفاد كل هؤلاء قد ذابوا في البلاد التي سكنوا فيها واختلطوا بشعوبها في العقيدة الفارسية الزرادشيه الفلسطينية أو في عبادة آله آشور وبابل بل آله الفلسطينيين والسوريين أنفسهم وأن بقايا اليهودية في العالم لم تكن إلا نتيجة الدعوة لليهودية التي قام بها دعاة يهوديين بين صفوف ابناء هذه البلاد ومن ثم فإن اليهود الذين قدموا الى فلسطين في العصر الحديث منذ مؤتمر بال في سويسرا عام ١٨٩٧ إنما كانت في شعوب من بين ابناء هذه البلاد ولكن عقيدتهم هي اليهودية .

لاسيما أن البحث الانثربولوجي قد اثبت أن اليهود استطاعوا خلال تاريخهم الطويل أن يحملوا قدراً كبيراً من الدماء الأجنبية سواء في اوربا أو آسيا أو افريقيا بل دماء الهنود الحمر في امريكا بقاراتها الثلاث وغيرها من الدماء في شتى انحاء العالم .

ثم جاء الفصل الثاني برأس موضوع هو سكان فلسطين منذ اقدم العصور حتى قدوم العبرانيين وكيف أن الكنعانيين اليبوسيين ظهروا في فلسطين في الالف الخامسة قبل الميلاد وانهم

هاجروا من الجزيرة العربية وهى هنا فإن « فلسطين كما يعرفها التاريخ كانت اهلها بالكنعانيين الذين كانت دولتهم منذ حوالى اربعة الاف سنة » وانهم اقاموا حضارة كنعانية تمتد من غزه جنوباً الى راشي شمرا شمالاً فإن اليبوسيين العرب اقاموا حضارة كنعانية منذ حوالى ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد وكانت اللغة الاصلية السائدة هى اللغة الكنعانية كذلك سكن الى الشمال منهم الفلسطينين والاراميون وغيرهم من الشعوب العربية التى مارست دورها ونفوذها الحضارى والاجتماعى والثقافى والسياسى فى تلك المنطقة من غرب القارة الآسيوية كما اثبتت ذلك الحفائر الاثرية والمكتشفات التى تكمل الصورة العربية كموجة سامية منذ ثلاثة الاف عام قبل الميلاد لاسيما أن الاراميون والفلسطينيون العرب استطاعوا منذ القرن الخامس قبل الميلاد أن ينتزعوا السيادة البحرية والتجارية فى تلك المنطقة (الفنيقيون) .

بل أن هناك بعض الآراء تذكر أن العبرانيين وصلوا إلى الاردن واستقروا فى الواحات التى تقع شرقى البحر الميت حوالى ١٤٠٠ ق.م فى حين كان العرب الكنعانيون ٢٧٠٠ ق.م أى قبل حوالى ١٥٠٠ سنة كان الكنعانيون سكان فلسطين قد اقاموا حكمهم ونشروا حضارتهم وظهرت على مسرح الحياة السياسية دولة الكنعانيين التى اقتتل حولها المصريون مع الآشوريين مع الحيثيون والميتانيون.

ثم كان الفصل الثالث برأس موضوع ظهور العبرانيين على مسرح الأحداث وكيف أن ابراهيم وقومه عبروا النهر الى ارض كنعان وكيف استقر بهم السير البطىء عند فلسطين وكفرباء بين سكان كنعان المستقرين حيث اقام خيامه البدوية فى وادى الاردن ثم هاجروا الى مصر ثم عادوا الى حبرون من مصر فى عهد الملك (امرافيل) الذى ربما يكون حمورابى وانه ظل يتجول فى ارض كنعان غربياً عنها وانه كان يقيم خيامه فى مكان لا يتجاوز كيلو متر مربعاً ثم توسع فى المرعى وفى اراضى ملكاً للكنعانيين بين بيت ايل وعاتى وكان يقول انا غريب ونزيل عندكم وليس من سكان البلاد الاصليين الكنعانيين وكان ابراهيم قد قدم ومعه ابن اخيه لوط وقومه البالغ عددهم ٢١٨ فرداً . وكيف استقروا غرباً فى كنعان وكان فى ارض كنعان الى جوار اهلها الكنعانيون اليبوسيون .

ثم جاء الفصل الرابع وهو عن نزوح يعقوب بن اسحق (اسرائيل) وابناؤه الاسباط الاثنى عشر ووصولهم الى مصر بعد أن كان يعقوب قد تزوج اربع زوجات جاء منهم الاثنى عشر سبطاً

بما فيهم يوسف وكيف أن قصة يوسف معروفة في القرآن الكريم وكيف جاء يعقوب وعشيرته من ابناؤه وزوجاتهم وابنائهم وبناتهم وبناته وازواجهم وابنائهم الى مصر في عام ١٧٠٠ ق.م أو ١٧٢٠ ق.م وكيف استقروا في مصر حوالي اربعة اجيال قيل أنها مائتين وخمسة عشر عاماً ٢١٥ وقيل انها اربعمائة وثلاثين عاماً (٤٣٠) وكان الخروج في عهد موسى بن عمران بن قهات بن لاوى وكان لاوى هذا هو من الاثنى عشر سبطا الذين هم ابناء يعقوب وكيف أن الرأي الأرجح هو مائتى وخمسة عشر عاماً وليس ٤٣٠ لأن عمر الجيل يكون اكثر من مائة سنة وكيف اقام يعقوب وابناؤه في بئر سبع وكيف انهم نزحوا بسبب القحط في فلسطين إلى مصر وفي مصر تكاثروا في ظل حكم الهكسوس للبلاد وكيف تواطؤ مع الأعداء الهكسوس ضد شعب مصر مما دفع فراعنة مصر بالعمل على التخلص منهم .

وكان الفصل الخامس في هذه الدراسة والبحث برأس موضوع خروج الاسرائيليين من مصر وكيف أن تاريخ الخروج في عهد موسى بن عمران لم يتم الاتفاق عليه بين المؤرخين فبعضهم يرجع انه كان عام ١٢٨٠ ق.م والبعض الآخر يرى أنه عام ١٢٢٤ ق.م لكننا نأخذ بالرأى الثانى وهو عام ١٢٢٤ حيث أنه اقرب لفترة حكم الملك مرنبتاح الذى اتفق معظم المؤرخين أن الخروج كان في عهده لأن فترة حكمه امتدت ما بين اعوام ١٢٢٤ - ١٢٢٥ ق.م . وكيف أن مصر رأت خطر الاسرائيلين في وجودهم بها بعد حرب الاستقلال التى قادها سقن رع ثم ابناؤه من بعده كاموسى ، أح موسى ، والتى انتهت بطرد الهكسوس حيث هرب موسى وقومه من وجه فرعون مصر وحاول موسى أن يقود بنى اسرائيل إلى ارض كنعان وكيف انهم عاشوا قبل الخروج في منطقة جوشن بالقرب من بلدة فاقوس بمحافظة الشرقية .

وكيف تسجل التوراة بعد أن نجى الله بنى اسرائيل وفتح لهم طريقاً في البحر ويفجر لهم ينابيع وينزل لهم المن والسلوى وكيف أن هؤلاء القوم عبدوا الالهة الاسطورية وخاصة الاله (يهوه) الاله الزلازل وكيف تاهوا في صحراء سيناء اربعين عاماً وكيف انهم كانوا قادمين من مصر بلا وطن ليحتلوا اراضى فلسطين ويطردوا شعوب عربية كانت تسكنها وهم اهل البلاد الاصليين من الكنعانيين ومن اقام معهم من القبائل العربية المختلفة التى شاركتهم المعيشة في هذه البلاد في ظل السيادة والحكم بين ملوك عديدين من العرب والذين قاوموا الاسرائيليين عند دخولهم فلسطين .

ثم كان الفصل السادس عن بنى اسرائيل والصراع مع العرب الكنعانيين من أجل احتلال فلسطين . وذلك لأنه لم يكن لبنى اسرائيل العبرانيين أرضاً يستقرون فيها وكانت تجاورهم أرض الكنعانيين ذات الحضارة والثقافة والرخاء والإزدهار العمراني والحضاري والأراضي الزراعية الواسعة والمحاصيل الوفيرة في حين كانت أقامتهم في سيناء أرض جرباء لا زرع ولا حضارة ولا مياه فكان أن قرب بنى اسرائيل على الهلاك جوعاً وكيف قاد يشوع بن نون الذي خلف موسى النبي عشائر بنى اسرائيل الى دخول فلسطين جنب هذا الجموع الجائعة التي تهاجم المدن المسورة ذات الحضارة حيث قتل العبرانيون من الكنعانيين اقوام كثيراً كما تقول التوراة وسبوا من نسائهم واطفالهم وجرت دماء القتلى انهاراً لاسيما في اريحا والمدن الكبرى وكان بنى اسرائيل اخلاطاً من عصابات جامحة في ظل الاحتياج والبؤس والشقاء يقاتلون اصحاب البلاد الذين كانوا يعانون الانقسام والانحيار والفوضى مما ساعد عصابات (الخابيرو) على احتلال بعض الاراضي في الهضبة الوسطى من الضفة الغربية في فلسطين وذلك على حساب اهل البلاد الكنعانيين .

وكيف أن التوراة تقول أن يشوع اقام مذابح عديدة ، ولم يكونوا في ظل فترة سيطرة يشوع إلا قبائل بدوية تحاول أن تعيش ولكن كانت معيشتهم نون وحدة سياسية أو سيطرة وذلك لأن بقية اراضي فلسطين الشمالية الساحلية بل الداخلية حيث القدس (يبوس) كانت لا تزال في أيدي سكانها الاصليين الكنعانيين ولم تكن هذه الشعوب إلا جماعات متفرقة تعيش في ظل رؤساء القبائل (القضاة) وكل قبيلة كانت تعيش وسط سكان البلاد الاصليين . وهكذا ذاق بنو اسرائيل لأول مرة طعم التمدين ولم تعرف اسرائيل شكل الحكم الملكي أو عهداً وانما خضعوا لحكم القضاة حيث كان الشعب يجتمع تحت رؤساء وشيوخ القبائل (عصر القضاة) .

وكان ان قدم الفلسطينيون وتصارعوا معهم وساد فلسطين قتال بين الكنعانيين والفلسطينيين العرب وبين الدخلاء الاسرائيليين الذين خضعوا لنفوذ الفلسطينيين السياسى القوي حتى طلب الاسرائيليون من كبير قضاتهم (صموئيل الثانى) أن يكون لهم ملكاً اسرة كغيرهم من الشعوب العربية التي تسكن فلسطين . فكان أن اختار لهم الملك شاول ، حيث كانوا متنازعين فيما بينهم مستذلين من شعوب فلسطين وسكانها وظلت فلسطين أرض كنعان موضع شد وجذب حتى كان العام ١٠٠٠ ق.م عندما تولى داود الحكم .

وهكذا جاء الدور على الفصل السابع ليكون عن مملكة داود وابنه سليمان واحتلال اراضي الكنعانيين وهي أول كيان سياسى اسرائيلى على حساب اصحاب البلاد الاصليين وكيف أن الصراع الذى قام بين الكنعانيين والعبرانيين بنى اسرائيل فى اعقاب خروج بنى اسرائيل من مصر وضلالتهم فى صحراء سيناء فإننا نجد أن الصراع قد استمر قرابة مائتى وخمس وسبعين عاماً (٢٧٦ عام) استبسل فيها الكنعانيون فى الدفاع عن بلادهم إلى حدان اهل البلاد قاتلوا (شاؤول) حتى استطاع داود أن يقيم ملكاً عام ١٠٠٠ قبل الميلاد رغم الأعمال الوحشية التى اباها بنى اسرائيل لا نفسهم لاسيما اثناء احتلال القدس (يبوس) من اصحابها الشرعيين وما قام به داود من وحشية فى السيطرة على المناطق التى كانت لاتزال فى ايدى الكنعانيين والفلسطينيين وكان داود قد سيطر على بنى اسرائيل عام ١٠٠٧ وظل طوال سبع سنوات يقاتل شعوب فلسطين وهزم اليبوسيين والفلسطينيين ووسع اسرائيل التى امتدت من دان فى الشمال الى بئر سبع فى الجنوب وهكذا اخضع العمالة فى الجنوب والكنعانيون فى فلسطين وجعل ييوس قاعدة للكه واخضع الالومين فى وادى الملح وهكذا لم يتحقق النجاح لبنى اسرائيل إلا فى عهد داود وكان داود يحكم أولاً بصفته نائب للفلسطينيين والذى يطالع صلب الدراسة فى هذا الفصل بالذات يجد تفاصيل كثيرة عن قصة الصراع فى هذه البلاد الكنعانية مهما تكن اعمال داود فى السيطرة على اجزاء من فلسطين وليس كل فلسطين ثم جاء سليمان بن داود ليحكم بعد أبيه عام ٩٦٠ ق.م ليحكم حتى عام ٩٢٧ ق.م ويأخذ علي عاتقه بناء الهيكل فى مدينة اورشليم وقد ساعده على الاستقرار فى الحكم الصراع بين مصر وأشور الى الحد الذى دفعه لأن يتزوج أميرة مصرية وقد كانت فترة حكم سليمان سبباً فى دخول اليهودية بعض البلاد المجاورة ومنها اليمن حيث ذهب دعاة اليهودية الى البلاد المجاورة وكيف تأثر اليهود بالكنعانيين ودخل بعض الكنعانيين اليهودية .

ثم كان الفصل الثامن عن انقسام المملكة الاسرائيلية وبداية الانهيار وقد دام حكم سليمان ثلاثة وثلاثين عاماً أو كما تقول بعض الآراء خمس وثلاثين عاماً ثم انقسم الاسرائيليون على أنفسهم وقامت اثر ذلك دولتان احدهما فى مدينة نابلس باسم اسرائيل والثانية فى مدينة القدس باسم دولة يهودا ولم يكن نفوذ هاتين الدولتين إلا هاتيت المدينتين وما جاورهما من قرى صغيرة ولكن نشب نزاع بين الدولتين ذكرته التوراه وقد استمرت الدولة الشمالية تخضع للاضطرابات حتى سقوطها عام ٧٢٢

على ايدى الاشوريين وكذلك ظلت المملكة الجنوبية (يهودا) قائمة منذ عام ٩٢٧ ق.م الى عام ٥٨٦ ق.م تاريخ سقوط الدولة البابلية على ايدى فارس وقد كان هذا الانقسام سبباً فى تدهور الحالة الاسرائيلية فى هاتين الولايتين لاسيما أن الفجوة اتسعت فيه الدولتين وعمل يربعام YEROBEAM على قطع اسرائيل نهائياً عن يهوديا التى تقع فى الجزء الجنوبى واستطاع ان يمنع شعبه من الحج إلى اورشليم نهائياً وبنى معبداً جديداً فى بولته يحج إليه اليهود وكان داود قد بنى معبده فى اورشليم وقد كان بها معبد لليوبسين الكنعانيين وخطر ان اسرائيل أن تدفع الجزية لنولة آشور فى عام ٧٢٢ ق.م أى رفض هوشع ملك اسرائيل دفع الجزية وكان امبراطور آشور وهو سرجون الثانى فحاصر السامرة ثم اخطرن الى التسليم وكانت هذه نهاية مملكة اسرائيل .

اما مملكة يهوذا فقد ظلت فترة اطول وتوالى ملوك يهودية تسعة عشر ملكا وكان آخرهم الملك صدقيا (٥٩٧ - ٥٨٦ ق.م) وكان يدفع الجزية لينؤخذ نصر حتى اعوام ٥٨٦ ق.م ثم حدث التنافس بين مصر وبابل على اشداه ولكن البابليون كانوا قساة فهدموا المدن العامة واقتادوا نحو خمسين الف سبياً جدد الى بابل عام ٥٨٦ ق.م .

وهكذا انتهت هاتين المملكتين واخبار هذه الفترة من تاريخ بنى اسرائيل مدونه فى اسفار الملوك والايام وتفاصيلها كثيرة وكما رأينا تركزت اسباب الفساد فى الدولتين على الزوج من الاجنبيات .

ثم كان الفصل التاسع عن بنو اسرائيل فى ظل الحكم الفارسى والرومانى وبداية هذه الفترة عندما دخل الامبراطور الفارسى كورش بابل عام ٥٣٨ ق.م وقد عمل على عودة اليهود الى موطنهم لأنهم اصدقاء الفرس واتخذ منهم مستشاريه واعوانه ثم ان وجودهم فى فلسطين يؤمن طريقه إلى مصر ويهيئ له مساعدين ولربالجا سوسبه وهكذا كانت ظروف عودتهم الى فلسطين .

ثم عادت مجموعة أخرى عام (٤٦٥ - ٤٤٢ ق.م) ثم عادت مجموعتان اخريان وقد ساعد ذلك على تطور حياة الاسرائيليين فى اورشليم واستقر الحال على هذا المنوال حتى جاء عام ٣٣٣ ق.م عندما التقى جيش الاسكندر الاكبر وجيش دار الثالث (٣٣٦ - ٣٣٠ ق.م) وهزم الاسكندر الفرس ودخلت فلسطين فى ايدى اليونانيين خضعت فلسطين بعد الاسكندر فى يد الدولة السلوقيه السورية فترة زمنية قصيرة لأنه عام ٣١٢ ق.م طمع البطالمة فى مصر فى مد حدود دولتهم شمالاً وتم

الاستيلاء على فلسطين وظلت كذلك نحو قرن من الزمان وهكذا أصبح اليهود المخلطون تحت حكم مصر وهاجر كثيرون منهم إليها وكانت الاسكندرية مركز اليهودية وبها عدد اكبر من اليهود لكن في عام ٢٧٥ تقصص ملك البطالمة وجلوا عن فلسطين يستولى عليها السلوقيون السوريون وفي عهد الملك السلوقي (انتيوخس الرابع) ١٧٥ - ١٦٤ ق.م هجم على مصر ودار قتال بينه وبين البطالمة وكان هذا الملك متعصباً للهليينيه فقام جماعة من اليهود المرتدين يفرض الثقافة الهليينيه على المملكة اليهوديه لأن الدولة اليهودية كانت مذبذبة بين الجانبين وظلت يهودا قائمة إلى أن جاء الرومان عندما جاء انطونيوس الى الشرق (٤٠-٣٦ ق.م) اعفى الأسيرة المكابيه وحل محلها أسرة هيرود وكان اليهود يطمحون في تحرير ارضهم ومن هنا كانت الثورات مستمرة وفي عام ٢٦م كان الوالى القيصري بيلاطس PILATUS قد رأى أن اليهود لم يكفوا عن الشغب ورأى أن يعمل على محو اليهودية واحلال الوثنية الرومانيه مكانها ثم نهب الهيكل واصدر قانوناً بحرمان المجلس التشريعى من حق التشريع كما اصدر قانوناً يعمل به بالقبض على كل من يعمل فى الخفاء ضد روما وتسليمه الى روما لمحاكمته وكان هذا القانون يشبه قانون الطوارئ فى العصر الحديث وانتقم اليهود بعضهم من بعض وقد قبض على السيد المسيح بهذه التهمة وقدم للمحاكمة وقد شهد العصر الرومانى عدة ثورات يهوديه حتى تم اعلان المسيحية ديناً رسمياً للدولة الرومانية وكان عام ٧٠ ميلادية هو نهاية اليهودية للأبد فى فلسطين ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك وكانت المذبحة التى ذهب فيها نحو مليون يهودى ثم ما تلا ذلك من مذابح .

ثم جاء الفصل العاشر وهو بعنوان عروبة فلسطين منذ اربعة الاف سنة قبل الميلاد والمقصود بهذا الفصل هو الرد القاطع على كل ادعاء بشأن فلسطين لاسيما أن الفصول الثمانية السابقة من الفصل الثانى حتى الفصل التاسع كانت تتحدث عن ظهور العبرانيين منذ عام ١٨٠٠ ق.م فى عهد ابراهيم عليه السلام حتى عام ٧٠ ميلادية عندما تمت اباداة اليهود نهائياً فى فلسطين وحرمانهم من دخول القدس حيث كان الغرض فى هذا الفصل عن الشعوب التى سكنت هذه الاراضى منذ العصر البرونزى حوالى خمسة الاف سنة قبل الميلاد مروراً بالقبائل المختلفة من كنعانيين وارانين وفنيقيين ويبوسين وغيرهم من الشعوب التى تقطع بالدليل القاطع عروبة فلسطين وان العبرانيين والاسرائيلين واليهود لم يكونوا اصحاب البلد الاصليين بل كانوا سكان مفتصبين

للحقوق من أصحابها سواء اقاموا الدولة في عهد داود وسليمان عليهما السلام ثم من بعدهما دولة اسرائيل ويهوذا وما تم عبر العصور المختلفة وصولاً الى الفصل الأخير في هذه الدراسة وهو .

الفصل الحادى عشر وهو برأس موضوع فلسطين في ظل الإسلام وكان لابد من الإشارة الى هذا الفصل بإيجاز حيث أنه تكملة للفصول السابقة ذلك لأن الوجه العربى الذى غطى فلسطين منذ اربعة الاف سنة كان لابد أن يعود بصورة عربية اسلامية ليصبح البلاد بالصيغة العربية الإسلامية بعد أن كانت عربية فقط فى الماضى وكيف قام عرب الجزيرة العربية بتحرير اخوانهم عرب الشام ومن بينها فلسطين من نيران الاستعمار الرومانى لكى يعود الوجه العربى بصورة واضحة فى شتى المجالات لاسيما ان بطريرك القدس قد طلب من الخليفة الثانى الراشد عمر بن الخطاب الموافقة على عدم دخول اليهود الى القدس (إيلياء) حيث لم يكن بها إلا شخصين اثنين فقط وهكذا استمرت المسيرة العربية الإسلامية حتى عام ١٩٤٨ فيما عدا فترة الوجود الصليبي فى فلسطين منذ عام ١٠٩٩ - ١٢٩١م حيث كان الوجه عربياً إسلامياً عندما حرر صلاح الدين القدس من الصليبيين فى عام ١١٨٧م بعد معركة حطين .

ثم كان **الفصل الثانى عشر** فى هذه الدراسة عن الإرهاب والعدوان الاسرائيلى الصهيونى ضد الشعب الفلسطينى صاحب الأرض والحق التاريخى والحضارة فى هذه الديار وكيف مارست اسرائيل منذ قيامها فى ١٥ مايو ١٩٤٨ العديد من الاعمال البربرية والإرهابية فى حق الشعب الفلسطينى وذلك تدعيماً لوجودها وكرها للشعب الفلسطينى إزاء هذه الاعمال الوحشية لكى يقوم بترك أرضه ودياره حتى بلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين الذين غادروا ديارهم منذ عام ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ يزيد حالياً عن اربعة ملايين نسمة لهم حق العودة طبقاً لاتفاقيات السلام المبرمة فى مدريد عام ١٩٩٣ بين منظمة التحرير الفلسطينية والدولة المقتضية اسرائيل .

ثم كانت خاتمة الدراسة وهى زبدة كل الفصول حيث يستطيع القارئ الذى يريد العجالة والتوصل إلى ملخص لهذه الدراسة أن يجد ذلك فى هذه الصفحات القلائل التى هى عصارة كل هذه الفصول .

ثم جاء بعدها بل فى النهاية قائمة المراجع العربية والأجنبية التى عولت عليها كثيراً حتى كانت هذه الفصول بمكوناتها الحالية نتاج هذه المراجع لأنها هى العمود الفقرى الذى ارتكزت عليه

كل هذه الفصول حيث كانت هي نعم العون والارتكاز لتكون هذه الصورة امام القارئ الكريم بهذه الحالة التي اعترف انها لم تصل الى حد الكمال ذلك لأن الكمال لله وحده ولكنها خطوة على طريق تصحيح المفاهيم الشائعة لدى عامة القراء ودخضاً للأفكار الصهيونية اليهودية الاسرائيلية العبرية بأن لها حقوق تاريخية في أرض العروبة والإسلام فلسطين ولكي تكون هذه الدراسة سداً منيعاً امام كل اباطيل القول الزور بما تدعيه أكاذيب الدولة المغتصبة للحق العربي الإسلامي في فلسطين ولكي تكون هذه الدراسة نبراساً للأجيال القادمة على الطريق عندما يعود الحق الشرعي لأصحابه الأصليين من البحر الميت نهر الأردن شرقاً الى البحر الابيض المتوسط غرباً حيث الدولة الفلسطينية التي تجمع كل اصحاب الديانات الثلاث المسلمين والمسيحيين واليهود في كيان واحد .

والله نعم الموفق واليه المصير

دكتور

عبد الفتاح مقلد الغنيمي

الملك فيصل في السبت

٢٤ شوال ١٤١٨ هـ

٢١ فبراير (شباط) ١٩٩٨ م

الفصل الأول

ليس لليهود حق تاريخي في فلسطين

ان الشعوب الاسرائيلية التي تغتصب ارض فلسطين حالياً تتكون من اربع وتسعين (٩٤) جنسية وتشكل في مجموعها متحدثين بأكثر من سبعين لغة (٧٠ لغة) ومن هنا فإن اليهود الذين وفدوا الى فلسطين من كل بقاع العالم لا ينتمون على الاطلاق الى جنس واحد او عدة اجناس بل ربما الى اكثر من مائة جنسية وتجمع بينهم وحدة العقيدة ومن ثم فإن يهود فلسطين الذين يسكنون الأرض المغتصبة ليسوا من بنى اسرائيل وان هؤلاء شيء واولئك السابقون الذين اندثروا مع الزمن وذابوا في الدول التي عاشوا فيها واعتنقوا دياناتها شيء آخر لذا فإنه لا توجد ادنى رابطة بين يهود العالم المعاصر وبين بقايا اليهود منذ القرن السادس قبل الميلاد عندما تمت إبادة اليهود نهائياً عام ٥٩٦ ق.م وتم نقل بعضاً منهم الى بابل بعد أن انقرضت سلالتهم وحيل بينهم وبين اعتناقهم للعقيدة اليهودية وصار شأنهم شأن البابليين عبدة الاوثان ولم يعد لليهود أى أثر سوى افراد قلائل استطاعوا الهروب شمالاً الى ارض الخزر حيث استطاعوا اقناع ملكها بالدين اليهودي (الملك رولان عام ٧٤٠م) ومن ثم فإن الخزر هم اصل سكان فلسطين من اليهود الحاليين شعوباً تركية قوقازية وهكذا تدل الاحداث القديمة التي سوف تعرض لها في الابواب القادمة والتي لها دلالة قوية بل قاطعة على مدى ما وصل إليه هؤلاء الصهيونيون من كذب وخداع وتزييف وفساد للضمائر لكي يخفوا عن العالم السبب الذي جذابهم الى اختيار فلسطين وطناً مزعوماً لليهود بالرغم بأن يهود اوربا من اصل فلسطيني فزعم باطل لأن يهود اوربا من اصل اوربي كما أن يهود ايران من اصل ايراني ويهود اليمن من اصل يمني ويهود الفلاشا من اصل اثيوبي ومن الافتراء القول بعكس الحقيقة وهو أن اليهود شعب لا وطن له لاسيما انه كما سبق القول فإن اليهودية عقيدة الخزر (انظر كتابنا شعوب اسرائيل وخرافة الانتساب للسامية) وقد انتشر شعب الخزر اليهودي انتشاراً واسعاً في بلاد الالمان والسلاف الوثنية فانتشرت بينهم الديانة اليهودية ومن ثم دخلت الدين اليهودي شعوب وثنية اعتنقت ذلك الدين وليس لها ادنى صلة بيهود موسى عليه السلام أو الاسباط الاثنى عشر أو اسحق ويعقوب (اسرائيل) وقد اثبت البحث الانثروبولوجي ان اليهود استطاعوا خلال

تاريخهم الطويل ان يحملوا قدراً كبيراً من الدماء الاجنبية سواء فى اوربا أو آسيا أو افريقيا بل دماء الهنود الحمر فى امريكا بقاراتها الثلاث وهذه حقيقة تفسر ما نراه فيهم من اختلاف فى الالوان والاشكال ومشابھتهم للشعوب التى يعيشون فيها ، بل اكثر من ذلك فإن العديد من اليهود الذين كانوا يعيشون فى فلسطين قبل الميلاد قد اعتنقوا الديانة المسيحية وصاروا مسيحين وتباعوا عن اليهودية لاسيما اولئك الذين عاشوا فترة بعث المسيح عليه السلام وفترة الاضطهاد الرومانى ومن ثم فلم تعد هناك رعية يهودية فى فلسطين عندما انتشرت المسيحية على نطاق واسع لاسيما بعد أن اتخذ الرومان المسيحية عقيدة لهم وحاربوا اليهودية فى الشرق وفى كل الاماكن الخاضعة لحكم الرومان .

وخلاصة القول بأن ٩٩٪ من اليهود الحاليين ليسوا من اصل اسويى سامى أى أنهم ليسوا من نسل الاسباط القبائل الاثنتى عشر نسل يعقوب (اسرائيل) الوارد ذكرها فى التوراة بل انهم ينحدرون من الخزر الاتراك المغول فى اواسط غرب آسيا والذين انتشرت ذريتهم فى كثير من دول شرق اوربا وخاصة بولندا والمجر وروسيا وعناصر الاجناس السلافية) بل انهم لم يجيئوا من فلسطين بل من بلاد القوقاز وهذا يثبت انهم جميعاً ليسوا من سلالة (اسرائيل يعقوب) ذلك لأن اليهود فى شتى انحاء العالم ليسوا متشابهين فى السحنة والمنظر والتقاطيع ولو نظرنا إلى اليهود فى مختلف اقطار العالم اليوم لوجدنا فيهم الأشقر ذوى العيون الزرقاء والشعر الأصفر ورأينا فيهم الاسمر ذى الشعر المجعد فى هضبة الحبشة والاصفر المغولى فى الصين وغيرهم من الاشكال والالوان والسحنة ومن ثم فإن هناك اختلافات بين الجماعات اليهودية فى مختلف القارات لتصبح اليهودية بمجرد توزيعها فى مختلف انحاء العالم اذ دخلتهم بالتحول والزواج دماء عناصر شتى لا حصر لها .

ومن هنا فليس بالعالم اليوم مجتمع يهودى واحد اقلت من الاختلاط البيولوجى مع غيره من المجتمعات اليهودية منذ اولى مراحلها فى النشأة الاولى ، بل أن هناك العديد من المجموعات فى شتى انحاء العالم من الذين اعتنقوا اليهودية أو اختلطوا بيهود مهاجرين لذا فإنه لا توجد أية وحدة سلالة أو انثربولوجيه أو عرقية أو دم بين يهود العالم ذلك لأن هناك تأثير بعيد المدى للسكان الذين يعيش بينهم اليهود أى تم الاختلاط الجنسى وامتزاج الدماء بين عناصر شتى .

ومن هنا فإن الدراسات السيولوجيه اثبتت تماماً ان اليهود يبدووا فيما بينهم معدل تفاوت كبير جداً فى فئات الدم مما ينفى تجانس الأصل واكثر من ذلك لا تبدى تلك الفئات أية علاقة بفئات

الدم عن اليهود السامريين ، ومن هنا فإن الحديث عن وحدة جنسية من اليهود ككل لامحل له من حقيقة أو علم على الإطلاق وأن اليهود لا يعرفون الوحدة الجنسية أكثر مما يعرفون الوحدة الجغرافية وأن القول بالنقاوة الجنسية لكل اليهود في شتى انحاء العالم انما هو محض خرافة وانه من المستحيل ان يصنف اليهود كامة او قومية او شعب واحد ولا حتى كوحدة انثربولوجيه بل هم بالاحرى مجموعة اجتماعية دينية تتفاوت في الصفات الجسمية وان اليهود مختلطون جنسياً ومن اصول طبيعية متنوعة ولا تربطهم وحدة جنسية ولا وطنية ولا لغوية انما وحدة الدين اليهودي فقط .

ويجمع جمهرة الانثربولوجيون ان يهود اليوم هم نتاج الزواج والتحول وانهم نتاج التحولات الضخمة الى اليهودية وهكذا لا يقبل الجدل بأن الاختلاط والزواج والتحول قد انتج يهود العصر الحديث وان انتشار اليهودية وتمدها والتحول الديني بين الوثنيين أو المسيحيين والتزواج والامتزاج الدموي اكبر دليل على ما شهده العصر الحديث ، ذلك لأنه مع الهجرة اليهودية الى العالم الجديد تحول كثيراً من الهنود الحمر والزنوج في امريكا الوسطى الجنوبية والشمالية الى اليهودية ولا علاقة لهم جنسياً ودموياً باليهود اصلاً لذا كانت التحولات الى اليهودية بالجملة ، بل تعطى مثلاً بيهود الجزيرة العربية قبل الإسلام حيث كانوا غير قليلين في مدن وسط الجزيرة وجنوبها خاصة الحجاز واليمن وتذكر الدراسات الانثربولوجيه على الأرجح ان يهود الجزيرة كانوا في معظمهم عرباً محليين تحولوا الى اليهودية وليسوا من يهود فلسطين الوافدين اما في اليمن فقد تحولت اعداد كبيرة من سكان اليمن في عصر ملوك سبأ الى اليهودية كذلك فقد كان المهاجرون الحضارمه (حضر موت اليمن) الذين عمروا الحبشة واسسوا الامبراطورية الحبشية يهوداً اصلاً ثم تحولوا مبكراً الى المسيحية القبطية ومن هنا كانت ظاهرة نوبان وانصهار اليهود واندماجهم او امتصاصهم في شعوب العالم ولقد كان تيار النوبان القوي يفرض نفسه كواقع فعال وقاهر يمثل اخطر ما يتمثل في التزاوج المختلط مع غير اليهود وفي تحول بعض اليهود إلى عقائد اخرى وهذا ما يظهر في بونقه الولايات المتحدة واوروبا الغربية والخط التاريخي الذي اكد نفسه منذ البداية وهو تخط وتهمجين اليهود ونوبانهم جنسياً وقد شهد العالم الجديد (امريكا) تحول كثيراً من اليهود الى المسيحية .

وهكذا نرى عبر التاريخ الطويل الممتد من عصور ما قبل الميلاد (بابل ، فارس ، روما) الى ظهور المسيحية والإسلام والعصر الحديث ان هناك اعداداً كبيرة من غير اليهود تدخل الديانة اليهودية وفي نفس الوقت اعداداً من اليهود لا تقل عدداً وكثافة تخرج من اليهودية ومن هنا فإن

يهود العصر الحديث (اسرائيل خمسة ملايين وثمانية ملايين فى امريكا) واثنين مليون فى اقطار مختلفة (٢٠ مليون) مختلفين انثربولوجيا عن يهود التوراة ولكن هناك شبه اتفاق على ان هناك اعدادا قليلة جداً هم اليهود السامريين هم المجموعة الوحيدة من اليهود التى ظلت فى فلسطين طوال التاريخ حتى يومنا هذا فى عزله كاملة وتزاوج داخلى ضيق وفى نقاوه لاشك فيها وانهم اكثر من أى مجموعة اخرى يمثلون العرق اليهودى الفلسطينى القديم وهم فى قرية من قرى نابلس يقيمون وعددهم اليوم لا يعد المائه أو المائتين أى أنهم يتجهون من قديم نحو الانقراض والزوال الايدى بحيث لم يعد هناك يهود قداماء .

وهكذا تقول ان يهود الشتات الاصلاء قد ذابوا وانصهروا وضاعوا فى محيط المهجر كقطرة فى بحر وان يهود العالم هم اجانب متحولون اكثر منهم يهودا متحولين وهذا ما تؤكد دراسة انثربولوجيه قام بها البريطانى (جيمس فنتون) حتى أن ٩٥٪ من يهود اسرائيل ليسوا من بنى اسرائيل التوراة وانما هم اجانب متحولون او مختلطون وأن يهود العصر الحديث لاسيما اسرائيل فإن اختلاطهم حالياً داخل اسرائيل يبعدهم عن أى اصول اسرائيلية قديمة . وان الاسرائيليين الذين ابتعدوا عن الاصول الاولى يشكلون الاغلبية الساحقة منهم وان يهود اليوم هم اقارب الاوربيين والامريكيين بل هم جزء منهم وشريحة لحما ودما وان اختلف الدين ومن هنا فإن اليهود فى اوربا وامريكا وروسيا وشرق اوربا ليسوا كما يدعون غرباء واجانب دخلاء يعيشون فى المنفى وتحت رحمة سكان البلاد الاصلية ، انما الحقيقة عكس ذلك فإنما يهود هذه البلاد هم من اصحاب البيت والبلاد نسل ولسلالة لا يفرقهم عنهم سوى الدين وان أى قول غير ذلك هو مخالفة لحقائق التاريخ والانثربولوجيا حيث كما سبق القول فإن يهود العالم المعاصر ليسوا احفاد يعقوب (اسرائيل) الاسباط الاثنى عشر وان هؤلاء القداماء انقرض نسلهم تماماً وانهم اندثروا فى التاريخ وان هؤلاء المعاصرون شئ آخر انثربولوجيا ولا رابطة بين الطرفين إلا فى الدين والدين فقط .

ومن هنا نرى كيف اشاع الصهيونيون الذين اقاموا اسرائيل فى ارض فلسطين على حساب اصحاب الحق الشرعى وكيف افتروا على الحقيقة والعلم والتاريخ والانثربولوجيا وعلم الاجناس وكيف ضلوا العقول بقولهم ان اليهود فى جميع انحاء العالم من اصل فلسطينى لاسيما ان الحركة الصهيونية لبست نوراً وبهتاناً ثوباً بعيداً كل البعد عن الهدف الحقيقى حيث كانت ترى فى النزعة الدينية اليهودية غرضاً بأن ترى فى فلسطين مركزاً تقام فيه الشعائر الدينية اليهودية يكامل الحرية وتحيا فيه اللغة العبريه وتنشأ لهم بها مؤسسات ثقافية واجتماعية يهودية مع تمتع

اليهود بكافة الحقوق السياسية الصهيونية وانشاء دولة صهيونية فى فلسطين يحتشد فيها المهاجرون من الاقطار الاوربية مثل يهود روسيا وبولندا (اصولهم مغوليه خزريه) وهكذا حقق الخطر الصهيونى حلمه فى بناء دولة تسلطت على السكان الفلسطينيين الذين طردتهم واغتصبت بلادهم وقولهم ان العرب اصلهم من الصحراء فيجب ان يعودوا الى الصحراء لاسيما ان التعصب الدينى المسيحى فى القارة الاوربية فى العصور الوسطى بل وفى القرن التاسع عشر والحروب الصليبية سابقاً والنازية فى العصر الحديث ، جعلت سكان اوربا ينفرون من اتباع الدين اليهودى وسادت فكرة بأن اليهود عضو دخيل على اوربا ومن ثم تباعدت المعاشرة والاختلاط بينهم وبين ابناء وطنهم من اتباع الدين المسيحى ، وهكذا انتشرت بين الناس الخرافة الصهيونية بأن جميع اليهود فى جميع انحاء العالم هم من نسل بنى اسرائيل ، بل الحقيقة تقول عكس ذلك وهو أن يهود اوربا من اصل اوربى صميم وانهم اعتنقوا الدين اليهودى قبل انتشار وظهور المسيحية على أيدي مبشرين يهود ما بين القرن الرابع والثالث قبل الميلاد ثم ما تلاه من قرون وقد كانت لهم مستعمره واسعة فى وسط وشرق اوربا بل فى حوض نهر الراين الشمالى والوسط ومن هنا انتشروا فى وسط اوربا وفى شرقها وغربها ومن هنا كانت الاختلافات بين السلالات البشرية فى مختلف القارات بل أنه ليس مما يقبله العقل ان تكون هذه الطوائف فى كل انحاء العالم شرقاً وغرباً كلها من سلالة جنسية واحدة ، ومن هنا فاليهود ينتمون الى عدد كبير من السلالات وهو يشبهون السلالات التى يعيشون وسطها ، بل انه اثناء الحرب العالمية الثانية فى ظل الحكم النازى تقدم كثيرا من اليهود بوثائق تثبت انهم من اصل اريون وانهم اريون حقا من اصل جرمانى وسجلت اسماؤهم بأنهم اريون وهذا يعطى الدليل ضد ادعاء الصهيونية ونقول ان يهود اوربا وروسيا وامريكا وكل انحاء العالم المختلفة ليسوا من اصل فلسطينى مطلق بل من اصل جرمانى أو اسلافى أو بلقانى وحتى هنود حمر وزنوج وانه لم تكن لهم ادنى صلة باليهود فى ايام داود وسليمان وخلفائهم وان القول بأن يهود العالم مشتقون من تلك الطائفة الصغيرة العدد (مملكة سليمان وداود) قول باطل اثبت بطلانه عدد كبير من علماء الاجناس ومن بينهم بعض الباحثين من اليهود أنفسهم (Alfred Mlilienthal) وذلك بانه لا يوجد ايه صلة من الصفات الوراثية للاجداد التى يتوارثها الابناء والاحفاد وانها بعيدة عن ان تنتمى الى بنى اسرائيل أو العبرانيين القدماء أو حتى يهود ما بعد المسيحية .

وتلك الصفات المختلفة فى شتى يهود العالم تنفى بتاتا ما زعمه عدد من اليهود بالقول بأنهم يمثلون جنساً نقياً لم يدخله عضو غريب منذ ترك فلسطين وأنزح عنها إلى بلاد أخرى والحقائق

الانثربولوجيا تقول بانه لا يوجد نقاء جنسى لآى اجناس الأرض إلا وتم فيه الإختلاط وانه ما من جنس إلا وتم اختلاطه باجناس اخرى ، بل يقولون ان اليهود لم يسمح للدم اليهودى ان يختلط بهم بل أن الزواج بين اليهود ظل مقصوراً على افراد منهم دون سواهم كما كانت ديانتهم خاصة بهم ولم يحاولوا ان ينشروها بين غيرهم من الاجناس وهذا زعم باطل فقد انتشر الدين اليهودى فى مختلف انحاء العالم قبل الإسلام والمسيحية بقرون عديدة ودخلت فيه اقوام كثيرة فى الهند والصين واواسط آسيا وفارس والحبشة وشمال افريقيا واوريا ولقد بذل اليهود جهوداً عظيمة بما فيه العصر الحديث لنشر الدين اليهودى والتبشير به وفى ذلك يقول اليهودى ليوى (H.H.J . Loewe) استاذ اللغة العبرية فى جامعة اكسفورد سابقاً فى دائرة المعارف البريطانية تحت مادة Judaism مجلد P.165.13 لقد نشط اليهود الى التبشير باليهودية بين مختلف الشعوب عندما روا الوثنية قوية النفوذ منتشرة فى العالم والكتاب القدماء اليونان والرومان يشهدون بقوة النشاط التبشيرى الذى قام به اليهود ، وكيف تم نشر اليهودية فى اواسط وغرب آسيا اصل يهود العالم اليوم (روسيا وشرق اوريا والعالم الجديد)

وان اليهود بشروا باليهودية بين الوثنيين واحياناً بين المسيحيين وبل المسلمين بل انهم ادخلوا الالاف من النصارى المسيحيين فى العصور الوسطى بل وفى الازمنه الحديثه فى اليهودية عن طريق الزواج بل أن اليهود بذلوا جهوداً كبيرة لنشر دينهم بين الأمم فى أثناء العهد الوثنية (اليمن والحبشة) والخزر ، فإذا ذكرنا ان النبى موسى عليه السلام كان يعيش فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد على وجه التقريب بل وربما القرن الثالث عشر وان داود عليه السلام كان فى القرن العاشر قبل الميلاد ولهذا فإن النشاط التبشيرى لليهود قد بدأ قبل ظهور المسيحية ببضعة عشر قرناً ولا شك انه استمر بضعة قرون اخرى فى العهد المسيحى اذ كانت الوثنية سائدة فى الدولة الرومانية وفى الأقطار المجاورة لها فى العالم القديم ومن هنا فإن اليهود قضوا اكثر من عشرة قرون ان لم يكن خمسة عشر قرن يعملون بجد ونشاط فى نشر ديانتهم بين الشعوب وهذا يؤدى إلى القول بانه كان يوجد فى مدينة الاسكندرية فى مصر فى العصر الرومانى اكثر من ٢ مليون يهودى بل وربما فى كل القطر المصرى وبذلك فإنهم نشروا عقيدتهم بين شعوب وأمم لاتمت بادنى صله لبنى اسرائيل وهذه الشعوب من الصين شرقاً الى اوريا غرباً قد اعتنقت الدين اليهودى وهى تعيش فى اوطانها على أيدي مبشرين يهود انتشروا فى مختلف انحاء العالم بل للحقيقة فإن هؤلاء اليهود

أنفسهم لم يكونوا دائماً من أصل يهودى فلسطينى بل كانوا ممن اعتنقوا الدين اليهودى وتحمسوا له ويعملوا على نشره كما حدث فى اليمن وفارس والهند والصين كما جاء فى سورة البروج فى القرآن الكريم « قتل أصحاب الأخدود » وكيف كان الصراع بين اليهودية التى كان ملك اليمن قد اعتنقها وبين المسيحية مما حدا بملك اليمن اليهودى الى جمع المسيحيين وان يشعل فيهم النار وهذا الانتشار لليهودية ينفى الزعم بأن انتشار اليهود فى انحاء العالم كان بسبب اضطهاد قيصرية روما لهم والتى كان اخرها هدم معابدهم بواسطة القيصر (ادريانوس) بل استمر الهدم والابادة طوال العصر الرومانى حتى الفتح الاسلامى عام ٦٣٦م ومن هنا فإن اليهود الذين اعتنقوا الدين اليهودى لم يكونوا فى يوم من الأيام من سكان فلسطين الا فى عصرنا الحديث حيث يشكل يهود فلسطين حالياً قوم قدموا من اكثر من تسعين بلداً مما يعطى الدليل القوى على أن أى شعب من الشعوب يستطيع ان يعتنق أى دين وان يتعلم أى لغة ولكن هذا لا يغير من جنسه وسلالته وهذا بين لنا كيف انتشر الدين اليهودى فى اواسط آسيا الجنس المغولى والتركى والهندي والصينى وهذا قد خلق أجيالاً وطوائف من اليهود لاتمت بادنى صلة الى بنى اسرائيل سوى فى العقيدة أو بعبارة اخرى فإن انتشار اليهودية فى مختلف انحاء العالم قد قضى على بنى اسرائيل كسلالة جنسية ، بل ان دعاة اليهودية سواء كانوا من أصل فلسطينى اسرائيلى أو غيره لم يكونوا سوى قطرة فى بحر من شعوب وسلالات بشرية كثيرة متعددة لاتوجد بينهما ادنى رابطة انثربولوجية ولا تربطها بالاسرائيلين رابطة جنسية أو سلالية وفى هذا يقول دكتور اوجين بتارد Eugene Pittard استاذ الانثربولوجيا فى جامعة جنيف بسويسرا ان جميع اليهود بعيدون عن الانتماء الى الجنس اليهودى ، ثم يضيف قائلاً ان العناصر التى يتألف منها اليهود متنوعة تنوعاً عظيماً .. وكما سبق القول فقد انتشر الدين اليهودى الى مختلف الاجناس من العالم القديم وقد امتد انتشاره من ارض الصين شرقاً الى حوض الراين وبلاد اوربا غرباً وان هذا الانتشار ادى الى التنوع الجنسى والسلالى بسبب هذا الانتشار الواسع العظيم الذى استغرق قرناً عديدة وقد سلك الدين اليهودى فى توسعه وانتشاره بين الشعوب التى احتفظت بالعقيدة اليهودية فى بعض ابنائها بعد ان اندثر يهود بنى اسرائيل واليمن والحبيشة ومصر وبلاد شمال افريقيا وكل البلاد التى توجد بها رعيه يهوديه قبل قيام اسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨م انتشر فيها الدين اليهودى بواسطة الدعاة والمبشرين اهل البلاد أنفسهم ويمن تهود منهم ولقد انتشر الدين اليهودى بين سكان القوقاز فى العصور الوسطى ومنها امتدت الى ايران وتركستان ثم انتقل الدين اليهودى الى الهند وبلاد الصين وقد ادى

ذلك الانتشار الواسع الى انتشار الدين اليهودي بين شعب الخزر في أيام الامبراطور شلمان مما ادى الى اعتناق الشعب الديانة اليهودية مرة واحدة ثم انتشر الى حوض الراين في بولندا وروسيا الغربية وبين الشعوب الجرمانية والسلافية في عهودها الاولى وقبل وصول المسيحية الى هذه الشعوب وقد تكونت في هذه المناطق جماعات يهودية كبيرة العدد وتم تكوينها قبل ميلاد المسيح بثلاثة أو أربعة قرون في الحوض الشمالى لنهر الراين وقد ازدادت هذه المجموعات في العدد برغم ما تعرضت له من اضطهاد حتى بلغ عددها تسعة اعشار ٩/١٠ يهود العالم في ذلك الوقت وقد ظل الدين اليهودي ينتشر بين الالمان وسكان اواسط اوربا قبل ظهور الدين المسيحى وقبل أن يأخذ الدين الأخير في الانتشار بعدة قرون وفي أثناء هذه القرون الطوال كان اتباع الدين اليهودي يتزايدون دون أن يتعرضوا لى نوع من الاضطهاد كما أن اضطهاد اليهود بواسطة الدولة الرومانية لم يبدأ إلا في وقت متأخر نسبياً كما ان الاضطهاد المسيحى لليهود لم يبدأ في اوربا إلا في العصور الوسطى ولقد اتيح ليهود المانيا فسحة من الزمن لكى يتزايدوا ويتكاثروا وينشروا دينهم فيها وفيما جاورهما من بلاد ومن هنا فإن اليهود في المانيا الذين تمت ابادتهم في العصر النازى (١٩٣٣-١٩٤٥م) هي عبارة عن طوائف من الالمان والسلاف الذين اعتنقوا الدين اليهودي ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد على يد المبشرين اليهود كما اشار الى ذلك المؤرخ اليهودي ليوى Loewe وانه لذا فليس من المعقول ان تكون كل هذه المجموعات اليهودية الكثيرة العدد من الجرمان من يهود بنى اسرائيل القدامى وذلك في الوقت المتقدم قبل الميلاد ببضعة قرون كما انه ليس من المعقول ايضاً ان يكون يهود مصر واليمن والحبشة وغيرها من بلاد الشرق وكلها اقطار انتشر فيها الدين اليهودي منذ زمن بعيد وقبل ظهور المسيحية بعدة قرون ان يكون من اصل فلسطينى بل هم من سكان البلاد الاصليين بلا جدال ولا نقاش وكيف يوجد في القطر المصرى فقط ٢ مليون يهودى من أين جاؤا ؟

بل ان عوامل الامتصاص لها اثر كبير في تكوين اليهود في « الاقطار الواسعة كما ذكر ذلك ربلى W.Z.Ripely في كتابه اجناس اوربا Races of Europe حيث ذكر ان كثيراً من الدم المسيحى قد امتصه اليهود بواسطة الزواج الخفى او المخالف للقانون Unirregular فقد سنت قوانين كثيرة في العصور الوسطى تحرم على اليهود ان يتخذوا خادماً من المسيحيين ولكن هذه القوانين لم تكن ذات فعالية حيث كان هناك يهوداً عديدين يعيشون عيشة غير شرعية مع زوجات من النصراني وان المتحولين إلى الديانة اليهودية يعدون بالالاف . الى الحد الذى وصل فيه عدد يهود

العالم إلى أكثر من ثمانية عشر مليون نسمة وهذا يرجع إلى أن تسعة اعشار يهود العالم مختلفون عن سلالة اجدادهم اختلافاً كبيراً بين اليهود وبين كل جماعة يهودية في كل قطر من الاقطار وأن يهود كل قطر يختلفون انثربولوجيا عن يهود القطر الآخر ، ولكن العكس فقد وجد علماء الاجناس في دراستهم أن الصفات لا تتأثر بالبيئة وليس لها قيمة وراثية كبيرة وأن صفات الطوائف اليهودية في مختلف الاقطار لا تختلف عن السكان جميعاً في يهود شمال افريقيا لا يختلفون عن سكان تلك البلاد وفي المانيا يشبهون جميع الالمان ويهود السلاف لا يختلفون عن مواطنهم السلاف ، ومن هنا فالقول بأن اليهود جنس نقى حديث خرافة بل أن كلمة يهودى ليس لها معنى انثربولوجى لا فى اوريا ولا فى حوض نهر الطونه على الأقل وأن اليهود المعاصرين سواء فى اسرائيل ٥ مليون و٨ ملايين فى امريكا هم اقرب إلى الجنس الأرى والسلاف منهم إلى الجنس السامى وأن اليهود عبارة عن طائفة دينية اجتماعية انضم اليهم فى جميع العصور اشخاص من اجناس شتى وأن هؤلاء المتهودين جاؤا من جميع الاقطار فمنهم الفلاشا سكان الحبشة ومنهم الالمان ذو السحنة الجرمانية ومنهم يهود التامل سكان الهند وسيلان ومنهم اليهود السود فى الهند ومنهم الخزر الذين هم من الجنس التركى وأن كل اليهود فى شتى انحاء العالم ليس لهم ادنى صلة قرابه - قرابة الدم إلى اولئك الاسرائيلين القدماء الذين كانوا يعيشون بجوار نهر الاردن بل أن هناك بعض الباحثين من اليهود ومن اشهر هؤلاء العلماء (فريدريخ هرتسى) صاحب كتاب (الجنس والحضارة) حيث جاء حديثه عن تكوين الجنس اليهودى كما يلى (ولم يعد بالامكان ان يتمسك الانسان بذلك الرأى الذى يمثل الارين من جهة واليهود من جهة أخرى كجنسين مختلفين اشد الاختلاف فقد اثبت البحث الانثربولوجى بصورة لا تحتمل الجدل ما بين الاثنين من القرابة الشديدة حيث استطاع اليهود فى تاريخهم الطويل (اربعة الاف سنة) ان يمتصوا قدراً كبيراً من الدماء الأجنبية حيث كان اعتناق الديانة اليهودية بواسطة اليونان والرومان والشعوب الأخرى كثير الحث ولاسيما فى القرنين الأول والثانى قبل الميلاد اما فى العصور الوسطى فرغم العقبات فقد حدث تحول كبير إلى اليهودية وعلى الأخص فى بلاد السلاف وفى روسيا واواسط وشرق اوريا وهذا هو السبب فى اننا نرى اليهود الروس بعد عام (١٩١١م) ٤/٣ مليون ٧٥٠ الف يهودى روسى هاجروا أخيراً إلى اسرائيل ويشكلون احدى عشر مقعداً فى الكنيست الاسرائيلى) والبولونين يشبهون السلاف شبيهاً لا شك فيه واليهود الالمان اشبه بسائر الالمان منهم بسكان فلسطين وانظر كتاب :

Friedrich , Herz . Race and civilisation

ومن كل هذا العرض فليس هناك أدنى صلة بين سكان إسرائيل الحاليين من اليهود وكذلك بقية يهود العالم ويهود التوراة القدامى لأنه ليس من المعقول أن يكون العشرين ألف يهودى الذين شربوا فى العصر الرومانى بين عصر ارديانوس رغم الاضطهاد والمذابح أن يصل إلى هذا العدد الهائل الذى يزيد عن ثمانية عشر مليون ولكن هناك مجموعات كاملة من كل الشعوب قد تهودت بالتحول وازدادت جموعها الكثيرة وصفاتها الوراثية والسلالية إلى أن اليهود القدامى انفسهم قد تهود معهم بعض سكان فلسطين من الكنعانيين الفلسطينيين والاراميين والكومريين والاسباط وغيرهم من سكان فلسطين القدامى قد اعتنقت معهم الدين اليهودى واختلط بالاسرائيليين وكان هذا هو الاختلاط الاول فى ارض فلسطين نفسها وكذلك ازدادت تلك الاعداد باعتناق الجماعات الكبيرة لليهودية ثم التبشير بها فى الهند والصين وكردستان وبلاد الشرق واوروبا وامريكا والهنود الحمر والزنج والفلان وسكان الشرق العربى وغيرهم من الشعوب الأخرى ومن ثم زادت نسبة العناصر الجديدة التى دخلت الدين حتى كانت شعوب بأكملها قد اعتنقت اليهودية (شعب الخزر فى اواسط آسيا) وهم اصل شعوب اليهود فى فلسطين (روسيا وشرق وغرب اوريا وامريكا) من شعوب الخزر ولاسيما فى بلاد الالمان والسلاف الوثنيين قبل ظهور المسيحية ومن هنا فإن يهود فلسطين الحاليين الذين ينتمون إلى أكثر من تسعين جنسية وسبعين لغة ينتمون إلى جميع الاجناس السوداء والسمراء والبيضاء والصفراء وشتى الالوان ومن ثم فإن ما لقيه اليهود من الاضطهاد فى اوريا فإن ذلك لا يرجع إلى أنهم جماعات غريبة فى أوطانهم بل كان اضطهادهم مظهراً من الاضطهاد الدينى الذى طبع القارة الاوربية بالدماء ولم يكن الضحايا من اليهود فقط بل كانت من عناصر أخرى ..

ومن هنا فليس حقيقة ما يقال أن اليهود شعب بلا وطن ، بل هم عقيدة ودين فى كل وطن شأن الأديان الأخرى ومن ثم فهم اعضاء فى شعوب كثيرة ولهم اوطان عديدة وإن اختلفوا فى الدين عن سائر سكان تلك الاقطار ومن هنا فإن الصهيونية تكذب على العلم والتاريخ لأنه ليس فى العالم اليوم أمة من الأمم ولاقومية من القوميات تكونت من جميع افراد وجماعات مبعثرين فى مختلف الاقطار بحجة انتمائهم الى ديانة من الديانات ومن هنا فإن السياسية الصهيونية التى خلقت شعب اسرائيل على حساب الفلسطينيين ليست سوى سياسة استعمارية عدوانية احلاليه استيطانية تحل شعب مكان شعب آخر وهى تسير على نفس خط السياسة النازية الالمانية .

وهكذا كان التحول الدينى المحلى سبباً فى ازدياد عدد السكان اليهود الى الحد الذى كان فيه فى جنوب شرق روسيا لا يقل عن اربعة أو خمسة ملايين يهودى يشكلون فى ذلك أكثر من ثلث

يهود العالم بل ان السكان اليهود فى بولندا والذين هم اصلا من سلالة شعب الخزر فقد كانوا يؤلفون نصف يهود العالم ولاحظ ان المجموعات اليهودية الكثيرة التى احتلت فلسطين من بولندا وروسيا والنمسا والمجر وهؤلاء جميعهم من شعب الخزر التركى الاسيوى وليس السامى ، بل الذى ينظر إلى احصائيات اليهود عام ١٩٠٥م يدرك كيف انه لا توجد ادنى صلة بين يهود التواراة واليهود الحاليين نجد أن عدد اليهود فى ذلك الوقت ١٩٠٥م أكثر من اثنى عشر مليون نصفهم فى روسيا ورومانيا وثلاثهم فى النمسا والمانيا والسادس فى بقية دول العالم ولكن اثر الهجرة الى امريكا كان قد بدأ فإن اغلب هذا السادس الاخير ويكون ١٢٪ من مجموع اليهود كان يحتشد فى الولايات المتحدة الامريكية وحدها ويصل عددهم حالياً إلى أكثر من ثمانية ملايين يهودى فى الولايات المتحدة الامريكية نفسها منهم ٢,٥ مليون فى واشنطن نفسها ، ثم يكون الاتحاد السوفيتى السابق يشكل ثانى اكبر مجموعة يهودية بعد الولايات المتحدة .

ثم تكون اسرائيل بعد الاتحاد السوفيتى وشرق اوربا وهذا التوسع يتفنى نفياً قاطعاً قضية النقاوة الجنسية لأن يهود هذه البلاد قد أصبحوا مجموعة مركبة وهذا يدل على انعدام اية وحدة بين يهود العالم مهما تكن المغالطات الصهيونية ومؤلفات اليهود المتعصبين البعيدين عن الموضوعية ومن ثم فإن الحركة الصهيونية ١٨٩٧ وهرتزل ، التى تحاول ان تجعل من اليهودية العالمية شعباً وقومية وأمة بل وجنساً مستقلاً وليس مجرد طائفة دينية ونجمع فى فلسطين بين عشرات الشعوب والقوميات والسلالات والاجناس والأمم فإنها لا تعمل على تزييف حقائق التاريخ فقط ولكنها تقاوم وتحارب حتمية حركة التاريخ وتسعى الى تجميد وتطور المجتمع الانسانى راجع كتابنا : اسرائيل الى زوال . القاهرة ، ١٩٩٦م دار الامين للنشر) ومن ثم فإن الخط التاريخى الذى أكد نفسه منذ البداية وهو تخطط وتهجن اليهود ونويانهم جنسياً بعيد اليوم تأكيد نفسه رغم انحرافات وشعارات الصهيونية بل ويفرض نفسه أكثر من أى وقت مضى وذلك لأن الفكرة الجذرية فى خلق اسرائيل ليست فى النهاية إلا فكرة الجيتو ، ومن ثم فإن اسرائيل وسط محيط عربى اسلامى انها هى الجيتو دولة أو دولة الجيتو وكما ذاب وينوب الجيتو فى الخارج لن يمضى وقت طويل حتى ينوب وينزل جيتو اسرائيل الى الابد .

ومن ثم فإن الصهيونية التي انشأت اسرائيل كانت ايديولوجيتها تستهدف إنشاء دولة يهودية منطلقة من فكرة خاطئة وهي أنه ما دامت التوراة أم الكتب السماوية موجودة وما دام شعب التوراة موجوداً فلماذا لا توجد للتوراة دولة ومن هنا بدأت الصهيونية نشاطها بالتزييف حيث راحت الدوائر الصهيونية منذ عام ١٨٩٧م تفشر على أوسع نطاق خرافتها وهي أن الصهيونية تدعو لإقامة دولة يهودية وهي ظاهرة قديمة ذلك لأن اليهود على امتداد آلاف السنين كانوا يوماً يحلمون بيوم العودة إلى فلسطين ، ولقد ظل اليهود في شتى بقاع العالم يحملون في قلوبهم أمل العودة (لاحظ الكذب والتضليل شعوب من ٩٠ دولة يحلمون بالعودة رغم اختلاف السلالات والاجناس والالوان بل والجنات) .

ومن ثم فإن الصهيونية ترى أنها تعبر عن الروح القومية اليهودية ودليل على الاستعداد الدائم لدى اليهود للعودة إلى فلسطين ولكن منذ عصر الرأسمالية ونمو الحركة السياسية في أوروبا فقد اندمج اليهود بالكيانات الوطنية في الغرب بل ويعنون انفسهم منبوذين في عالم غريب كغيرهم فمصيرهم قد أصبح وثيق الارتباط بالبلدان التي عاشوا فيها .

لقد كفوا عن كونهم يهوداً وأصبحوا كالألمان والانجليز والفرنسين وغيرهم من الشعوب الأخرى ولم تعد تستهويهم فكرة العودة إلى فلسطين بل أنه في المؤتمر العام لممثلي المعابد اليهودية الذي انعقد في مدينة بيمبوج بالولايات المتحدة عام ١٨٨٥م اجتمع أعضاء المؤتمر على أنهم لا ينتظرون العودة إلى فلسطين وأن امريكا هي صهيون بالنسبة لهم الصهيونية الاسرائيلية اداة في يد الولايات المتحدة والغرب الأوربي ، لكن القادة الصهاينة كانوا ينظرون باستمرار إلى إنشاء الدولة اليهودية ليس كهدف في ذاته وإنما كأداة لتحقيق اهداف أخرى أكثر شمولاً وخطورة وتتخلص في السيطرة المطلقة على اليهود والذي ينفي الصلة بين فلسطين العربية وقادة الصهيونية انه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان ٨٩,٥٪ من مجموع اليهود يعيشون في أوروبا وفي كل بلد أوربي كانت تنمو قوى يهودية وغير يهودية تدعو إلى اندماج اليهود بالشعوب التي تضمهم وذلك يعارض فكرة العودة إلى فلسطين التي طالبت بها الحركة الصهيونية والتي استطاعت أن تحققها منذ أن كانت فكرة في عام ١٨٩٧ إلى قيام الدولة عام ١٩٤٨م والاعتراف باسرائيل من قبل مصر أول دولة عربية عام ١٩٧٩م لكن في ظل غياب الوعي العربي تحققت فكرة الأمة اليهودية على ارض فلسطين رغم انها فكرة زائفة ضد حركة التاريخ لكنه رغم طابع الوحدة القومية التي تحاول أن

تقيمه اسرائيل على أرض فلسطين فإن اليهودية تتعرض لخطورة افتقار ذاتها وسط محيط عربي واسع ومن خلفه محيط اسلامي واسع ومن ثم فإن اليهودية سوف تتحول الى مختلف الاشكال المنفصلة ونهاية سوف تنتهي الى التششت الذي انتهى إليه اليهود فكما جاءت الى فلسطين من الشتات فسوف تنتهي الى الشتات .

ومن هنا فإن اليهودية لن تعد قادرة في المدى البعيد على الاستمرار في وجودها على الرغم من احتلالها أرض فلسطين ومواصلة حياتها الخاصة وسط المحيط العربي ٢٧٠ بليون نسمة ، ومن اتفاقيات السلام تحت ضغط الولايات المتحدة الأمريكية والقوة الذرية الاسرائيلية لأنه ليس هناك وجود لأمة يهودية .

أن اسرائيل رغم فرضها اللغة العبرية على جميع القادمين إليها فلن تنجح في ايجاد وحدة الثقافة اليهودية لأنه ليس هناك وحدة تاريخ في الماضي ولا وحدة فكرة اليهود لاسيما بين الجاليات اليهودية المختلفة لاسيما أن الثقافة الاوربية هي الى تسود الاسرائيلين لأنها ثقافة الالف عام الاخيرين وانهم لن يتحولوا الى اسويين في محيط عربي اسلامي ولن يصبحوا من الناحية الانثربولوجيه والثقافيه اسويين تماماً وهل تحول الانجلو سكوتين في امريكا إلى هنود حمر حتى يتحول الاسرائيلين الى عرب ويومها لن يصبح لليهود أرض ولا لغة ولا ديانه ومن هنا فإن اليهودية سوف تختفي إذا اختفى العداء للساميه ولكن الصهاينه يزعمون ان العداء للساميه خالد الى الأبد لأن العداء للساميه ظاهرة متعلقة بمشاكل الحياه السياسية في اوربا والولايات المتحدة .

لقد حقق الصهاينه اهدافهم في إنشاء دولة يهودية على أرض فلسطين لأن هدف الصهاينه لم يكن توطين اليهود أو حتى معظمهم في هذه الدولة (يوجد حوالي ٩, ١٨ مليون خارج اسرائيل ، ولكن الهدف كان خلق مركز بؤري) يمكن منه التأثير في المحيط العربي والإسلامي لاسيما بعد اتفاقيات السلام في كامب ديفيد ومديرد واسلو ، ١٩٩٢م والتخطيط لتكون اسرائيل محور الشرق الأوسط والإسلامي حيث أن هذا المركز الاسرائيلي يحظى بأهمية كبرى من الولايات المتحدة كقوة عالمية وحيدة قائدة للعالم المعاصر بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١م أن هذا المركز القومي لليهود (اسرائيل في فلسطين ، خطط له للسيطرة على مقدرات العالم العربي ٢٧٠ مليون والإسلامي ١, ٢٥٠ مليار ومائتي وخمسون مليون) وذلك بما تمليه الظروف الاقتصادية مستقبلاً . ومن هنا لا محل بتاتاً للتفكير في تهجير كل الشعوب اليهودية الى اسرائيل لذا كان اقتناع القادة الصهاينه

وحلفائهم بأن فلسطين تشكل قوة جذب من ناحية الرمز الدينى لذا كان الاستعمار الاستيطانى الاحلالى واعتبار ذلك واجباً دينياً وكان ذلك يدفع جزء كبير من يهود اوربا الشرقية وروسيا الى الهجرة (شعوب الخزر الاتراك المغول من غير العناصر الساميه) حتى لو سلمنا بأنه لا زالت توجد عناصر ساميه قديمة وهذا مستحيل وإذا جاءت عناصر استعمار فلسطين من عناصر خزرية من روسيا وشرق اوربا ، وهكذا اندفعت موجات المهاجرين اليهود ضحايا الاضطهاد فى اوربا الشرقية الى امريكا وليس الى الشرق الاوسط حيث وصل عدد يهود امريكا عام ١٩٥٠ الى اربعة ملايين ونصف مليون يهودى ، لكن فكرة إنشاء اسرائيل كان تحقيق الاندماج الذاتى لليهود الذين جاؤا من تسعين دولة وهذا لن يحقق لهم الاستقرار لأنهم اغتصبوا ارضاً عربية وانهم لن يكونوا أمه كالأمم الأخرى عن طريق خلق وطن قومى لهم ، وانهم إذا كانوا قد نجحوا فى إنشاء دولة فإنه لن تتوطد روح يهوديه فى مركز قومى يهودى على ارض فلسطين لأنهم لن يكونوا قادرين على الاندماج مهما كان إنشاء دولة هو الاسلوب الوحيد لحل كافة مشاكل اليهود فى شتى انحاء العالم ، انها مرحلة زمنية ولن يطول هدف الصهيونية على المدى البعيد أن اضطهاد النازية لبنى جنسهم يهود المانيا يشكل عقبة فى ذلك الوقت بين الشعب الالماني والشعوب الاوربية الأخرى لذا كان لابد من تحقيق هجرة شاملة لليهود من المانيا وتوطينهم فى فلسطين وحل مشكلة اوربا من اليهود على حساب الحق العربى فى فلسطين .

ونلاحظ هنا أن اليهودية لم تبلغ كامل اهدافها فقد اقامت حقاً دولة يهودية إلا أن اقامة دولة يهودية لم تكن غاية فى حد ذاتها فى ذهن رواد الصهيونية بقدر ما كان وسيلة لأهداف أخرى ، لاحظ احتفال الصهاينه عام ١٩٩٧م فى مدينة يازل فى سويسرا التى شهدت المؤتمر الصهيونى الاول منذ ١٨٩٧م بمناسبة مرور مائة عام على فكرة إنشاء وطن قومى لليهود ، ومن ثم فإنه لا يمكن اتهام العرب اصحاب فلسطين ومن حولهم من اخوة العروبة بأى ذنب ولا يمكن اعتبارهم مسئولين عن آلام اليهود الاوربيين بل ويحق للعرب أن يقولوا انه إذا كان الاوربيون يشعرون بالمسئولية تجاه اليهود وابداء سبعة ملايين يهودى (ارقام مغالطة) أو أقل ومهما يكن الرقم الصحيح مليون ونصف أو أقل أو أكثر فعلى الاوربيين وحدهم تقع المسئولية وعليهم أن يقدموا الارض ، لا أن يفرضوا الارض على العرب فتقتطع منهم فلسطين .

لقد لعب الصهاينه بورقة خاسرة مهما يكن الاعتراف باسرائيل فقد تطور الضمير العالى

ولم يعد يقبل مهما تكن اتفاقيات السلام بفكرة الغزو الاستعماري والاستيطاني الاحلالي لشعب دون شعب فالشعب الفلسطيني يناضل للحفاظ على شخصيته والاحتفاظ بوجوده واستعادة حقه السليب أن العرب الفلسطينيين وقد تخلصوا من الوصاية التركية في السابق لا يريدون ان يخضعوا لسيطرة الانجليز والصهيونيه وان يقبلوا الى الابد بوجود اسرائيل ولا يرغبون في التحول الى اسرائيلين لاحظ قبول عرب اسرائيل ذلك في ظل ظروف قهرية وأن هناك ١ مليون عربي يمثلهم ١٢ عضو في الكنيست انتخابات مايو ١٩٩٩م يحسون بالولاء للعرويه وفلسطين وانهم لم يقبلوا الجنسية الاسرائيلية عن طيب خاطر وانهم يريدون الاحتفاظ بشخصيتهم العربية وان يعيشوا في ظل دولة عربية فلسطينية ومن هنا لابد أن يكون الاتجاه الى تكوين دولة عربية فلسطينية ان الفلسطينيين يشهدون العالم اجمع انهم يريدون التخلص من السيطرة الاسرائيلية لأن الاستيطان الصهيوني في فلسطين يختلف عن الاستيطان في البلاد الأخرى اختلافاً جوهرياً فيما كان يقوم المستوطنون في البلاد الأخرى اقتصادهم على اساس استغلال العمل الوطني فإن الاستيطان في فلسطين قد تم نتيجة الحل محل سكان البلاد الاصليين وخروجهم لقد خلقت هذه الحقيقة تغييراً قريداً في نوعه للمشكلة الفلسطينية ففي ظل الاستيطان تبين انه لا مكان للفلسطينيين في ارضهم وأن اسرائيل قد تكونت بطريقة مصطنعة على حساب السكان العرب اصحاب البلاد لا تغير شيئاً من الحقيقة الراهنة وهي أن هذه الدولة موجودة الآن ومن هنا فإن اسرائيل هي وطن الصابراً من الشباب أي هو الجيل الجديد الذي ولد في اسرائيل منذ ١٥ مايو ١٩٤٨م (حوالي خمسين عاماً) فالأمن بغض النظر عن الظروف الصهيونية التي ساقطت الالباء الى هذه البلاد يعني الاعتراف بالهزيمة والواقع المعاصر .

وكما قلنا سابقاً فإن شعوب اسرائيل جاؤا من شتى انحاء العالم ومن هنا فإنه ليس في العالم كله مثيل لما يوجد في اسرائيل من تقسيم الناس افقياً ورأسياً ووترياً ووضع الناس والسلالات المختلفة في خانات ودوائر لتبسيط الأمور يقولون أن هذا التقسيم يجري على أساس السلالات ، ذلك لأن انقسام المجتمع إلى سلالات هو احد اسباب التوتر المستقبلي ومقتل اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل الاسبق .. على يد شاب شرقي من يهود اليمن ، وتعبيراً ادق فإن المجموعات التي تحظى بالتقدير تشير حفيظة المجموعات الأدنى من الفلاشا واليهود الشرقيين السفارديم ويتمتع بالنفوذ الاكبر اولئك الذين هم اقرب مما يكونون الى المهاجرين الاوربيين الرواد

فالاوربيون أو الاشكناز هم أعلى مرتبة من القادمين من الشرق الأوسط ، ذلك أن التمييز هو بمثابة قانون يسيطر على حياة المجتمع ككل بل أكثر من ذلك فإنه داخل كل مجموعة أو طائفة قدمت من بلد مثل بولندا - رومانيا - روسيا - توجد تقسيمه أخرى فرعية فاليمينيون أقل درجة مثلاً من اليهود المغاربة .

وكيف أن المجتمع اليهودي معرض لأكبر انفجار ونظراً لهذه المتناقضات العدائية التي سوف تجتاح إسرائيل كما حدث بقيام يهود الفلاشا بالثورة ضد الحكومة وكذلك قيام اليهود القادمين من شمال أفريقيا بمظاهرات صاخبة وكيف أن جموعهم حطمت واجهات المحال التجارية في حيفا وبئر سبع وكانوا يحتجون على سوء المعاملة والظروف السكنية السيئة وكان احتجاجهم على مكانتهم المنحطة في المجتمع لاسيما أنه توجد حالة بطالة نظراً لتعثر عملية السلام في عام ١٩٩٦م بين مصر وسوريا وبروز مشاكل اجتماعية من جراء التصادم بين الطوائف اليهودية (المتدينين والعلمانيين) ووجد كثيراً من العاطلين من اليهود الشرقيين السفارديم الذين جاء معظمهم من بلاد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا .

ويستغل الصهاينة هذا الوضع للتخلص من وطأة التناقضات الطبقية بين الطوائف اليهودية ولضمان وحدة مؤقتة بين كافة العناصر المستفيدة في قليل أو كثير من سياسة اضطهاد الاقلية العربية (مليون مواطن عربي يعيشون داخل فلسطين قبل ١٩٤٨م أصبحوا يحملون الهوية الاسرائيلية) .

ان المنظمة الصهيونية العالمية التي تكونت عام ١٨٩٧م على أسس عنصريه وتتخذ من الولايات المتحدة مقراً لها لا تزال المركز الرئيسي للحركات الصهيونية وهي تقود وتشرف على نشاط الجمعيات الصهيونية في أكثر من ستين (٦٠) دولة وهي تحتفظ بجيش من الصهاينة الامريكين الذين يساندون اسرائيل (اللوبي الامريكي الاسرائيلي) وهي على أتم استعداد للضغط لصالح الدوائر الحاكمة في اسرائيل لاسيما انها تضم اصحاب الملايين الامريكين ومن يرتبطون بهم من اصحاب الملايين في اوربا الغربية وكل ذلك لخدمة دولة اسرائيل وحدها وهم وراء تحويل اسرائيل الى قوة عسكرية متوحشة قادرة بالفعل على السيطرة على مجرى الأحداث في الشرق الأوسط ومواصلة تقوية اسرائيل بوصفها المركز للتأثير السياسي على ملايين اليهود من مواطني مختلف الدول .

ومن هنا فإن قادة الصهيونية يحتاجون في اسرائيل ليس فقط الى الطبقة الحاكمة وانما

ايضاً الى طائفة مميزة تتكون من القادمين من الدول التي توجد بها اليهود الواسعي الثراء أو النفوذ السياسى فى اوربا وامريكا فالمطلوب من هذه الطائفة أن تكون واجهة لاسرائيل ككل وذلك لأن علماء النفس الصهاينة يعتقدون أن جزءاً هاماً من يهود اوربا وامريكا بحكم تعاطفهم مع امثالهم يمكن ان يساهموا فى التضحيات من اجل اسرائيل (اعضاء اللوبى فى مجلس الشيوخ والكونجرس) بل اكثر من ذلك فإن المهاجرين اليهود الذين قدموا من اكثر من اربعة وتسعين دولة (٩٤ دولة) وليس تسعين كما سبق القول ويتكلمون سبعة لغات هم الذين ليس لهم ادنى حق تاريخى أو ايديولوجى أو دينى أو أى شكل من أشكال الحقوق فى بوصه واحدة بل سنتمتر واحدا فى ارض فلسطين ولكن هى حالة اغتصاب استعمارية استيطانية احلالية جاءت لتحل شعباً على حساب شعب فلسطين العربى ذلك لأن السيطرة على شعب آخر يودى بالطفاه أنفسهم الى الانحطاط الخلقى أى أن شعب يضطهد غيره لابد حتماً أن يفقد حريته وحرية مواطنيه .

وعلى سبيل المثال فإن الحركة الاسرائيلية من اجل السلام قد قامت فى كثير من البلدان بتوزيع بيان تحت عنوان (حرب الأيام الستة) حرب دفاعيه خاضها الشعب الاسرائيلى من أجل انقاذ وجود دولة اسرائيل ذاتها ، ذلك لأن تأييد العدوان الاسرائيلى ليس على الإطلاق تأييد لاسرائيل انما من أجل تحقيق اهداف الصهاينة فى دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات الحلم الذى تسعى فكرة الشرق أوسطيه الى تحقيقه .

انه رغم اتفاقيات السلام ووجود بند للاجئين (فى اتفاق اوسلو عام ١٩٩٣م) فإن اسرائيل ترفض عودة اللاجئين (اكثر من اربعة ملايين فلسطينى) رفضاً كاملاً وحاسماً لأنه لا يمكن توطين اللاجئين العرب فى اسرائيل ذلك لأن عددهم بالنسبة لاسرائيل يمثل قنبلة ذرية تلقى عليها وإنما يتم بناء المستوطنات وتوسيعها لتستوعب اليهود القادمين من شتى انحاء العالم لكن كيف يكون ذلك فالفلسطينى الذى عاش فى فلسطين الاف السنين فإنه غريب عن الأرض ولاحق له فى العيش فى هذه الأرض وانه اجبر بقوة السلاح على مغادرة ارضه ودياره والحياه داخل موطنه كمجموعة من اللاجئين ذلك لأن الصهيونيه تريد استيطان الأرض العربيه وطرده سكانها العرب وبناء المستوطنات المتعددة فى ارض الضفة الغربية وغزه فى ظل حكم حزب الليكود بقيادة بنيامين نتنياهو ترك الحكم بعد انتخابات مايو ١٩٩٩) ونجاح يهود براك زعيم حزب العمل ان التضليل الذى رفعه الصهاينه عن فلسطين بالقول ان فلسطين كانت بلداً بلا شعب وبانهم كانوا شعباً بلا بلد .

ومن ثم تحقق لهم الارض لكن من جهة اخرى فليس لكل هذه الشعوب ادنى حق تاريخى فى ارض فلسطين باعتبار أن جزء من يهود التوراة الذين يدعون زوراً وبهتاناً ان اجدادهم قد عاشوا فترة من الزمن منذ ثلاثة الاف سنة وتلك رواية باطلة ليس لها ادنى سند تاريخى وسوف نشرح ذلك فى الفصول القادمة لكى نضع الحقائق التاريخية امام القارئ لكى يعرف حقيقة الخداع والتضليل والباطيل التى يحاول قادة الصهيونية واسرائيل مسخ العقول لتثبيت هذه الاكاذيب ، ذلك لأن اسرائيل مخطئة فى أن تجعل كذباً قضية حقوق تاريخية ومن ثم فإن اسرائيل مطمئنة فى الاعتماد على القوى الامريكية والاوربية وقوتها النووية والعسكرية فى الوجود ، كما أن الإمكانيات التى تمكن لاسرائيل ان تحصل عليها بفضل انتمائها الى العالم الغربى وتطوره العلمى والتكنولوجى بساعدة علماء اليهود من الدول الغربية يجعلها تحلم بالبقاء الى الأمد البعيد فى فلسطين ان انتماء اسرائيل للعالم الغربى يرجع الى اختيار سياسى اكثر منه الى اختيار آخر انه ربما يحدث فى ظل اتفاقيات السلام فإن الهجرة الى اسرائيل ستتخفف الى نسب طفيفه بفضل حلف مناهضة السامية فى اوربا وامريكا كما قد تستأنف عندئذ هجرة اليهود المعاكسة من اسرائيل ومن ثم يظهر بشكل واضح تطور نحو زوال الطابع الصهيونى للدولة .

كذلك فإن الأمر فى النهاية ربما ينتهى إلى ظهور دولتين (فلسطين واسرائيل) ذات قوميتين مع وجود ضمانات لكل منهما مشابهة للدولة التى انتهى إليها قرار التقسيم عام ١٩٤٧ أو كما كانت فلسطين فى ظل الانتداب ، ذلك لأن إنشاء اسرائيل قد وضع فى منظور الشرق الاوسط مزيداً من الصعوبات والاضطرابات علاوة على جميع الاسباب الأخرى التى كانت قائمة ، أن التاريخ قاسى . ذلك لأن ابراهيم عليه السلام كان غريباً فى أرض كنعان التى غزتها فيما بعد جيوش (يشوع بن نون) بأساليب يسمونها هذه الأيام إبادة الجنس .

وطبقاً للتاريخ كان أصحاب فلسطين الأوائل هم شعب كنعان الذين استوطنوا فلسطين ونتيجة لذلك فإنه لا يحق لليهود المطالبة بأدنى حق فى فلسطين إلا كفزاه أو مستعمرين أو عابرى سبيل عاشوا فترة مرور فى ارض فلسطين وان المرور زمن داود وسليمان أو قبلهما أو بعدهما لا يعطى لهما ادنى حق أو تعطى بعض الحقوق ولسنا فى عهد يشوع ، أو داود أو سليمان ولكن على ابواب القرن الحادى والعشرين ، أن التحيز الامريكى لليهود ضد العرب لن يدوم لأمد طويل ويجعل العرب يتنازلون عن حقوقهم فى فلسطين وهذا ما يعاب على الامريكين وعلى الاسرائيلين لعدم

القدرة على فهم حركة المسار التاريخي والنظرة الخاطئة الى المستقبل العربي ذلك لأنه حقاً لقصة رهيبه إى أنه لمن سخرية القدر ان يتحول من وقع عليهم الاضطهاد الى ممارسين للاضطهاد بالنسبة لغيرهم . لقد أدى مبدأ الأرض اليهودية وقيام اسرائيل إلى إقامة نظام اكتفاء ذاتى طابعه العزله والعنصرية .

أنها دولة ليس لها اساس تاريخى انهم ليسوا احفاد يعقوب أو إسحق أو الأسباط الاثنى عشر ابناء اسرائيل أو من يهود التوراة من أبناء موسى ، وهارون أو داود وسليمان ومن جاء بعدهم من الانبياء واليهود لكنهم شعوب أخرى أريه جرمانيه تركيه قوقازيه مغوليه من اربع وتسعين دولة فأى أساس تاريخى لهم فى فلسطين بل كيف يتذرعون بالأساس التاريخى وهم يغالطون ويوزرون التاريخ وأنهم يرفعون قضية أو نظرية الحق التاريخى وذلك لكى يثبتوا أنهم وحدهم يفهمون وغيرهم لا يفهم فى حين أنهم ليسوا فحسب جاهلين بالأساس التاريخى للتحويل بل لا علم لديهم أيضاً عن مجرد الأساس التاريخى للصراع العربى الاسرائيلى اليهودى ، انه عندما صدر وعد بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧م لإنشاء وطن قومى لليهود (مجتمع يهودى لا دولة يهودية) كان اليهود يسيطرون فقط على ٤٪ من أرض فلسطين وكان عدد اليهود المقيمين فى فلسطين يقلون عن ٤٠ ألف يهودى ، ان الذين يدعون الحق التاريخى يطلقون الأكاذيب بل من المعتدين على الحق التاريخى العربى نظراً لعروبة فلسطين منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد .

أن الشئ الوحيد الذى يجب ان يفهمه الاسرائيلين انهم حفنه من الناس من بلدان مختلفة وشعوب وسلالات واجناس مختلفة يعتنقون الدين اليهودى وهذا هو الشئ الوحيد المشترك الذى يجمعهم ويوحد بينهم وانهم ليسوا من أصل واحد بل من أصول مختلفة كما ذكر فى الصفحات السابقة وانهم يعتنقون افكار وفلسفات مختلفة تماماً لأنهم مرتبطون بالبلد الذى قدموا منه وكانوا يعيشون فيه وهذا الكلام لا ينطبق على يهود الصابرا الذين ولدوا فى أرض فلسطين (اسرائيل) مما يجعل الاختلاف اقل ربما وجود عدة طوائف يهودية فى أرض فلسطين من الدول التى وجدت منذ الأزل لا يمكن أن يُمحي شعبها فى يوم وليله بل هو باقى إلى أن تزول اسرائيل ، ولكن أن تخلق دولة جديدة (١٩٤٨ - ١٩٨٨م خمسون عاماً فقط) بالرغم من معارضة الجميع ولا أحد يعرف فائدتها للحياة الإنسانية ومعنى هذا وجود حالة معادية من الشعوب العربية والإسلامية وليس حكومات بعض الدول العربية والإسلامية ووجود رغبة فى القضاء عليها لكى تكون دولة اسرائيل دولة

علمانية لا تكون بالضرورة دولة قائمة على فكرة دينية تجمع العرب مسلمين ومسيحيين ويهود وغيرهم من الطوائف في ظل دولة فلسطينية ، إذ أنه ليس من حق أى شعب حتى ولو كانت شعوب اسرائيل أو كما يتصورون خطأ أنهم شعب الله المختار الذى ذاب وتلاشى مع الشعوب والزمن والتاريخ وتعطى لنفسها الحق فى حرية السيطرة والاحتلال والتصرف فى جزء من أجزاء الكرة الأرضية وأكثرها قدسية لدى جميع الأديان السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام ، أن اسرائيل قائمة على حساب الآخرين وعلى حساب السلام العالمى .

أن الهدف الحقيقى للفلسطينيين والعرب ليس تدمير اسرائيل بل القضاء على الكيان الصهيونى وهم لا يرغبون فى حرمان يهود فلسطين أو يهود اسرائيل من حقوقهم الوطنية ولكن بتحطيم الصهيونية وبناء دولة علمانية فلسطينية على المدى البعيد ويحق للشعب الاسرائيلى أن يعيش كما يعيش العرب فى المنطقة فى ظل مستقبل عربى مشترك ذلك لأنه فرق كبير بين اليهودية كدين وبين الصهيونية كحركة استيطانية احلاليه لاسيما ان الصهيونية قد اتخذت مما جاء فى التوراة من وعد الهى لإبراهيم منذ أكثر من أربعة الاف سنة سنداً لها انسجت حوله الاساطير الواسعة لجمع شتات يهود العالم تحقيقاً لمخططاتها السياسية فى مواجهة كل حقائق التاريخ .

ولقد استغلت الاسطورة الصهيونية هدفها لجمع اليهود والاعتداء على حقوق شعب فلسطين العربى تحقيقاً للمطامع التوسيعية بطرد العرب بما يروونه فى سفر الخروج فى العهد القديم بل أنه لم يكن لليهود بل باسرائيل ادنى صلة بأرض فلسطين بل كانوا قوم تابعين وعالة على غيرهم طول حياتهم ولم يكن لهم أى كيان مستقل فى عصر من عصور التاريخ ولم يكن لهم استقرار فى فلسطين كلها فى أزهى عصورها ، بل فى عصر داود وسليمان كان الفلسطينيون وهم الذين تسمى فلسطين بأسمهم قد نزحوا كشعب يعرف بهذا الاسم الى هذه الأرض بعد مجيئ الكنعانيين وسكنوا الساحل الجنوبى الغربى من فلسطين وهى المنطقة المحصورة بين غزة ويافا وكان جبل الكرمل يفصل بينهم وبين الفينيقيين فى الشمال .

وبذلك يمكن القول بأن فلسطين لم تخلص لليهود القدامى فى يوم من الأيام ولم تخلص لليهود الصهاينة فإنهم قوم تابعون ولم يكونوا مستقلين بها يوماً واحداً .

ان شعب اسرائيل قد ذاب فى الأمم منذ القدم حيث انقضت على اسرائيل فترة من الزمان منذ عهد ابراهيم الى عهد المسيح بلغ مداها عشرون قرناً (٢٠٠٠عام) من الزمان فى هذه المرحلة

الطويلة قبل الميلاد وتتابع الأنبياء وتجاوز عددهم المئات لمن عرفهم ومن لا نعرفهم حتى انتهى المطاف بهم إلى المسيح عيسى بن مريم الذى رأى الكهنة اليهود ورؤساء الشعب يتاجرون باسم الدين وياسم الله بقوله فى انجيل يوحنا (٤٧: ٤٥: ٥) يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم لأنكم لو كنتم تعرفون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامى ثم يحذركم ويذكركم بانحراقهم منذ عهد موسى عليه السلام .

وقد قرر رؤساء اسرائيل امام عزرا قائلين لم يتفضل شعب اسرائيل والكهنة والملاويون من شعوب الأرض حسب رجاساتهم من الكنعانيين والحثيين والقرزنيين ، واليبوسيين ، والعمورنيين ، والموابيين ، والمصريون ، والاموريين ، لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيتهم واختلط الزرع المقدس بشعوب الأرض وكانت يد الرؤساء والولاة فى هذه الخيانة أولاً (عزرا ١: ٩-٢) .

وهذا يعنى الذوبان فى شعوب كثيرة منذ أكثر من الفى عام ويبطل نظرية نقاء السلالة اليهودية وتفوقها ، ولم يكن شعب واحد ، أو جنس واحد نقى خالص بل يرجع الاختلاط والانصهار والذوبان منذ قديم الزمن ومنذ عصر يعقوب الذى تزوج ابنة من الكنعانيين العرب ومن ثم حدث اختلاط بين شعوب متعددة وهذا لا يعطيها ادنى حق تاريخى أو توارثى أو بائى صيغه من الصيغ الاغتصاب لفلسطين تم بالقوة المسلحة وبمساعدة الدول الكبرى عام ١٩٤٨ م وقبله بالتخطيط مع القوى الغربية والواقع والتاريخ ينفيان نقاء السلالة العبرانية فاختلاط الشعوب بعضها ببعض عن طريق التزواج واعتناق بعض شعوب الأرض للديانة الموسوية واعتناق اليهود منذ زمن المسيح عليه السلام للديانة المسيحية ودخول المسيحيين واليهود فى الإسلام وكل هذه العوامل افقدت اليهودية على مر الزمان طابعها الخاص وعنصريتها على الرغم من أنهم جعلوا اللغة العبرية أساس تفاهم فى بعض البلدان حيث أن معظم هؤلاء الاتباع لا يفهمون اللغة العبرية القديمة أو الحديثة .

والثابت تاريخياً أن عشرة اسباط من الاثنى عشر سبطاً قد اندثروا نهائياً عام ٧٢٢ ق.م وان سبطين فقط منها سبط يهودا قد امتزجوا بالشعوب وان قسماً كبيراً منهم استوطن منفاه فى بابل ولم يعد الى فلسطين والآن كيف يمكن لأى يهودى الادعاء بأنه ينحدر مباشرة من أولئك اليهود الاقدمين الذين عبروا واحتلوا بل ربما سكنوا يوماً ما من الأيام الأرض المقدسة فى فلسطين .

واسرائيل بوضعها الراهن تجمع اشتتاتاً من الشعوب وان الاختلاف لا يقتصر على الجنس واللون والبشرة بل يتعداه الى الزى واللغة والعادات واسلوب التفكير الذى يبطل نهائياً فكرة ارتباط

اليهودية أو الاسرائيلين أو العبرانيين بأرض فلسطين ما نشر في جريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ٢٨ يناير ١٩٩٨م عن توقع صدام سياسى فى اسرائيل بسبب دخول العديد من غير اليهود فى الديانة اليهودية ، بطلان فكرة ان اليهود الحاليين لهم صلة بيهود التوراة (وذلك لأن الحاخامات المتشددون يرفضون مقترحات لجنة (نبثمان) وزير المالية (١٩٩٨م) الاسرائيلى للتوصل إلى تسوية حول قانون اعتناق اليهودية ، وكيف اعلن العشرات من الحاخامات المتشددين فى اسرائيل معارضتهم ورفضهم القاطع لأية تسوية مع الحركات اليهودية الليبرالية حول قانون اعتناق اليهودية للعديد من الديانات الأخرى كالمسيحية والبوذية والهندوكية وغيرها كالبهائية .

ووصفت وكالة الانباء الفرنسيه الرفض الجماعى من جانب حاخامات الطائفة اليهودية الارثوذكسيه للتوصل الى حل وسط مع التيارات الإصلاحية والمحافظة حول قانون اعتناق اليهودية لغير اليهود والذي يزيد فى فرص حدوث صدام سياسى كبير حول هذه القضية داخل اسرائيل وفتح المجال لأصحاب الديانات الأخرى باعتناق اليهودية .

ففى خطاب مفتوح نشر فى الصحف اليهودية المتشددة شن الحاخامات هجوماً عنيفاً على الحركات الإصلاحية والمحافظة وقالوا ان هذه الحركات تدمر الديانة اليهودية وذلك بالسماح لعناصر غير يهودية بالدخول فى عقيدة اليهود وأن ذلك يؤدى الى تزوير التوراة وتعمل على دمج المجتمعات اليهوديه فى خارج اسرائيل بالدول والمجتمعات التى يعيشون فيها واكد الحاخامات المتطرفون رفضهم التام لمقترحات اللجنة التى يرأسها وزير المالية (باكوف نبثمان) لإيجاد تسوية القانون الجديد والتى تطالب بإقامة مراكز اعتناق لكل طائفة لإعداد الراغبين فى اعتناق اليهودية .

ويسمى اليهود المتشددون إلى طرح مشروع قانون فى الكنيسست الاسرائيلى يهدف إلى تثبيت هيمنتهم على عمليات اعتناق الديانة اليهوديه فى اسرائيل على حساب التيارات الأخرى لكن التيارات الإصلاحية والمحافظة وافقت على اقتراح التسوية والسماح للعناصر غير اليهوديه باعتناق الدين اليهودى مما يبطل القول بنقاء الجنس اليهودى وأنهم شعب واحد وليس شعوباً متعددة جاءت من كل اجناس الأرض وما جاء فى التوراة قديماً ثبت كذب الانتماء لجنس واحد .

الفصل الثانى

سكان فلسطين منذ اقدم العصور

حتى قدوم العبرانيين

لقد قال الدكتور / فايز صابغ فى حديث بالتليفزيون الامريكى - تليفزيون Wnew.Tw فى نيويورك القناة الخامسة واذيع يوم الاحد ٣ ديسمبر ١٩٦٧ من الساعة الثامنة الى الساعة العاشرة مساءً ما هو (لقد كان السكان الاصليون لفلسطين أولاً وقبل كل شئ هم الكنعانيون) الذين عاشوا فى فلسطين حوالى ثلاثة الاف سنة قبل مجئ العبرانيين ثم جاء العبرانيون بقيادة ابراهيم وكانوا اسرة عاشت هناك ثلاث اجيال (١٠٠-١٢٠ سنة) وهاجرت الى مصر طواعيه واختياراً ثم بعد ذلك عاد العبرانيون بقيادة موسى ثم بقيادة يشوع فيما بعد وقاموا باستعمار وغزوا بعضاً من ارض فلسطين واحتلوا جزء منها ولم يحتلوا قط باكملها ثم طردوا منها ثم عادوا من جديد ثم طردوا مرة أخرى وعليه فإن الكنعانيين كانوا هناك فى فلسطين خلال الثلاثة الاف سنة الأولى من تاريخها ونحن من نسل الكنعانيين ولم يكن خلال هذه السنوات الطويلة الأخيرة من تاريخ فلسطين (الافى سنة) أى وجود للعبرانيين فيها وإنما كان للعبرانيين علاقة غير متصلة وإنما انقطعت ثلاث مرات بفلسطين طوال حقبة من الزمن تتراوح بين ١٢٠٠ و ١٥٠٠ سنة) .

ومن هذه المقولة سوف ننطلق لتحدث عن سكان فلسطين وما هى القبائل التى سكنت هذه الأرض منذ عصور قديمة لكى يدرك القارئ حقيقة الحق التاريخى العربى فى فلسطين منذ اربعة الاف سنة قبل الميلاد وكيف سوف تخصص بعضاً من فصول هذه الدراسة للحديث عن العبرانيين ليس كحق لهم فى فلسطين ولكن كقوم عبروا هذه الأرض وأنه ليس هناك ادنى صلة تاريخية أو سلالية أو عرقية ، أو جنسية ، أو انثربولوجيا أو جينية بين سكان فلسطين وبين العبرانيين الذين جاءوا إلى هذه الأرض وعاشوا فيها ورحلوا لأن الشعوب الحالية هم من أجناس مختلفة كما سبق الاشارة فى الفصل السابق .

وتقول لقد كانت الجزيرة العربية بسكانها خزان هائل تدفع بالموجات المهاجرة نظراً لبعض الظروف الداخلية وكان ذلك يؤدى الى خروج العرب عن جزييرتهم فى شكل هجرات أو موجات

متعاقبه فكانت الهجرة الى فلسطين وبلاد الشام وبابل حيث اختلط هؤلاء العرب وسكنوا هذه المناطق وصبغوها بالصبغة العربية منذ الأزمنة القديمة .

ويذكر أنه في الألف الرابعة قبل الميلاد كانت تقوم في بلاد ما بين النهرين دول (سومر واكاد وعيلام) ومنها تسربت العناصر الآسيوية السامية إلى فلسطين وإلى المصريين وامتزجت بهم ويذهب بعض المؤرخين إلى أن السومريين ظهروا في الألف الخامسة قبل الميلاد وانهم هاجروا من شبه الجزيرة العربية وانهم اختفوا بعد أن هاجرت إلى نفس المنطقة الاقوام السامية الشرقية وقد اثبتت قبور ابيدوس في سوهاج بصعيد مصر والتي تعود إلى العصر النيوليني ان صلات تجارية متبادلة كانت قائمة بين مصر وسكان فلسطين الذين سوف نعرض لاصولهم الشرقية وتثبت أن صلات مباشرة أو غير مباشرة بين الدلتا المصرية وشمال سوريا كانت قائمة في بداية العصر التاريخي مع هؤلاء الساميين العرب وذلك قبل ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد .

بل عن طريق الآثار المصرية تبدأ معرفتنا في أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد بأهل فلسطين وما بين النهرين وعيلام المطلة على ما بين النهرين ومن هذه الآثار بين لنا الطراز من الشرقيين الاسبوين وبين بوضوح البدو والعرب الذين من أصل سامي بحت والذين يسكنون الواحات والصحارى العربية سواء في شبه الجزيرة العربية أو على الضفة اليمنى من النيل وجبال سيناء أو المنطقة الجرداء بين مصر وسوريا وفلسطين . وقد دفع البدو الرحل قطعان ماشيتهم وقادوا قوافلهم عبر الصحارى شرق مصر طيلة الاف السنين قبل أن يستقر لهم قرار فظهروا اول الأمر في جنوب العراق برفقة الكنعانيين ويجوارهم قوم من غير الساميين هم السومريين وهذا هو وطن الاشوريين الذين ظهروا في الألف الثالثة قبل الميلاد .

وهذان الفريقان الكلدانيين والاشوريين ظهرت قوتهما بما اكتسباه من اقوام عربية سامية أخرى هاجرت إلى ما بين النهرين من جنوب شبه الجزيرة العربية وكان اوضح الهجرات الهجرة من الجنوب في أيام الملك سارجون الكبير (٢٨٠٠ قبل الميلاد وحمورابى ٢١٠٠ ق.م) وفي ذلك الوقت كانت قبائل العاموريين قد تكونت في سوريا وفي الواحات التي حول دمشق وكان اول ظهورهم على مسرح الحياة السياسية عندما غزاها ملوك كلدان في بدء الألف الثالثة قبل الميلاد ثم تكونت دولهم التي اقتتل حولها المصريون والاشوريون مع اقوام جدد هم الحيثيون والميتانيون .

وقد ذهب مؤرخو العرب قبل الإسلام إلى أن الهجرة الاولى قد حدثت حوالي عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد فاتجهت الى الشمال الشرقى أى الى وادى الفرات الادنى ومنها نشأت حضارة البابليين

والاشوريين وان الهجرة الثانية حدثت حوالى ٢٥٠٠ ق.م اى بعد الف عام من الهجرة الاولى وأن هذه الهجرة الثانية التى جلبت معها العاموريين والكنعانيين والفنيقيين فى سوريا وسواحل البحر المتوسط الشرقية .

وقد اعترف بعض العلماء بأن الجنس السامى كانت الجزيرة العربية هى المهد الأول لابناء سام وكان رأى آخر يرى أن ارض بابل كانت المهد الأول للساميين ، لكن ظهور الجفاف فى شبه الجزيرة العربية تعزى اليه الهجرات الساميه التى اندفعت منذ منتصف الالف الرابعه قبل الميلاد اى حوالى ٣٥٠٠ ق.م وكان كثير من العلماء الذين قاموا بابحاث جيولوجيه فى جنوب شبه الجزيرة قد تبينوا أنه لم تحدث فى الأقسام الجنوبية من شبه الجزيرة تغيرات جيولوجيه وجويه كبيرة منذ انتهاء العصر الحجري القديم الباليولينى حوالى عشرة الاف قبل الميلاد (١٠٠٠٠ ق.م) فقد ذهب كثير من علماء الشرق العربى القديم إلى أن نجد هى منبع الهجرات الساميه وذهب آخرون الى أن العروض ولاسيما البحرين هى ذلك المنبع وأن هجرة الفنيقيين وغيرهم كانت من هذه المنطقة وذهب آخرون الى أن جنوب شبه الجزيرة هو ذلك المنبع ففى هذا الجنوب ظهرت الساميه ومنه تدفقت الهجرات بعد أن اضطر العرب الجنوبيون إلى ذلك بسبب الجفاف الذى كان قد ظهر فى العصر الباليولينى .

ولكن نقطة البدء فى جميع هذه النظريات ان شبه الجزيرة العربية هى التى احتفظت للجنس السامى واللغات الساميه بأكبر قدر من النقاء كان الموطن الفعلى لكل السامين وأن الكلدانيين ربما كانوا ثمرة أول هجرة حوالى ٣٥٠٠ ق.م ثم العاموريين الذين ظهروا مع نوبة بابل حوالى ٢٥٠٠ ق.م ثم العبرانيين والاراميين حوالى ١٥٠٠ ق.م ثم اخيرا الانباط والعرب المسلمين وقد وصل العبرانيون والاراميون الى الاردن واستقروا فى الواحات التى تقع شرقى البحر الميت حوالى ١٤٠٠ ق.م وكانت السفن المصرية فى العصر الطينى أى فى نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد تتردد على شواطئ البحر المتوسط الفلسطينى لكن سكان هذه المنطقة لم يعرف عنهم شئ الا من الآثار المصرية والكلدانية ولم يبدأ تاريخهم الا مع الفنيقيين فى الشمال الفلسطينى فى الجنوب منذ حوالى ١٢٠٠ ق.م ولم يلحق بهذا الجزء اسم فلسطين إلا بعد أن جاعتها قبائل فليستا .

ومن هنا فإن الاقوام العربية الاولى فى شبه الجزيرة العربية هى التى استقرت فى فلسطين وان جزيرة العرب الوطن الاصلى للسامين لاسيما القسم الجنوبى من هذه الجزيرة .
وانه مع نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد وجدنا ان العرب السامين قد ظهروا فى شمال كلدنيا

قادمين من الغرب ولم يعلم على وجه اليقين إذا كانوا قدموا من اطراف شبه الجزيرة العربية أو من بلاد العرب العامورين الذين كانوا يسكنون المنطقة الملاصقة للهلال الخصيب وإن كانت بعض الآراء ترجح ان السومريين هم السابقون لأن المدن السومرية مثل اور " ونيور واوروك " قد ظهرت في فجر التاريخ وقد اشارت الألواح التي سجلت بالخط المسماري والتي اكتشفت في نبيوز ان الأسرة المالكة بدأت في كلدنا بعد الطوفان أي الى تاريخ سابق على عام ٢٤٧٤ قبل الميلاد وهو تاريخ تولى " اور " الملكية الثالثة أي في بلاد (اكاد) العربية السامية وفي الجنوب أي بلاد سومر .

اما الأسرة العربية السامية المالكة فقد خرجت من مدينة " اكاد " ونجحت في مد سطوتها واستطاع سارجون ملك اكاد حوالي ٢٨٥٠ ق.م ان يؤسس دولة ضمت كل المناطق المتحضرة في شبه الجزيرة الفراتية كمدن سومر واكاد ووسط الفرات وشاطئ سوريا وكان الوصول الى شاطئ البحر الابيض المتوسط ضرورياً لفتح اسواق جديدة امام نشاط العراق الزراعى الصناعى وقد ضم " سارجون الاكادى العربى سوريا وفلسطين الى دولته وقد دل لوح من الواح تل العمارنة مركز ديرمواس بمحافظة المنيا بصعيد مصر على أن سارجون ضم لبنان وجزء بلاد العرب العامورين وتابع احفاد سارجون نفس السياسة التى تهدف الى جمع الاقطار المتحضرة في شبه الجزيرة العربية تحت لواء وحدة سياسية حوالي عام ٢٧٦٨ ق.م فوصلت الى ارض الحسا على الخليج العربى فمما لاشك فيه انه في الثلث الاول من الالف الثالثة قبل الميلاد كانت هناك دولة عربية سامية تضم كل الهلال الخصيب بما فيه فلسطين . ومن المحتمل ان موانئ البحر الابيض المتوسط كانت تسكنها اقوام تنتمى الى الجنس الابيض المتوسط وان الاراضى الداخلية كانت تسكنها اقوام عربية سامية وان الامتزاج بين الجنسين قد اثمر الكنعانيين ولقد كان امتداد وحدود الدولة التى انشأها سارجون الاكادى الى اراضى الكنعانيين والعامورين سببا في زيادة الامتزاج بين العرب القادمين من العراق والذين يحملون معهم الحضارة الكلدانية وقد ظل العامورين والكنعانيون طيلة خمسة قرون يتلقون على الكلدانيين فنون الحرب والسلم وكان وصول الكلدانيين الى البحر المتوسط داعياً الى إنشاء صلات مباشرة بينهم وبين المصريين الذين كانوا قد سبق لهم التردد على ميناء جبيل وغيره من الموانئ السورية .

١- الكنعانيون

لقد سكن فلسطين منذ حوالي ٢٥٠٠ قبل الميلاد قبائل سامية نزحت من جزيرة العرب عرفت باسم الكنعانيين وسميت ارض كنعان لأنها ارض واطنه وكذلك سميت للتفرقة بينها وبين جزء آخر من هذه القبائل سكن لبنان وسمى بالفنيقيين وفي هذا الوقت نزح ساميون آخرون الى العراق وهم البابليون ونزح آخرون الى الشام وهم الاموريين وبالنظر لوقوع الاموريين في الشام والكنعانيين في فلسطين بين دول عظيمة في وادي الرافدين (البابليين والاشوريين)، في جهة الشرق وبين مصر من جهة الغرب بالاضافة الى وجود الحيثيين في الشمال فكانت هذه الدول تتحارب مع بعضها البعض في ميدان كان هو فلسطين والشام ولذلك لم يتسنى للاموريين والكنعانيين الوقوف امام دول كبيرة وانما اقاموا دولاً صغيرة على غرار دول المدن الكبرى .

وهكذا فإن هذه البلاد فلسطين كما يعرفها التاريخ كانت اهلها بالكنعانيين وكانت تدعى ارض كنعان وانهم اكتشفوا النحاس حوالي عام ٤٠٠٠ ق.م وتعلموا خلال الالف سنة التالية كيف يجمعون ما بين النحاس والصفائح لينتجوا البرونز حيث اعطى الشعوب البدائية ادوات واسلحة والكنعانيين ينسبون الى سام بن نوح وعندما سكن الكنعاني فلسطين فإن حدوده كانت تمتد من صيدون الى غزة ثم تمتد الى سورم وعموره وقد قاموا ببناء المدن المسورة .

وقد تعرض الكنعانيون في فلسطين للزحف من القبائل الفالستيه الذين سكنوا الساحل وكذلك الاسرائيليون الذين خرجوا من مصر وكل هؤلاء لم يستطيعوا ان يفرضوا سلطانهم على السكان الوطنيين الكنعانيين في مدنهم المسورة ومعظم المؤرخين يعتبرون ان مصر قد حكمت ارض كنعان في نهاية عهد رمسيس الثالث حوالي عام ١١٥٤ ق.م وان الحكم المصري بعد هذا التاريخ بدا وكأنه اصبح حكماً اسمياً لا غير وظلت ارض كنعان موضع شد وجذب بين الفريقين الذين اغارا عليها من الخارج الفلسطينيين والاسرائيليين في عام ١٠٠٠ قبل الميلاد على وجه التقريب. وقد اثبتت الكشوف الاثرية ان حضارة كنعان كانت تمتد من غزة جنوباً الى رأس شمراء شمالاً (اغاريت القديمة) وان اللغة والديانة والحضارة كانت واحدة في هذه البقاع ولم يكن اختلاف اللغة الا من قبل اختلاف اللهجات وقد بدا (الانوميين) يتسللون الى ارض كنعان ولم يكن الانوميين ذكر هناك في عهد الاسرة الثانية عشر وانما بدا استقرارهم في عهد الاسرة الرابعة عشره حوالي ١٢٠٠ ق.م وقد عاون الانوميون على دفع الكنعانيين الى مصر فدخلوها في هجرة امتزجت فيها معهم اقوام اسيوية

ساميه وعندما استطاع احمس طرد الهكسوس عام ١٥٨٠ ق.م فإن ذلك قد ادى الى اختفاء الهكسوس من التاريخ بعد سقوط عاصمتهم (افارس) فإنهم بعد أن امتزجوا بالكنعانيين والعموريين من الفرات الى برزخ السويس فإنهم تركوا فى هذه المنطقة من الشرق العربى اثراً باقياً وهكذا لم يكد ينقضى قرن واحد على سقوط (افاريس) عاصمة الهكسوس حتى حقق ملوك طيبه وحدة ضمت مصر العظمى والقرن الغربى لللال الخصيب فى آسيا وقد قام الكنعانيين ببناء القدس كعاصمة لهم وقد اطلق عليها اسم سومرى قديم وهو اورشالم Urusalim وقد اطلق سكانها العرب الكنعانيون (اليبوسين) وهذا الاسم واليبوسيون قبيلة عربية من اشهر قبائل العرب الكنعانيون عاشت فى فجر التاريخ فى جزيرة العرب ثم رحلوا الى بيت المقدس واتخذوها عاصمة لهم حوالى سنة ثلاثة الاف ٣٠٠٠ ق.م استوطنوا بها ودعيت بهذا الاسم نسبة الى زعيمها ييوس . وكانت على عهدهم تسمى " ييوس " وقد وردت بهذا الاسم فى العهد القديم اربع مرات تؤكد جميعها عروبة القدس . وقد ذهب داود وكل اسرائيل الى اورشاليم أى ييوس وهناك اليبوسيون سكان الارض وقال سكان ييوس لداود لا تدخل هنا فأخذ داود حصن صهيون وهى مدينة داود .

واليبوسيون كما اسلفنا اقوام عرب ينتمون الى اسم قبيلة كنعانية سكنت ييوس والجبال التى حولها فى ايام داود ونظراً لقوتهم لم يستطيع داود القضاء عليهم أو طردهم من ييوس بل وقد اشترى داود عليه السلام بياره من اروحه اليبوس حيث بنى سليمان ابنه من بعده الهيكل ، لكن سليمان هو الذى اخضع اليبوسين وظلوا سكان كنعان ، ولم يتم طردهم وإن كانوا قد خضعوا سياسياً لسليمان باعتبار أن الاسرائيليين غزاه ومحتلين واستغمارين ومن ثم ضرب عليهم تسخير العبودية وفرض عليهم الجزية .

ودخل بعض الكنعانيين اليبوسيون فى اليهودية الى ما بعد الرجوع من السبى البابلى اذن اول من سكن فلسطين هم سكانها العرب اليبوسيون وظلوا يقيمون بها ومنهم من اعتنق الديانة اليهودية وظلوا عليها وسبوا الى بابل ثم عادوا بعد انتهاء السبى وصار عليهم ما يصير على بنى اسرائيل وهو ما يدحض منذ هذا التاريخ البعيد ادعاء النقاء العنصرى . وقد ورد فى سفر الخروج الاصحاح ٢ فقرة ١٧ اصعدكم من مذبلة مصر الى ارض الكنعانيين واليبوسيون الى ارض تفيض لبناً وعسلاً وردت بنفس الصراحة فى سفر العدد (٢٩/١٢) وللحقيقة ورود هذه الاسماء المستنده الى ييوس والتى عرفت بعد ذلك فى سفر يشوع بأنها القدس واليبوبوس هى اورشاليم يشوع ٢٢/١٨ ويعطى صفة القدسية للمدينة من ناحية ويؤكد وجودها العربى قبل اليهودية جميعها التى جاءت متأخرة الاف السنين عن الكنعانيين .

وهكذا فإن القدس عاصمة الكنعانيين وفلسطين وطنهم فإن ذلك ما تؤكدده جميع المصادر التاريخية وايضاً التوراة (العهد القديم) وكذلك بعض كتب اليهود وإن هذه الارض لم تكن عبر تاريخها الطويل الممتد منذ نشأتها فى العصر البرونزى (٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد) على ايدى اليبوسيون ، وهم كنعانيون رحلوا من الجزيرة العربية ولا ينتمون بصلة للبرانيين وفى هذه الفترة التى يدعى فيها الاسرائيليون إقامة ما يسمى (امبراطورية داود وسليمان) فإنها لم تستمر سوى ما بين (٧٠ أو ٧٣ سنة) فقط حيث لم تكن لهم سوى السيادة على مناطق ضئيلة من فلسطين وليس فلسطين كلها حيث كان اليهود فى هذه الفترة أقلية بين سكان فلسطين الاصليين من كنعانيين واشوريين وحيثيين واموريين وفرزيين وصوريين ويبوسيين كما يعترف العهد القديم بهذه الحقيقة فى سفر القضاة فيذكر أن بنى بينيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان اورشاليم حتى اليوم أى حتى فترة السبى البابلى فى القرن السادس ق.م وهو ما يؤكد أن اليهود دخلوا ارض فلسطين وكنعان ، بالتسلل والحلول السلمى التدريجى وسكنوا مع سكان البلاد الاصليين ولو كان لهم قدره على طرد السكان الاصليين لما ترددوا فى ذلك وتؤكد حقيقة صغر عمرها ما يسمى بمملكة داود وسليمان وأن هذه المملكة استمرت اقل من ثلاثة ارباع قرن فى حياتها ولم تسيطر الا على مناطق صغيرة من فلسطين وإن كان يشوع وشاول لم يضعفا النفوذ الكنعانى الفلسطينى مهما استخدمتا من قوة .

وهكذا فإن فلسطين هى ارض كنعان اساساً نسبة الى سكانها الكنعانيين والكنعانيون فى التوراة ابناء كنعان بن سام بن نوح وهم اول من سكن فلسطين على ارجح الاراء وفى الدراسات الساميه القديمة ان الكنعانيين هم الاخرين قبيلة ساميه من الساميين الشماليين جاءت اصلاً من الجزيرة العربية منذ ٢٥٠٠ ق.م وفى رواية اخرى منذ ٣٥٠٠ ق.م وكانوا قد استقروا فى فلسطين منذ الف أو الفى سنة وأقاموا بها حضارة راقية كذلك فإن جزء من الكنعانيين كانوا قد رحلوا منها الى الساحل اللبناى قد عرفوا بالفنيقيين ومعنى ارض كنعان هو الارض المنخفضة وإلى جانب الكنعانيين فى فلسطين كان ثمة كوكبه اخرى من القبائل الساميه الصغرى (كاليدومين ، العموريين ، والموابين) تسكن على تخوم كنعان خاصة حول البحر الميت وثمره كذلك كان العموريون بعيداً الى الشمال وهم ابناء انتاك Anak فى التوراة وكانوا قد سيطروا على جزء كبير من فلسطين قبل الزحف المصرى الفرعونى نحو الشمال حوالى ١٦٠٠ ق.م .

ولقد كان على البرانيين لكى يستقروا فى ارض كنعان بأن يحاربوا الكنعانيين لكنهم لم يسيطروا الا على التلال والاراضى الفقيرة الداخلية وظلت السهول الغنية فى ايدى الكنعانيين

الأصليين وأغلب تاريخ اليهود في تلك المرحلة تاريخ دموي لا أخلاق فيه يدور حول الحرب والغزو إلا أن الهزيمة كانت من نصيبهم غالباً وعلى يد الفلسطينيين المشهورين في التاريخ القديم والذين استقروا على ساحل أرض كنعان في عام ١٢٠٠ ق.م أي أيام حرب طروادة وقد كان الفلسطينيون أقوى أعداء اليهود بصفة خاصة حتى أنه إذا كان منتصف القرن ١٧ ق.م أي بعد ١٥٠ سنة فقط من هجرة إبراهيم هاجر يعقوب وأولاده إلى مصر (الأسباط الاثني عشر).

ومن الثابت علمياً أن هناك وحدة ملحوظة بين العناصر الانثروبولوجية لأقوام فلسطين وما بين النهرين الذين يسمون عرب وكنعانيين وفينقيين وعموريين وكلدانيين واشوريين كما أن هذه الوحدة ملحوظة أيضاً في لغاتهم وقد انتقل بعض الكنعانيين منذ القدم إلى مصر وذابوا في المجتمع المصري مشكلين تيارات هجرة بشرية حتى ازدادت حركة هجرة هذه العناصر مروراً بفلسطين حتى القرن الثالث قبل الميلاد ومنذ منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد ساد الاضطراب مصر ولكن العنصر الكنعاني العربي كان يضيف طابعه في أثناء ذلك الاضطراب، فقد تولى الحكم في مصر أحد الأمراء الكنعانيين كما تمكن بعض البابليين من بناء مدينة على مقربة من ممفيس العاصمة المصرية مدينة اسموها بابل وقد ساعدت عوامل خارجية على إضعاف النفوذ المصري في فلسطين في تلك الفترة في نهاية الأسرة الثامنة عشر لاسيما عند ظهور العناصر الآرية غير العربية وقد تولى الكنعانيون والبابليون حكم بعض المناطق في مصر لكنه انتهى في بداية حكم رمسيس الثالث (١٢٠٠-١١٦٩ ق.م). بل إن هناك أقوال تذكر يورشاليم تعد أقدم اسم لمدينة منذ القرن التاسع عشر قبل الميلاد حينما كانت مركزاً لعبادة الكنعانيين الذين عاشوا قبل بني إسرائيل (يعني مدينة اورشاليم اسم آل الكنعانيين). بل إنه مما يذكر أن مدينة غزة هي من المدن التاريخية القديمة التي بناها الكنعانيون كما بنوا يورشاليم، بل إن الإسرائيليين لم يستطيعوا الاستيلاء على القدس إلا بعد أن تم بنائها على أيدي البابليين بحوالي خمسة عشر قرناً من الزمان لاسيما أنه قد نشأ خلال إقامة بني إسرائيل في سيناء أربعين عاماً في التيه ما يجوز أن يسمى التاريخ السياسي الوطني لليهود وأثناء هذه الفترة وضع رؤساء اليهود وزعمائهم سلسلة من المبادئ والتقاليد والتعاليم فكتب عدد منهم بعض أسفار العهد القديم من التوراة وكان هؤلاء الرؤساء يفكرون في الهجرة يشجعهم إلى منطقة الأردن وفلسطين الحالية التي عرفت على أيدي أصحابها من الكنعانيين بالبلاد التي تفيض لبناً وعسلًا فقد خصوا بلاد الكنعانيين باهتمامهم ودعائهم فصرفوا أنظار اليهود إليها وحلموا بأن تكون فلسطين وطناً لهم.

ولكن إذا رجعنا الى التاريخ فى العهد القديم وفحصنا سيرة فلسطين وتاريخ بنى اسرائيل بها لوجدنا هذا الكتاب يبدأ بحقيقة اساسية يتفق فيها مع سائر المؤرخين وهى أن فلسطين وطن الكنعانيين وانها تعرف فيه ببلاد كنعان كما أن ذكر القبائل الكنعانية يملأ صفحاته وسطوره منذ القدم ومن المعروف كما سبق القول فى السطور السابقة ان هذه القبائل الكنعانية خرجت من جزيرة العرب وهى الموجة الثانية فى مجرى الهجرات الانسانية التى كانت تقذف بها جزيرة العرب على رأس كل ألف سنة تقريباً التماساً للكلا والمرعى ودفعاً للقحط أو الطوفان ووقوع الغارات والغزوات ولا يختلف احد من كبار المؤرخين على أن هذه القبائل العربية قد استوطنت الديار الشاميه (فلسطين) منذ حوالى ٢٥٠٠ ق.م أى منذ فجر التاريخ وأول من يقول بهذا التوراة كتاب اليهود الاول الذى سرد تاريخهم القديم ، وبعد أن اقام الكنعانيون فى فلسطين قرابة الف وخمسمائة عام (١٥٠٠ عام) تعرضت البلاد فى وقت متقارب لغزوين خطيرين اولهما غزوة الفلسطينيين الذى احتلوا القسم الساحلى وثانيهما غزوة العبرانيين .

وعلى الرغم من ان التوراة مليئة بحوادث الصراع الذى قام بين الكنعانيين والعبرانيين فى تلك البلاد وأن الصراع المرير الذى قام فى اعقاب خروج اليهود من مصر وضلالهم فى صحراء التيه فقد استمر الصراع قرابة ثلاثمائة سنة استبسل خلالها الكنعانيون فى الدفاع عن بلادهم فلسطين (اليبوسين) .

ومن ثم فإنه لن يغيب عن اذهاننا ان مدة الاحتلال اليهودى لفلسطين لا تزيد عن سبعين عاماً إلا قليلاً وهى احتلال تقارب فى عمرها الاحتلال البريطانى لمصر (١٨٨٢-١٩٥٤م) وهذا الاحتلال لم يخرج البلاد الكنعانية عن عروبتهى ولم تعط باى شكل من الاشكال حقاً تاريخياً لليهود فى فلسطين ولعل هذه الحقائق فى مجموعها تدل دلالة صريحة على أن حياة الكنعانيين العرب لم تختفى من ديار الشام بما وقع لها من غزوات العبرانيين أو الفرس أو اليونانيين أو الرومان وكل ما فى الامر أن البلاد ظلت بسكانها العرب الكنعانيين ولكن تداولتها ايدى الغزاه دون ان تفقد اهلها وأصحابها وهويتها العربية ، وأن مرور اليهود فى فلسطين لم يتعدى قيام حكم اجنبى لم يستطيع ان يستأثر بالوطن وحده وان صاحب الحق القومى فى فلسطين هم الكنعانيون واحفادهم العرب وان أصحاب القدس وحمايتها كانوا هم العرب اليبوسيون من القبائل الكنعانية ومن ترعرع فى ارجائها واستمرت حياتهم القومية فى جنباتها منذ القدم وان ييوس نسبة الى اليبوسين من بطون العرب الأوائل الذين نشأوا فى صميم الجزيرة العربية ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية حوالى ٢٥٠٠

ق.م أو يزيد واحتلوا التلال المرتفعة للمدينة القديمة وشيدوا على اكمتها الجنوبية جبل صهيون وأنشأ هذا الكنعانيين وليس العبرانيين ، لحمايته للمدينة والدفاع عنها ضد العبرانيين والمصريين وغيرهم من القبائل المغيرة بزعامة ملكهم (سالم اليبوسى) الذى زاد فى بنائها وأقام تحصياتها وكان أول من اختطها من ملوك اليبوسين (مليكا صادق) الذى عرف عنه انه كان محباً للسلام حتى اطلق عليه ملك السلام كما جاء فى الاصحاح ١٤ من سفر التكوين (التوراة) وعرفت المدينة باسمها الكنعانى .

ومن المعروف انه عندما تفككت وحدة اليبوسين وراح العبرانيون يغزونهم لجأ ملوك اليبوسين الى سياسة توازن القوى بالتحالف مع ملوك الكنعانيين المجاورين وفراعنة مصر الذين كانوا عوناً لهم على عدم الاستيلاء على بلادهم وتشير الواح تل العمارنه مركز دير مواس محافظة المنيا فى صعيد مصر الى أن (عبيد حيبا) حاكم ييوس قد وضع نفسه تحت حماية فرعون مصر (تحتمس الاول سنة ١٥٥٠ ق.م) ليحميه من غارات العبرانيين الغرباء كذلك خضعت ييوس لفراعنة مصر فى عهد تحتمس الثالث واقام عليها حاكماً من ابناء مصر عام ١٤٧٩ ق.م وحرصت مصر والساسة الفراعنة على حماية بلاد الكنعانيين فى فلسطين من القبائل المغيرة والمجاورة الأخرى حماية لسيئاء وتأميناً لطريق التجارة عبر (فلسطين - ييوس) فضلاً عن كثرة اخشاب ساحل البلاد واهميتها لبناء السفن .

ومن الفراعنة الذين كان لهم نفوذ فى فلسطين الكنعانيين الفرعون (امنحتب الثالث) ١٤١٢ ق.م واخناتون الذى اصبحت ييوس اهم ممتلكاته ١٣٧٥ ق.م وكذلك الملك الصغير (توت عنخ امون) ١٣٥١ ق.م وسيتى الاول ١٣١٤ ق.م ورمسيس الثانى الذى ادخل (فلسطين - ييوس) فى حدود مصر بعد تخطيطها اثر معاهدة ومعركة قادش مع الحيثين ١٢٩٤ ق.م .

وعندما زحف عليها اليهود اثر خروجهم من مصر على عهد رمسيس الثانى عام ١٢٥٠ ق.م بقيادة يهوذا واحتلوها واشعلوا فيها النيران كان سكانها ومعظمهم اهل القرى المجاورة لها من اصل كنعانى .

وكانت اللغة الأصلية السائدة هى الكنعانية الى جانب اللغة البابلية وقد اضطر اليهود الى اخلاء ييوس تحت ضغط اليبوسين ولكنهم عادوا فاحتلوها مرة ثانية بقيادة الملك داود ولم يكن نفوذ اليهود شاملاً ارجاء واسعة فى فلسطين بل اقتصر على مدينة (القدس ونابلس) وما جاورهما من قرى ولم يكن الهدوء يسود البلاد فى تلك الفترة (حكم داود وابنه سليمان) بل نشب قتال

بين هاتين المملكتين وبين الكنعانيين أصحاب البلاد الشرعيين وكذلك بينهم وبين الفلسطينيين على الساحل تارة أخرى حتى غدت البلاد في ذلك العهد مسرحاً للفوضى والاضطراب .

ومن هنا فطبقاً للتاريخ القديم وما جاء في التوراة فإن أصحاب فلسطين الأوائل هم شعوب كنعان العربية الذين يعتبر العرب الفلسطينيون الحاليين هم أحفادهم . ومن هنا فإن اليهود لن يستطيعوا المطالبة بفلسطين إلا كفزاه ومستعمرين .

ومن ثم فإن فلسطين كنعانية عربية عاش فيها أصحابها العرب قبل ظهور عهد اليهود بأكثر من ألفي سنة ومن اسمها العربي اشتق اسمها العبري واسمها الغربي . كذلك فإن القدس نجد أن إبراهيم واسحق ويعقوب (إسرائيل) وموسى لم يملكوها ، بل أن إبراهيم لم يجز لنفسه أن يملك في فلسطين مقدار قبر يدفن فيه زوجته سارة لأنه كان غريباً قادمًا من بلاد الكلدانيين ومن مدينة أور فالتجأ إلى أصحاب الأرض (بنو حث) وقال لهم أنا غريب ونزّل عندكم اعطوني ملك قبر منكم لدفن ميتي من أمانى ، فقبل (بنو حث) طلبه لأنه رئيس من الله بينهم ولكن إبراهيم عرض لمنأ لمغارة كان يملكها (عفرون بن حوهر) ليتخذها مقبرة فرفض عفرون الثمن وعرض المغارة هبه ولكن إبراهيم اصر على الشراء ودفع الثمن لعفرون أربع مائة شاكل فضة جائزة عند التجار .

ومما يثبت أيضاً أن أرض كنعان فلسطينية كانت لا تزال ملكاً للفلسطينيين العرب الكنعانيين القدامى وأن داود أول من فتح ييوس في القرن العاشر قبل الميلاد ودام حكمه وابنه سليمان كما سبق القول سابقاً سبعين عاماً وبضعة أعوام قليلة ثم انشقت مملكة داود وسليمان إلى مملكتين إسرائيل ويهوذا ولقد حدث للوادمحدث ما حدث لإبراهيم سابقاً فقد أراد داود أن يقيم مذبحاً في بيدرأورونه (الييوس) وعرض الييوس على داود بيده بجانبه ولكن داود اصر على دفع الثمن البيدر خمسين شاكل من الفضة وبني داود هناك على أرض الكنعانيين مذبحاً للرب .

ومع ذلك ففي خلال الحكم الاسرائيلي ظل العرب اليبوسيون ويسميهم العهد القديم أحياناً (الاسماعيليين) يعيشون في مدينتهم المقدسة وبذلك يمكن القول أن العرب لم تنقطع صلتهم بمدينتهم المقدسة في زمن الاحتلال الغابر لأنه كان لهم معبداً بالمدينة كذلك فإن الكنعانيين انشأوا في البلاد حضارة عظيمة اطنب في وصفها مؤرخو البلاد المقدسة حيث كان الكنعانيون خلال ألفي سنة جسراً بين مدن الحضارة على الفرات والنيل ومنهم اخذ اليونان الحروف للكتابة ونقلوها للعالم بآثار الاسرائيليون بحضارة الكنعانيون فأخذوا حروفهم التي كتب بها العهد القديم وتأثروا

بأسلوبهم الشعري وقد قام الكنعانيون المهرة ببناء الهيكل في عهد سليمان وهذا يثبت كيف أن الاسرائيليون في عصرهم الذهبي استعانوا بالكنعانيين العرب في بناء هيكلهم . وكان الكنعانيون قد بدأوا الهجرة الى فلسطين في عصر ملوك الدولة الحديثة في طيبة بمصر (٣١٩٧ - ٢٧٧٨ قبل الميلاد) ونشروا بها ثقافتهم ومؤسساتهم وكان ذلك حوالي ٤٠٠٠ الف قبل الميلاد فاطلقوا على فلسطين اسمهم كنعان .

وكان في بادئ الأمر يطلق على الجزء الساحلي من البلاد ثم شمل فيما بعد كل بلاد الاردن وكانت الفكرة متجهه في بادئ الأمر إلى وضع الكنعانيين بين الشعوب الحاميه ولكن الباحثين المعاصرين بعد بحث عميق اتفقوا فيما بينهم على انهم جنس سامي وهجرة الكنعانيين الى فلسطين هي نتيجة هجرة عربية اقدم عهدا من هجر اليهود إليها فيما بعد Encyclopeudia Britannica . P194 . 9th ed Vol 11 .

وهكذا فإنه منذ اربعة الاف سنة قبل الميلاد تدفقت موجات ساميه كنعانيه وغيرها قادمة من بلاد العرب الى فلسطين من الشام ثم انتشرت في بابل على وجه خاص ومنها في اتجاه سوريا وفلسطين كما أن هناك موجات هجرة عربية سامية اتخذت نفس الاتجاه بين اعوام ٢٨٠٠ - ٢٦٠٠ ق.م ولكنها لم تنتشر في بابل فحسب بل انها دخلت الى سوريا وفلسطين وفي فلسطين ارض كنعان اساساً نسبة الى سكانها الكنعانيين والكنعانيون في التوراة ابناء كنعان بن سام بن نوح كما ورد القول سابقاً. وهم اول من سكن فلسطين على ارجح الاراء وفي الدراسات الساميه القديمة ان الكنعانيين هم الآخرين قبيلة سامية من الساميين الشماليين جاءت اصلاً من الجزيرة العربية منذ ٣٥٠٠ ق.م وفي رواية أخرى جاءت موجة كنعانية أخرى منذ ٢٧٠٠ ق.م وكانوا قد استقروا بفلسطين منذ الف أو الف سنة وأقاموا بها حضارة راقية ، كذلك فإن جزء من الكنعانيين كان قد رحل شمالاً الى الساحل اللبناني حيث عرفوا بالفنيقيين ومعنى ارض كنعان هو الأرض المنخفضة والى جانب الكنعانيين في فلسطين كان ثمة كوكبه أخرى من القبائل الساميه الصغرى كالايديوميين والعموريين

والمؤابين على تخوم ارض كنعان خاصة حول جنوب البحر الميت وثمة كذلك كان العموريون بعيداً الى الشمال وهم اولاد اناك Anak فى التوراة وكانوا قد سيطروا على جزء كبير من فلسطين قبل المزعج المصري الفرعونى نحو الشمال حوالى ١٦٠٠ ق.م . وحتى تستكمل الصورة يحسن أن نذكر أيضاً خارج فلسطين ولكن بجانبها نجد الاراميين الذين استقروا فى سوريا كموجه ساميه منذ القرن ١٤ ق.م . ولا يبقى لنا فى التتابع التاريخى سوى الفلسطينيين Philistines الذين يعدون وحدهم تقريباً من بين كل العناصر والموجات المذكورة جاءوا فى وقت أو بعد قليل من العبرانيين فى المنطقة وهم مشهورين فى التاريخ القديم وانتشروا بصورة فجائية على سواحل شرق البحر المتوسط .

وقد توثقت العلاقات بين مصر والكنعانيين فى فلسطين وسواحل الشام حيث لا يستبعد أن يكون بعض المصريين كانوا يقيمون فى تلك البلاد للتجارة ازماناً تختلف طولاً وقصراً خصوصاً فى بعض مدن الساحل الفينيقى مثل (جبيل) وهى بيلوصى وفى وقت حديث (لستوى) ما يشير إلى تردد المصريين على البلاد السورية وظواهر الامور تدل كلها على أن العلاقة بين مصر وجيرانها قد كانت على احسن ما يرام من الود والصفاء وتستقر الامور فى ايام (سنوسرت الثانى) ١٩٠٦ - ١٨٨٨ ق.م .

حيث سجلت مناظر احد الوفود الكنعانية على جدران قبر (خنوم حتب) حاكم اقليم الوعل (بنى حسن مركز ملوى محافظة المنيا بصعيد مصر) وهو أمير من أمراء اقليم الوعل ويدعى (خنوم حتب الثانى) وقد بلغ عدد افرادهم ٢٧ سبعة وثلاثين فرداً من ذكر وانثى بملايسهم المزركشه ولحى رجالهم المرسله تتقدمهم (ابشاي) حاكم البلاد الأجنبية ولعل فى اسم (ابشاي) رنيناً عبرياً أو كنعانياً مما يدل على أن القبيلة كانت من الكنعانيين وقد حاول المؤرخون من علماء الآثار أى يربطوا بين هذه الرسوم وقدم ابراهيم الى مصر أو مقدم يعقوب الى مصر وكانت البلاد تتمتع فى ايام سنوسرت الثانى بقسط وافر من الرخاء وينتشر السلام على ربوع الارض فتأخذ بعض قبائل الشرق فى الهجرة الى مصر رجاء الافادة من خيرها والتمتع بما افاء الله على اهلها من رزق .

بل يمتاز عصر (سنوسرت الثانى) بحسن العلاقات بين مصر والاقاليم الاسيوية ووفود القبائل الكنعانية الى مصر طلباً للرزق وهكذا نرى كيف أن العلاقات كانت قوية بين مصر وبلاد الكنعانيين العرب الذين سكنوا فلسطين معهم حيث كانت العروبة القديمة تربط بين شعوب هذه المنطقة التى لم تكن قد بليت بما يعرف بظهور العبرانيين سواء عندما كانوا يسمون بهذا الاسم منذ عهد ابراهيم الى حفيده يعقوب الذى تسمى باسم اسرائيل .

ومن هنا اطلق عليهم الاسرائيليون فالذين دخلوا مصر كانوا من الاسرائيلين ومن ثم كان خروجهم أيضاً فى عهد موسى بن عمران بن قهعات بن لاوى بن يعقوب كانوا أيضاً اسرائيلين وكذلك أيضاً كان سكان فلسطين هم الكنعانيين ومعهم الفنيقيين والاراميون وغيرهم من الشعوب العربية السامية القديمة التى لم يكن حتى عندما ظهر العبرانيين يشكلون سوى نسبة عديده قليلة جداً لاسيما أن هجرة ابراهيم وقومه لم تكن تضم إلا ٢١٨ فرد وان خروجهم من مصر تجاوز الخمسة آلاف نسمة فكيف تكون لهم الغلبة العديده على شعوب كانت تسكن فلسطين والاردن منذ ازمنه قديمة .

أن ابناء يعقوب عندما كانوا فى فلسطين وبالأذات فى منطقة بئر سبع قبل اللجوء الى مصر كانوا اقلية ضئيلة غريبة تسكن ارضاً ووطناً ملكاً للكنعانيين اليبوسيين وغيرهم من الشعوب العربية القديمة .

ويقول ودول ديورانت فى كتابه (قصة الحضارة) كانت هزيمة العبرانيين للكنعانيين مثلاً واضحاً لانقضاض جموع جيا ع على جماعة مستقرين آمنين وقد قتل العبرانيون من الكنعانيين اكثر من استطاعوا قتلهم منهم وسبوا من بقى من نساءهم وجرت دماء القتلى انهاراً كما تقول نصوص التوراة ولما استولوا على احدى المدن قتلوا من اهلها اثنى عشر الفا واحرقوا وصلبوا حاكمها .

٢- الاراميون والفنيقيون سكان الساحل الشمالى الفلسطينى

تقع الى الشمال من عكا تلك البقاع التى اطلق عليها المصريون القدماء اسم (اوزاحى) ثم اطلق عليها الاغريق اسم (فينقيا) وفى تلك الانحاء كانت سكنى القبائل العربية الفنيقيه تجاور شمالاً اخوانهم الكنعانيين ولم تكن دولة بالمعنى المتعارف عليه بل كان نظام مدن كما كان معروفاً عن مدن ايطاليا فى العصور الوسطى (جنوا - البندقية - وغيرها) .

وقد وقعوا تحت الحكم المصرى وكذلك الاشورى فيما بعد وقد ارتاد الكنعانيون تلك المدن الفنيقية التى كان من اشهرها (صيدا - بيروت - بيلوصى - وصور) وقد لعبت دوراً خطيراً فى تاريخهم وتاريخ من جاورهم لاسيما الكنعانيين سكان فلسطين حيث كان الكنعانيون قد اعتادوا ان يرتادوا تلك الموانئ يتصيدون فى مياهها وقد اطلق الكنعانيون اسم صيدا ولعل نسبتهم الى صيدا قد جاءت عن هذا الطريق وقد رأى بعض المؤرخين ان الكنعانيين قد كانوا يزاولون نشاطهم فى مياهها وان اسمهم يتصل بهذه الحرفة وقد كانت اكثر مدن الفنيين ذات صلة بمصر خاصة مدينة (بيلوصى) وذلك منذ ابعد العصور .

وقد هاجر الفنيقيون الى تلك المناطق عند بدأ الغزوه الحيثيه للعراق حيث يبدو أن الموطن الاصلى لهؤلاء القوم كان على شاطئ الخليج العربى ثم عبروا الصحراء الى شاطئ البحر الاحمر ثم الى البحر المتوسط حيث وجدوا على شواطئ سوريا موانئ تصلح ليولهم البحرية ولم تكن الحدود السياسية ثابتة أو متعارف عليها حيث كانوا يخالطون الكنعانيين ويجاورونهم شمالاً والى الجنوب من ذلك يقع هذا الوادى المنخفض المعروف بمنخفض النهر الكبير الذى يحد من الشمال لبنان ويجرى فيه الطريق من الشاطئ مخترقاً وادى العاصى الى شمال سوريا ثم يمتد الى الفرات وتنتشر على جنباته مدائن حصينه تسكنها قبائل ساميه .

وفى شمال لبنان والبقاع نزل قوم من الساميين يقال لهم العموريون ، وهم اقرب القبائل الساميه الى الكنعانيين وقد جاء ذكرهم فى الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين .

بل ان هناك بعض المؤرخين يرون ان الهكسوس هم من الفنيين ثم اخرون يسمونها عرباً والاثار المصرية تسميهم آسيوين ، ويبدو أن بينهم عناصر سوريه وساميه وكانت عقائدهم الدينية شديدة الشبه بعقائد الكنعانيين وابطالهم ولا شك ان الهكسوس هم جماعة اندمج فيها العموريون والكنعانيون بضغط من قبائل وهجرات غير ساميه كالحيثيين والكاسيين والميتانيين والعموريون الذين كانوا يسكنون حصون " تامارا " ، وذلك عندما ضربهم (كدر لغومر) والملوك الذين كانوا معه وضربوهم من كل بلاد العمالة فى قادش .

ويطلق اسم فنيقية على شاطئ فلسطين الى الشمال من مدينة صور التى اشتهر ايتاؤها

الملاحين عندهم باسم الفنيقي ولكن فنيقية كما يدل عليها اسمها كانت اسما لبلاد النخيل في الاقليم كله وان كلمة فنيقي عندهم بمعنى النخلة وتقابلها عند الرومان كلمة بالمورا Palmyra التي اطلقت على مدينة (تمر) أو تدمر في شرق البقاع وتمر وهي الكلمة السامية التي تقابل كلمة بالم Palm بمعنى النخلة في بعض اللغات الاوربية الى اليوم ولا يخفى ان ارجح الاقوال عن اصل الفنيقين الاقدمين انهم نشأوا عند الخليج العربي في بلاد النخيل وتحولوا منه الى فلسطين يوم ان كانت مشهورة بكثرة ما فيها من نخيل واسم مدينتهم قرطاجة التي بنوها عند انتقالهم من فلسطين الى شاطئ البحر الابيض الجنوبي بالقرب من تونس .

ويبدو أن العبرانيين لم يكونوا قد سيطروا على تلك البقاع ايام أن اخذ المصريون يسعون للسيطرة عليها وخصوصاً (تحتمس الثالث) وانما كانت فلسطين ومدائن الساحل الفنيقي وقراه معموره بقبائل اخرى ومن بينهم الكنعانيون الذين كانوا يتكلمون لغة قريبة بلغة الفنيقين والغالب ان الهكسوس قد جاءوا الى فلسطين أو جنوب وشمال لبنان بعد خروجهم من مصر والى الشمال (من فلسطين أو الفنيقين انتشرت منازل الارامين) حتى وادى العاصى ممتدة الى دمشق وهم من السامين ، واكثرهم قبائل رحل كانوا ينتقلون في الصحراء السورية وكان لسانهم لا يختلف عن لسان الكنعانيين والفنيقين .

ويذهب المؤرخ Trogus الى ان نشأة الفنيقين الاول كان على شاطئ البحر الميت وكان الفنيقيون في عصور التاريخ الاول يسمون انفسهم كنعانيين كما يسمون ارضهم كنعان Encyclopedia Biaritannica . V 18. P803 وسواء كان الكنعانيون والفنيقيون جنساً واحداً كما يرى (تروجوس) أم عرب هاجروا من جنوب شبه الجزيرة فمما لا شك فيه انهم كانوا متحالفين متآلفين وربما كان الاصح ان الفنيقين قد هاجروا الى فلسطين وسوريه بعد هجرة الكنعانيين اليها فامتزجوا بهم واتحدوا واصبحوا شعباً عربياً تربطهم علاقات قوية.

وكما سبق القول فإن فترة الاضطراب التي سادت مصر وتولى فيها الكنعانيون والبابليون حكم بعض مناطق من مصر لم يزل الا في عهد بدأ عصر الأسرة العشرين يتولى رمسيس الثالث الحكم (١٢٠٠ - ١١٦٩ ق.م) فقد كان اخر ملوك مصر العظام وقد عمل على اعادة وحدة كنعان التي كانت تضم الارض (ثبلاح وزاهى) مع مصر وفي ورقة البردى المعروفة باسم بردية " هاريس " اشارة الى معبد اقيم لرمسيس الثالث وامون في احدى مدن زاهى في ارض كنعان وقد استقرت قبيلة بوليستو Pulestiu في أرض شيلاح وفي المنطقة الساحلية كفره وسميت منذ ذلك الوقت باسم فيلسيتيا Philistia التي جاء منها اسم فلسطين .

وفي القرون التالية زاد نشاط المدن البحرية في شرق البحر المتوسط وشمل النشاط كل موانئ ذلك البحر وانتقلت البضائع من منتجات الفنيقين الصناعية في صور وصيدا وبيروت وجبيل

وانتقل مركز القوة في الشرق العربي من مصر الى بلاد الفتيقين وهم عرب ساميون هاجروا من الخليج العربي جنوب شرق الجزيرة الى شمالها الغربي .

وقد اشار المؤرخون المحدثون الى انه عثر في البحرين على عدد من المقابر القديمة يطلق عليها اسم " تومولى " Tumuli وجد بعد فتحها انها خططت على نمط واحد وان الرأى السائد بين من عنوا بدراساتها وفحصها انها مقابر فنيقية لأن البحرين كانت الموطن القديم للفتيقيين وانه سبق للمؤرخ استرابون ٦٤ق.م - ١٩م اليوناني الذي وضع كتاب (الجغرافيا) قد اشار إلى أن المقابر الموجودة في جزر البحرين تشبه مقابر الفتيقيين وان سكان هذه الجزر يرون ان اسماءها واسماء مدنها اسماء فنيقية وهكذا نرى كيف أن اهل شمال الجزيرة في شمال سوريا والتي كانت تسمى في الاثار المصرية (لوتانو العليا) كان قد استقر منذ فترة طويلة قبيلتان من العرب ففي الساحل استقر الفتيقيون في الساحل اللبناني واستقر الاراميون وهم بدو الصحراء السورية الرحل في الداخل وقد تجمعوا في المدن وانشأوا لتلك المدن حكومات وفي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد استطاع الفتيقيون بواسطة تبسيط اللغة الهيروغليفية لأنهم كانوا يتبادلون الصلات مع المصريين . ان ينشؤا أبجديه للكتابة انتشرت عالمياً واصبحت تعرف باللغة الاراميه وقبلها الفنيقية والاراميه هي أم العربية. كذلك استطاع الاراميون في الداخل خلف مراعى لبنان ان يسيطروا سيطرتهم على هذه البقاع الواسعة حتى سيطروا على دمشق .

وكان الاراميون قد اقتبسوا من الفتيقيين أبجديه انتشرت بانتشار تجارتهم وغزت فيما بعد سائر الاقطار وحلت محل الهيروغليفية المصرية والخط المسماري البابلي . واستطاع الاراميون والفتيقيون العرب منذ القرن الرابع قبل الميلاد ان ينتزعوا السيادة التجارية ومن ثم اتجهوا الى انشاء دولة تجارية عربية اراميه - فنيقيه .

أما في جنوب سوريا فلسطين التي لازال يسكنها الكنعانيون قبل ظهور العبرانيين بعدة قرون فكانت المنطقة الساحليه في ايدي الفلسطينيين ابناء قبيلة فيلسيتا الذين حاولوا ان يستقروا نهائياً في خمس مدن اهمها غزه على الشاطئ واشدوا من الداخل ولكن هذا الشعب اصطدم بالعبرانيين (الخبير) الذين كانوا قد بدأوا يتسللون الى ارض كنعان منذ عهد الملك الفرعوني المصري (منفتاح) بعد الخروج وكان الكنعانيون والعامورين العرب إذ ذاك لازالوا يحكمون تلك الارض كما أن الفلسطينيين تقدموا حوالي عام ١١٠٠ ق.م الى شواطئ الاردن واخضعوا الاسرائيلين وقد ادت تلك الهزيمة للاسرائيلين بتوحد قبائلهم حيث كان الفلسطينيين هم القوة صاحبة السيادة .

ومنذ مطلع الالف الثالث قبل الميلاد وبعثات التجارة البابليه تركب ذلك الطريق العظيم بين طريق القوافل الذي يجرى من بابل على نهر الفرات الى قرقيش ، ثم يمتد الى حلب وحماه في وادي العاصمى لاحضار الخشب من غابات لبنان وكانت القوافل تسير في حراسة البابليين .

وحتى كان عام ٢٨٥٠ ق.م فتح (سرجون الاول ملك بابل) شمال سوريا ولبنان وطوروس وظلت تلك الاقاليم خاضعة لبابل حتى نهاية الالف الثالث قبل الميلاد تظهر الولاء للوكها وتبعث اليهم الخراج واقبلت سوريا على التراث البابلي لانتشار اللغة البابلية الاكادية بين الاقاليم السورية واخذ الناس يكتبون بخط بابل المسماري وازاحت اللغة البابلية (وخط بابل المعروف بالمسماري) من الأمور التي عرفت في كافة اقطار الشرق العربي وعلى حين كانت الصلة بين بابل والاقطار الشمالية من سوريا ، كانت اقاليمها الجنوبية والساحل الفينيقي وبلاد كنعان وبيلوصى في فينيقية وثيقة الاتصال بمصر منذ مطلع حياتها السياسية .

وكان ملوك نينوى البابليين فيما بين النهرين قد استعادوا الاراضى التى بين الفرات والعاصى والى تتحكم فى طرق الهلال الخصيب ثم ضموا موانئ الفينيقيين وأخيراً ضم البابليون دمشق عام ٧٣٢ ق.م فى عهد الملك (بيليسر الثالث) .

ثم فى فترة زمنية اخرى وقعت اقاليم الشام تحت سلطان الهكسوس ايام قيام دولتهم فلما نهضت مصر على ايدى فراعنة طيبة (سقن رع - كاموس - اح موسى) وانكسرت شوكة الهكسوس فى معركة (اوارس) بعد واقعة (شار مرهين) انقسمت البقاع السورية واقاليم فلسطين الى امارات صغيرة يقوم على حكمها عدد من الامراء فمنهم من كان يمتد اصله الى الآراميين ومنهم من ينتسب الى اصول سامية .

ورسائل تل العمارنه تعد لها اكثر من ستين (٦٠) اماره من تلك الامارات الآسيوية والى اتصلت سياستها بالمصريين والغالب أنها كانت اكثر من ذلك ، ومن وثائق تحتمس الثالث تعداد لست وعشرين ومائة بقعة من تلك البقاع التى تحالف امراؤها مع أمير قادش ثم رابط بهم فى مجدر فسار إليه فرعون مصر وهزمه هزيمة منكرة (تحتمس الثالث) .

ورسائل تل العمارنه اكتفت بتسمية تلك القبائل باسم الكنعانيين ، وشمل ذلك الاسم كل سكان الشام يومئذ ، على ان تلك التسمية لم ترد فى النصوص المصريه منذ قبل ايام (اميتنوفوس الثانى) الذى اسر منهم ٦٤٠ شخص فى طريق عودته الى الوطن فى حملته الاولى .

ولقد كان المعتقد قبل ذلك ان اسم الكنعانيين لم يرد فى النصوص المصريه ايام الاسرة الثامنة عشرة ١٥٨٠-١٠٩٠ ق.م ثم كشفت الابحاث بعد ذلك عن لوح تاريخى كبير سجل عليه (اميتنوفس الثانى) اخبار حملتين حربييتين قام بهما على الاقاليم الآسيوية فى العامين السابع والتاسع من حكمه والتوراة تؤكد وجود الكنعانيين فى فلسطين حتى بعد العودة من سبى بابل. وقد غمر بدو الصحراء اكثر تلك الاقاليم من سوريا وفلسطين وكان المصريون يطلقون عليهم اسم (الشاسو) وهو اسم اطلقه المصريون على عرب آسيا جميعاً وقد طارد بطل الاستقلال هذه الشعوب (احمى الاول) ١٥٨٠-١٥٥٨ ق.م وهو يطارد الهكسوس الى شرق الارض .

وكان الشاسو يرحلون بينها وبين شبه جزيرة سيناء وما وراءها ايضاً وربما اتصلوا باخوانهم بدو العراق لأنهم جميعاً من اصل واحد كما أنهم نزلوا ديار فلسطين (بئر سبع واستوطنوها) مدة قبل غزو مصر فإنهم لم يجدوا ملجأ سواها يوم ان غلبوا على أمرهم هناك وحالفوا المصريين على أن يخرجوا من مصر الى حيث يشأون ويقول (قلندر بترى) انهم دخلوا فلسطين وسوريا عن طريق الصحراء واستطاع فراعنة مصر أن يطاردوا المعتدين حتى فلسطين . وقد اثبتت قبور (ابيدوس فى سوهاج بصعيد مصر) انه فى الالف الرابعة قبل الميلاد كانت هناك علاقات تجارية متبادلة بين مصر وفلسطين الكنعانية وثبتت كذلك علاقات بين الدلتا فى مصر وشمال سوريا قبل بداية العصر التاريخى مع هؤلاء الساميين العرب ولم يكن ابراهيم عليه السلام قد وصل بعد من العراق (كلدنيا الى فلسطين بالالف الستين) .

وفى الآثار المصرية فى أواخر الالف الرابعه قبل الميلاد بدأت معرفة اهل فلسطين وبلاد ما بين النهرين فقد وجدت الواح فى عهد الملك دن ٣١٧٥ ق.م والذين كانوا يسكنون الواحات والصحارى العربية سواء فى شبه الجزيرة أو جبال سيناء أو فلسطين وعلى شاطئ الساحل الفلسطينى الذى يسمى (شيلاح) Shephelah وفى منخفض وادى الاردن والعاصى بسوريا كانت تسكن أقوام ساميه .

والى هؤلاء القوم ينتمى الكنعانيون الذين لم يظهر اسمهم إلا فى منتصف الالف الثانية قبل الميلاد كما يقرر المؤرخ ماير Mayer . وهكذا فإن الكنعانيون من أصل عربى وهذا ما ذهب إليه الطبرى فى كتابه تاريخ الأمم والملوك من أن الكنعانيين من القبائل العربية البائدة . وقد أخذ بهذا رأى ابن خلدون والى ذلك طائفة من المؤرخين الاوربيين وفى مقدمتهم (برستد) فقد ذكر المؤرخ الكبير أن الكنعانيين من القبائل العربية التى استوطنت فلسطين منذ ٢٥٠٠ ق.م.

ويرى المؤرخ الالماني Brockelman ان العبرانيين تعمدا اقصاء الكنعانيين من جدول انساب سام لاسباب دينية وسياسية مع أنهم كانوا يعلمون حق العلم أن الكنعانيين من صلب الجنس السامى العربى وأنه يوجد تشابه ظاهر بين البابليين والآشوريين والكنعانيين والفنيقيين والاراميين والعربية فهى تشترك فى جذور الافعال .

بل أن هناك شعوباً عربية كثيرة قد ظهرت وعمرت فلسطين منذ أمام طويلة قبل الميلاد . لكن ربما يكونون قد أقاموا فى فلسطين بعد ظهور العبرانيين بفترة طويلة ومنهم الانباط والعموريين والادوميون والعمالقة والآشوريين والتدمريون والفساسنة والكنديون وغيرهم من الشعوب القادمة من الجزيرة العربية أو بلاد ما بين النهرين بعد استقرارهم فى هذه البلاد فترة زمنية قد تطول أو تقصر ثم يكون تحركهم غرباً الى فلسطين لكى يساهموا فى بناء الفرشه العربيه على هذه الارض منذ اربعة الاف سنة قبل الميلاد .

وهكذا نرى كيف ان الكنعانيين والايبوسيون سكنوا فلسطين منذ أربعة الاف سنة قبل الميلاد فى حين أن ابراهيم عليه السلام لم يظهر فى ارض فلسطين قادماً من بلدته (اور) من بلاد الكلدانيين فى العراق الا فى عام ١٨٠٥ ق.م الميلاد وبذلك تكون هناك فترة زمنية تزيد عن الف سنة استقر فيها العرب الكنعانيين فى فلسطين قبل ظهور ابراهيم عليه السلام الذى ينسب إليه العبرانيين بل الساميين ايضاً من ابناء اسماعيل .

بل أن هناك بعض الآراء تذكر ان العبرانيين وصلوا الى الاردن واستقروا فى الواحات التى تقع شرقى البحر الميت حوالى (١٤٠٠ ق.م) ولكن تاريخهم مع الفنيقيين فى الشمال الفلسطينى أو فى الجنوب لم يبدأ إلا حوالى ١٢٠٠ ق.م فى حين أنه حوالى ٢٧٠٠ ق.م أى قبل ذلك التاريخ ١٥٠٠ ق.م كان الكنعانيون سكان فلسطين قد أقاموا حكمهم ونشروا حضارتهم وظهرت على مسرح الحياة السياسية دولة الكنعانيين التى اقتتل حولها المصريون والاشوريون مع الحيثيون والميتانيون). وبهذا تكون هذه القبائل العربية قد هاجرت الى فلسطين منذ عصور قديمة قبل ظهور العبرانيين كشعوب بدائية لم تكن لها حق الاقامة الا عبوراً لهذه الارض لم يكن لها استقرار . فقد كان جوالا بين العراق وفلسطين ومصر وسيناء وبابل وأشور وغيرها من بلاد الشرق العربى.

وسوف يكون الفصل الثالث فى هذه الدراسة عن ظهور العبرانيين منذ ابراهيم عليه السلام وحركة الهجرة العبرانية ما بين بلاد المشرق وصولاً الى نهاية بنى اسرائيل فى فلسطين والشتت فى كل البلاد ونوبانهم فى السكان الذين حلوا بينهم عبر القرون الطويلة .

ويتفق المؤرخون على تحديد المكان الذى كانوا فيه وانهم كانوا بدوا متنقلين بين عدة بقاع من الجزيرة العربية ولم يكن لهم شأن يذكر إلا أنهم قبيلة بدوية صغيرة فى الجنوب الشرقى من الجزيرة فيما بين الساحل وجنوب الصحراء وبهذا يمكن القول انهم كانوا فى الجنوب الشرقى من الجزيرة إذ كانوا ادنى الى الجنوب وربما اقليم الاحساء ولكن استقرارهم لم يطل حيث تحركوا الى الشمال حتى دخلوا الفرات وكانوا واسطة بين سكان الصحراء وسكان ساحل المحيط الهندى والخليج العربى واستمروا فى تقدمهم حتى انتهوا الى بلاد الكلدانيين وقد وفد العبرانيين على هذه المملكة الاكادية عند نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد ، وحوالى ٣٠٠٠ ق.م وتم انتصار الاكاديون على السومريين عام ٢٧٥٠ ق.م على يد قائدهم الاكادى سرجون .

وعلى هذه الأمة الاكادية العربية وفد الشعب العبرى ليقيم بين ظهرانهم وسمى عبرياً فيما بعد وقد كانت القبيلة العبرية الوافدة وثنية عندما دعا ابراهيم عليه السلام الى عبادة اله واحد بل أنهم بعد أن رحلوا وعبروا الى ارض كنعان فإنهم كانوا لا يزالون يعبدون الاوثان ثم حدثت احداث هامة دفعت ابراهيم وابن أخيه لوط وبعضاً من قومه للخروج من اور الكلدانية ذاهبين الى ارض كنعان وقد كانت الحركة من اور بقصد الاتجاه إلى كنعان وان بلدة حران أو حاران كانت مقر القبيلة

الاصليه فاقاموا بها فترة من الزمن ولكن العاصمة اور ال كانت اكثر تقدماً ثم جاءت غارة العيلامين التي كانت مكتسحة مدمرة ، فحملت السكان الى الفرار وكانت اسرة حاران ضمن الفارين فذهبت الى موطنها الاصلى حاران لتقيم فترة مؤقتة ثم تواصل رحلها بعد ذلك الى ارض كنعان وعندما كان العيلامين يغيرون على هذه الانحاء كان الاموريون يغيرون على الاقليم من شماله الغربى وكان لابد لأسرة تارح والد ابراهيم ولأن تارح مات فى حاران فألت رئاسة الأسرة الى أكبر ابنائه "ابرام" .

ولا يكاد التاريخ يذكر شيئاً عن حياة هذه الجماعة فى تلك البقعة فى العهد الكلدانى حين كانت اور عاصمة كبيرة ففى هذا الوقت ظهر ابراهيم عليه السلام رئيساً على جماعة هاجر بها الى بلاد الشام وقد تنقل أولاً فى إقليم سوريا على حافة الصحراء كما انتقل الى مصر وعاد منها بجاريه تدعى هاجر ولدت له اسماعيل .

وقد كانت هذه الهجرة هى التى منحتهم لقب العبرانيين هى التى قادها ابراهيم ويظن انها كانت معاصرة لحركة الهكسوس وربما تكون قد حدثت فى أوائل القرن الثامن عشر كما سبق القول ذلك لأن فلسطين كانت عامرة بشعوب عربية كثيرة قبل أن يظهر ابراهيم وقومه الفارين من اضطهاد ملك اور الكلدانى أوبسبب هجمات العلامين الذين اجتاحوا هذه الاماكن فكان الاتجاه غرباً الى الاراضى الشاميه حيث يأخذ موطناً وملجأً أمناً حيث جاء وابن اخيه لوطا ومعه قومه لاجئين الى ديار لها سكانها وحضارتها وقيمها وتقاليدها وعبادتها .

وأنة قد وجد ملجأ اقام فيه خيمته وسكن مجاوراً غربياً بجوار قبائل اليبوسين الذين كانوا هم أصحاب السيادة على المياه والأنهار والأرض ولم يكن ابراهيم وقومه إلا رعاة أغنام ويرتحلون على الحمير التى لم يكن يعرفون غيرها فى حين كان الكنعانيون يعرفون الخيول ولهم مدناً ذات الاسوار العالية المحصنة وكانت لهم علاقات تجارية مع الفنيقيين اخوانهم فى الشمال ومع المصريين فى الجنوب .

ومن هنا فإن تاريخ العبرانيين الرسمى يبتدى بقبيلة امن هذه القبائل سكنت الى جوار مدينة اور فى جنوب العراق وعند نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد هاجر فريق منهم الى الشمال بقيادة رئيس يسمى (تارح) وهو والد ابراهيم وهذا العرض يرجع بالهجرة الى ما بين ٢٢٠٠-٢٢٠٠ ق.م والهجرة قد حصلت ونزل القوم فترة بجوار حاران الى شمال الهلال الخصيب وظلت طوائف من القبائل تترحل غرباً وجنوباً حيث صادف بعضها اراضى المرعى والزرع بين وادى الفرات والأقاليم الجبلية الخصبة فاستقروا فى مدنها واشهرها دمشق ومضت طائفة أخرى بقيادة (ابرام بن تارح) وابن هنا قد تكون بمعنى سليل الى أن استقر بها السير البطىء عند فلسطين ولم تنزل الهجرة فى مجراها تارة الى غرب الاردن وتارة شرقه وذهبا من شرقها الى الحدود المصرية وخلال تلك الفترة

قصه عن علاقة مباشرة بين مصر وهؤلاء البدو وأخبار عن العلاقات بين الآباء العبرانيين وسكان كنعان المستقرين وقد كانت مصر عند هجرة ابراهيم ثم هجرة يعقوب وآله خاضعة لحكم الرعاة الهكسوس الذين تسلطوا على مصر أكثر من خمسمائة سنة ومن ثم كان الترحيب بإبراهيم ثم الترحيب بـيعقوب واقطاعهم وقومهم أرضاً في البلاد وهو إقليم (جاسباى) .

يدعى بنى اسرائيل (العبرانيون) انهم شعب الله المختار ويعتقدون ان الله خصهم وحدهم برعايته دون العالم أجمع لدرجة أنهم توهموا أن الله خلق بقية البشر لتعمير الارض حتى لا تكثر الوحوش فى الارض لتهاجم بنى اسرائيل (خروج ٢٣-٢٨ . ٢٠٠) لذا فقط خلق الله بقية البشر .

ولكن من هم بنى اسرائيل وسنأخذ قصة بنى اسرائيل العبرانيين من التوراة حيث أن قصتهم كما سبق القول تبدأ من إبراهيم عليه السلام بل تبدأ من (آزر) والد ابراهيم كما ورد فى القرآن الكريم أما التوراة تسميه (تارح) ولتارح شقيق يدعى هاران وهو جد لوطا عليه السلام وان كل انتسابهم لابراهيم واسحق ويعقوب يعطيهم شرف الشعب لكى يصبحون شعب الله المختار كلا والف كلا .

انهم افسدوا فى الارض افساداً عاماً وعبدوا الاصنام وتركوا عبادة الله وقتلوا وسفكوا الدماء واحرقوا الزرع والضرع ولم يتركوا أى دابة حيوان أو إنسان على الارض التى احتلوها فى كنعان إلا اباؤها نهائياً .

كما أن الذى يطالع التوراة بدقة وعناية وتنبه يدرك أنهم كيف الصقوا بأجدادهم تهماً وأباطيل لا تليق بالاقتوال التى ذكرت عن ابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وداود وسليمان وغيرهم من أنبياء بنى اسرائيل فهل لكل هذا هم شعب الله المختار انهم كاذبون وينسبون للتوراة اقوالاً وأموراً لا تتفق مع أية ديانة سماوية من القتل والذبح والإبادة والحرق .

وهذا ما سنراه عن محاولة دخولهم أرض كنعان واحتلالها واستعمارها من اهلها الكنعانيين والعبرانيين هم شعب من الشعوب السامية وانه هناك اقوال تذكر أن هذه التسمية لا ترجع الى سام بن نوح ولكن اسم يطلق على مجموعة من الناس وكان العبرانيون ككل الشعوب السامية يسكنون الجزيرة العربية مهد الساميين وقد رحلت منها أفواج من الأجناس كالفنيقيين والآشوريين والكنعانيين والكلدانيين وغيرهم من الشعوب الأخرى ، وبالقطع لم تكن مدينة اور Ur الكلدانية هى مستقرهم الأصلي ولكنهم نزحوا إليها من الجزيرة العربية بدأ برحلة إبراهيم عليه السلام ومن ثم فإن حياتهم قبل ذلك لم تكن معروفة سواء حياتهم فى جزيرة العرب أو بلاد الرافدين ولذا كان الفصا ، القادم عن ظهور العبرانيين .

الفصل الثالث

"ظهور العبرانيين على مسرح الأحداث"

ونبدأ هذا الفصل بأن نتحدث عن أصول العبرانيين واطوار العلاقة بينهم وبين غيرهم من الشعوب إلى ما بعد ظهور الأنبياء والرسل في بنى اسرائيل فمن هم العبرانيون وما هي أوثق الأقوال عن نشأتهم الأولى قبل إبراهيم عليه السلام وتقول وأن أوثق الأقوال عن نشأة العبرانيين انهم قبيلة بدوية صغيرة عاشت زمناً في جنوب بلاد العرب الى الشرق وبقيت على هذه الحالة بين الإقامة والترحال ثم انتقلت الى جنوب وادي النهرين وقد استخدم هؤلاء القوم حيوان (الحمار) في تنقلهم كما جاء في سفر القضاة من الصحاح الخامس (قلبى نحو قضاة اسرائيل .. باركوا الرب أيها الراكبون الاتن) (الحمار) الصحر الجالسون على الطنافس ، ومن ثم فإن العبرانيين في نشأتهم قوم ضعاف قليلو العدد ، ولا تكاد نعلم عن ذلك مواقع نشأتهم الأولى قبل وفودهم إلى العراق وبعد مقامهم هناك إلى أيام إبراهيم عليه السلام . بل ربما عاشوا بين البادية والحاضرة وفي هذه المعيشة البدوية الحضرية يكمن كل سر من اسرار التاريخ العبرى منذ فجر التاريخ الى العصر الحاضر فهم قبيلة لم تتطور وقد ظلت بين البادية والحضارة وهم في حالة العزلة الاجتماعية وما يلزمها عند البدو في عزله العصبية بالدم والسلالة .

ولا ندري على التحقيق هل سعى العبرانيون بهذا الاسم لأنهم ينسبون الى عابر بن سام أو لأنهم عبروا نهر الفرات قبيل قدومهم إلى وادي النهرين ففي سفر يشوع يقول يشوع للشعب كله هكذا قال الرب اله اسرائيل اباؤكم سكنوا عبر النهر منذ الدهر تارح ابو ابراهيم (آزر) وأبو ناحور وعبدوا الهة أخرى فأخذت ابراهيم اباكم ومن عبر النهر وسرت به في كل أرض كنعان) وفي سفر التكوين أنهم انتسبوا الى الاصل الآرامى حين أرسل ابراهيم عليه السلام رسول لخطبة (رفقه بنت يتنويل الآرامى) . ولما نزلوا أرض كنعان جعلوا لغتهم كنعانية وقال اشعيا وهو يتنبأ بقلبة قومه على أرض مصر انه (في ذلك اليوم يكون في أرض مصر في مدن تتكلم بلغة كنعان) ولم يزلوا في هجرتهم من موطن إلى موطن بين العراق وحران وكنعان يعيشون الى جوار القبائل ولا يتغلبون على واحدة منها حتى لجأوا الى مصر وعانوا منها بعد عدة قرون الى الأرض (فلسطين) ثم ملكوا اسباب القوة التي حققت لهم الغلبة عليها واحتلالها والسيطرة على شعبها الكنعانى .

وقد بعث الله ثلاثة انبياء من العبرانيين وهم ابراهيم وموسى وداود عليهم السلام ونعلم من أخبارهم في أسفار التوراة كما نعلم من أقوالهم أنهم تتلمذوا على أناس من الأمة العربية وأن أساتذتهم سبقوهم إلى ثقافة الدين وإلى المعرفة الإلهية التي يطلبها الأنبياء .

وعلى أحد القولين يسمى ابراهيم عبرياً لأنه من نسل عابر بن سام وعلى القول الآخر يسمى عبرياً لأنه وقومه عبروا النهر إلى أرض كنعان وعلى كلا القولين ينتمي ابراهيم إلى قبيلة سامية من الجزيرة العربية وينتقل من أرض ابرام في المشرق وأرض كنعان في المغرب وكلتاها موطن المتكلمين باللغة العربية على أقرب لهجاتها وأطوارها إلى اللغة العربية الحديثة فالعرب العاربة تنتمي إلى الأراميين وأبناء كنعان ينتسبون إلى أرضهم الواطئة على أشهر الأقوال وهي مادة (كنغ) تشبيهاً في لغتنا الحديثة مادة (قنع) ومادة (خنع) في الدلالة على الخفض والاطمئنان وقد تحول ابراهيم من أرض النهرين إلى أرض كنعان فروي لنا سفر التكوين من التوراة في أصحابه الرابع عشر أنه تلقى البركة من ملكي صادق . الكنعاني اليبوسي . والتوراة والانجيل يصفان الكامن الكنعاني بصفة الرئاسة الدينية . وحتى تنتقل العبرانيين بين أرض آرام وأرض كنعان لا يشير إلى وجود علاقة واحدة بينهم وبين جيرانهم . وقد كانت لهم لهجة سامية بل هي إحدى لهجات اللغة السامية الكبرى قريبه من سائر هذه اللهجات التي كان تحدث بها قبائل آرام وكنعان ويسهل التفاهم بها في جملتها .

ومن هنا أول ما نسمع عن اليهود في التاريخ مع ابراهيم أبو الأنبياء ابراهيم الخليل الذي ظهر مع قومه في القرن الثامن عشر قبل الميلاد كجماعة من الرعاة الرحل على المشارف والتخوم الاستبسية لجنوب العراق الذي كان يؤلف دولة الكلدانيين في أور ومن قبل كان والد ابراهيم وقومه قد خرجوا من قلب الجزيرة العربية التي نشنوا فيها كجماعة من الجماعات السامية العديدة التي تأصلت في ذلك الخزان البشري ، ففي حوالي ١٨٠٠ أو ١٨٠٥م هاجر ابراهيم وقومه في ثورة عكسية عكس عقارب الساعة شمالاً بغرب ثم جنوباً على حواف الهلال الخصيب حتى وصلوا إلى حوران ثم إلى فلسطين . ولكن هجرة ابراهيم إلى فلسطين وإن كانت أولى هجرات القبائل اليهودية فإنها لم تكن الأخيرة ذلك لأنهم لم يأتوا مرة واحدة كجسم واحد ، وإنما على عدة دفعات جاءوا من عدة طرق وتحت عدة قيادات والهجرة الثانية مثلاً كانت في القرن ١٤ ق.م .

ولابد هنا من وقفة سريعة عند تسميته أو بالأحرى تسميات اليهود فثمة تسميات ثلاث مترادفات (اسرائيل والعبرانيون واليهود) والأولى نسبة مباشرة إلى اسرائيل الاسم البديل ليعقوب

بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام ، أما العبريون فالقول أنها مشتقة من هجرتهم من كلدان الى كنعان حيث عبروا النهر - نهر الفرات أو نهر الاردن لاندرى ايهما المقصود تماماً فسموا بذلك بالعبرانيين ويقابل هذه التسمية عند المصريين القدماء كلمة Habiru وعند البابليين Khebiru ولو أن هذه أو تلك تعنى فى رواية البدو أو اللصوص أو المرتزقة كما وصفهم اعداؤهم فى كنعان اشارة الى طبيعتهم كرعاه متخلفين حضارة بالنسبة لهم .

أما التسمية باليهودية فتدخل اصلاً على ابناء يهودا Jehudah أو Judah أحد أبناء يعقوب وهو الابن الرابع ليعقوب من زوجته لئيه حيث أن أبنائه وهم راوین وشمعون ولاوى ، الذى خرج من صلبه موسى النبی ، أما يهوذا الذى نسبته إليه اليهود فمن صلبه خرج ملوك اسرائيل (داود وسليمان) وهم الذين اصبحوا يمثلون البقية الهامة من بني اسرائيل بعد الاسر البابلي واسم يهوذا نفسه قريب من اسم اله الشعب باهو Jehovah أو Jahveh التى قد تكون بدورها تحريف للنداء العربى باهو .

وأول ذكر لليهود فى كتب التاريخ يبدأ بخطأ تاريخى فأول ذكر لهم هو استعراض لحياة ابراهيم عليه السلام رغم أن ابراهيم لم يكن إلا كلدانيا فلم يكن ابراهيم اسرائيلياً لأن اسرائيل هو يعقوب حفيد ابراهيم فليس من المنطق نسبة الجد إلى الحفيد ومن البديهي أن ابراهيم لم يكن يهودياً لأن اليهودية انتساب الى يهوذا أحد ابناء اسرائيل الاثنا عشر ، كذلك فإن ابراهيم لم يكن توارثياً لأن التوراة انزلت على موسى بن عمران بن سبط لاوى بن يعقوب أى بعد ابراهيم بما يزيد عن خمسمائة سنة .

والواضح أن العلاقة بين ابراهيم وبني اسرائيل لا تزيد عن كونه جداً لهم ضمن احفاد عديدين . وقد خضع العبرانيين فى فترات تاريخية سابقة قتل ظهور موسى وجده يعقوب لغلبة اللغة الاراميه حيث ظلت هذه اللغة تتنازع العبريه بين اليهود وهى لغتهم الدينية ثم غلبت الاراميه على العبريه فى المعابد والكتب الدينية فترجمت إليها فيما بعد كتب التوراة والتلمود وكتبت بها بعض الاسفار فى عهد عزرا ودينال وكانت اللغة الاراميه التى يتكلم بها السيد المسيح .

ومن ثم فلا بد من الحديث عن بداية هجرة ابراهيم عليه السلام باعتبار ان العبرانيين واليهود والاسرائيلين ينسبون إلى ابراهيم بحوالى عام ١٨٠٥ ق.م هاجر ابراهيم وجماعته من مدينة أور الكلدانية فى العراق الى ارض كنعان بعد أن عبروا نهر الفرات ونهر الاردن ولذلك سموا بالعبرانيين واتوا الى حران وسكنوا هناك ، ولكن هناك بعض الاقوال تذكر انه لا يوجد توقيت محدد للهجرة

التي قام بها ابراهيم عليه السلام من مدينة اور الكلدانية كما تقول التوراة في طريقه الى مصر ثم عودته الى كنعان وان كان اكثر المؤرخين يرجعون بداية الرحلة حوالي ٢٠٠٠ قبل الميلاد ويرجع بعضهم حدوثها الى عام ١٧٥٠ ق.م كما أن أكثر المؤرخين يرجعون بابراهيم الى أصل آرامي . والآراميون ينسبون الى اصول عربية هاجرت من الجزيرة العربية في ازمته سابقه وظلت اللغة الارامية تحمل في جذورها السمات العربية .

ولعل من اسباب الهجرة مرده الى الاضطرابات التي صاحبت سقوط اور في أواخر دولة اور الثالثة تحت هجمات العلاميين والعموريين ولاشك أن كثير من بينهم هاجروا ابان الصراع السياسي والعسكري وحملوا معهم تلك الاسماء التي تسمى بها ابراهيم وأبائه وهي كما وردت في التوراة (تيرا ، ناحور ، سروج ، بلغ) وهي اسماء معروفة في المنطقة الغربية في حران جنوب تركيا بالاضافة الى أن اسم ابراهيم قد ورد في نصوص العهد القديم (ابراثاما) وكان ابراهيم في نفس الوقت قد أخذ طريقه الى الشمال ثم الى الجنوب طلباً للامان ، مما يفيد الى وجود هذه الاسماء في حران .

ويؤيد جون بریت John bright في كتابه (تاريخ اسرائيل) هجرة ابراهيم عليه السلام من اور مستنداً الى أن الأثر البابلي الواضح الذي تلمسه في التوراة الحالية عند كلامهم عن الخليقة وأصول الكون ونهاية الطوفان ما هو إلا ما تبقى في أذهان العبرانيين وقد أطلق اليهود لفظ (عابورو وخابيرو وهامبيرو وعابور والعبرانيون أو العبرين) مما يفيد العبور والارتحال وعدم الاستقرار والمصريون الى اليوم يطلقون على النعجة اسم (عابورا) .

بل أن خرافة العنصرية اليهودية تركز على القاعدة القائلة (أن كلمات عبري واسرائيلي ويهودي واليهودية والشعب اليهودي انما استعملت لمذلول واحد ، ولكن الواقع غير ذلك فهذه الكلمات انما تعنى اجيالاً مختلفة عاشت في مختلف العصور فكلمة عبراني اطلقت على الشعب الذي استوطن ارض كنعان (فأتى من نجا واخبر ابرام العبراني) وهي إما مشتقة من كنية ابراهيم لجدّه عابر أو من عبور ابراهيم وقومه من ارض العراق الى ارض كنعان لنهرى الفرات والاردن .

ولكلمة اسرائيل كنية لسلالة يعقوب (اسرائيل) عليه السلام وهو اللقب الذي خلعه الملاك على يعقوب ، وباركه الله به حتى أن يعقوب دعا اسم ذلك المكان الذي باركه الله فيه (بيت ايل) وأما كلمة يهودي فهي التعبير الذي كنيته به البقية الباقيه من بني اسرائيل بعد اندثار عشيرة اسباط منهم في سبي اشور عام ٧٢٢ ق.م .

ولم يبق إلا سبط يهوذا فحرف الاسم من يهوذا الى يهود وأول اعلام هؤلاء بهذه الكنية كان فى أرض بابل كان فى عهد النبی ارمياء . أما لفظه اليهودية Judaism فلم يستعملها العبرانيون أو الاسرائيليون مطلقاً بل ظهرت أول مرة اثر ظهور المسيحية وحدث فى ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة المسيحية التى فى اورشليم فشنت الجميع فى كور يهوديه والسامرة ما عدا الرسل . وعندما اصبحت كلمة اليهودية شائعة لم يكن هناك من دولة يهوديه أو عبرانيه أو اسرائيليه فى عالم الوجود . إذ أن الشعب اليهودى كان منتشرأ فى مختلف انحاء العالم وقد اختلط افراده بسائر الشعوب التى عاشوا فيها .

فمنذ القدم ادعى الاسرائيليون لانفسهم ما ليس لهم فأورثوا أنفسهم ميراث جدهم الاعلى ابراهيم عليه السلام وحرموا منه اسماعيل جد العرب ، لكن المسيح عليه السلام دحض هذا الافتراء واعاد الحق الى نصابه فتنبأ بانتزاع الملك والتنبؤ والكتاب من اسرائيل الى امة اسماعيل عليه السلام ويؤيد المسيح فى نبوته يوحنا صاحب الانجيل والرسل وسفر الرؤيا المنسوبة إليه . وهكذا نرى كيف ان اختلاف الأسماء التى كان يدعيها اليهود لم تكن مطابقة كل عصور التاريخ وانهم كانوا يتخذون الاسم الذى يحقق اهدافهم ومصالحهم الذاتية بغض النظر عن العقيدة اليهودية بل أنهم طوعوا التوراة لتحقيق اهدافهم فى اغتصاب فلسطين من أهلها الشرعيين واباحوا لأنفسهم فعل ابشع الافعال من قتل وتدمير وحرق وابادة كاملة باسم الدين والاسفار التى يتلونها فى التوراة .

كما أننا نضع دراسة للتوراة للدكتور بدران محمد بدران تحت عنوان (التوراة ، العقل ، العلم ، التاريخ) حيث فند فى هذه الدراسة المزاعم اليهودية التى لا يقبلها عقل بشرى ولا تدخل تحت فكر الهى واقوال عن رب العالمين لأن فيها الكثير من التجنى على الانبياء والرسل ولاسيما ابراهيم وموسى وداود وسليمان وما جاء بالقرآن الكريم عن أفعال كانت هذه المعتقدات لا تتماشى مع القبول القلبي.

ومن ثم نجد ابراهيم وقد جلب معه بعض المعتقدات التى لقنها اولاده وبقيت تنتقل بالرواية من جيل إلى جيل حتى ايام تدوينها على ايام سليمان بن داود . ويبقى ملاحظة أن هجرة ابراهيم لم تكن هجرة افراد وجماعات تضم جماعات كثيرة بل وتضم الزوجات والابناء والعبيد وما يملكون من حيوانات ومن أجل هذا تمكن ابراهيم بافراد عدتهم ٣١٨ رجلاً من أهل بيته من الوقوف فى وجه ومواجهة (كدر لعومر) والملوك الذين معه واستطاع مطاردتهم الى حويه التى تقع شمال دمشق

(التوراة تكوين ١٥) وهذه الهجرة الجماعية لم تكن تأخذ طريقاً متصلاً باستمرار، بل كانت تنتجع المراعى ولم يكن لها هدف محدد ومن ثم مر ابراهيم ببلاد كثيرة استضافته واکرمت مثواه وهاجر منها وانتهى مطافه الى هذه الأرض التي تزخر بشعوب كثيرة (فنزیه ، فينقيه ، قدمونيه ، فرزیه ، رفائيه ، اموريه ، حرقانيه ، ييوسيه ، كنعانيه ، فلسطينيه ، وحيثيه) . سفر التكوين ١٥ .

وتقول التوراة ان ابراهيم انتقل وسكن بين قادش واشور ثم انتقل من هناك الى ارض الجنوب وتغرب في جرار ثم أقام خيامه في وادي الاردن ثم اجذبت الارض وهاجر الى مصر وفي روايه نذكر أن ابراهيم واسرته وجموع كبيرة قد خرجوا من مدينة اور الكلدانيه واتجهوا الى الفرات ثم هبطوا الى وادي العاصي والاردن فمصر هرباً من الجوع واخيراً عادوا الى حبرون في عهد الملك (امرافيل) والذي لعله هو حمورابي .

وعندما ترك الخليل ابراهيم مدينة اور الكلدانيه متجهاً الى اعلى الفرات ثم هابطا الى سوريا حتى وصل الى جوار حبرون في فلسطين فإنه كان على صله تجارية بابناء (حث) الحيثيين في الشمال . كما ورد في الاصحاح الثالث والعشرين في وقت ربما كان معاصراً لغزوة الحثيين وفي مواقع عديدة من التوراة نجد اشارة الى ذكرى القوم الذين احتلوا الارض مدة طويلة قبل وصول الاسرائيلين الى فلسطين .

وتذكر المصادر التاريخية القديمة ان امرافيل الذي حارب ابراهيم هو حمورابي الذي كان ملكاً على بابل عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد واستندوا في ذلك أن امرافيل هو حمورابي اشهر ملوك بابل وان كارثة سدوم وعمورة التي حدثت في عصر ابراهيم تقترن بالخراب الذي قضى على سكان المدن هناك حوالي ٢٠٠٠ قبل الميلاد كما ظهر من كشوف البعثات الاثرية في العراق عام ١٩٢٤م بعثة Albright and Kyle ونضع الحوادث المصرية مقابلاً من حوادث التوراة فيضع عصر ابراهيم مقابلاً للأسرة الثانية عشرة حوالي ٢٠٠٠ ق.م وعصر يوسف مقابلاً للأسرة السادسة عشرة سنة ١٨٠٠ ق.م على سبيل الاحتمال واستندوا الى مرجع توارتي وان عصر حمورابي حوالي ١٩٠٠ ق.م وعصر الاء العبرانيين في كنعان ١٩٠٠ أو ١٧٠٠ وعصر يعقوب وابنة في مصر حوالي ١٧٠٠ ق.م .

وكانت الأسباب ان دعوة ابراهيم اقترنت بالتوحيد واقرنت بالاله الواحد خالق الكون وخالق الناس وحاكم الكون والناس وكان منه الأمر والنهي واقرنت باعلاء العبادة الى ما فوق الطبيعة . وقد افاض الاصحاح الحادي عشر في سفر التكوين في سيرة ابراهيم ورفع نسبه الى سام بن نوح

فهو ابراهيم بن ازر بن تارح بن ناحور بن سروح ابن رغو بن فالج بن عابر بن شامخ بن ارفكشاه بن سام بن نوح .

وترى بعض المصادر ان ابراهيم خرج مهاجراً من ارض الكلدانيين عبدة الاوثان لكي يعبد الله رب العالمين والذي اهتدى إليه بفطرة سليمة وقد مرت عليه الاحداث الجسام فزادته يقيناً وايده الله . وذلك بالقول في الاصحاح الثاني عشر وظهر الرب لابرام وقال لنسلك اعطى هذه الارض . وفي مكان آخر من نفس السفر (اعلم يقيناً ان نسلك سيكون غريباً في ارض ليست لهم يستعبدون فيها وسيبتذلون اربعمئة سنة . ثم ادين الأمة التي تستعبدهم فيخرجون باملاك جزيله وتمضى أنت الى اباتك بسلام وتدفن بيته صالحه ثم يرجع نسلك في الجيل الرابع الى هاهنا إذ لم يتم بعد ذنب اللامورين ، نسلك اعطى هذه الارض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) .

وسكن ابراهيم ارض كنعان وتاقت نفسه الى ولد يكون امتداداً له فنادى ربه فاستجاب له ووهب له على الكبر اسماعيل واسحق وقال ماذا يعطني وانا عقيما فوعده الله بأرض تمتد من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات ، وهكذا فإن ابراهيم الذي كان قد طعن في السن ولم يكن قد انجب ولداً وهنا حدثت نعمه الكبرى من الله حيث رزق ابراهيم البنين وهو بعد كهلاً .

ونضيف فنقول ان ابراهيم ظل يتجول في ارض كنعان غريباً فيها واتحدر منها الى مصر حيث اصابته المجاعة ، لكنه نال في مصر خيراً فصار له غنم وبقر وحمير وجمال واماء . ثم صعد من مصر الى ارض كنعان الى حيث اقام مذبح الرب ونصب خيمته في البدايه بين بيت ايل وعاي . وكان اول وعد للرب لابراهيم حيث امر بالعبور الى كنعان وقال الرب لابرام . اذهب من ارضك وعشيرتك ومن بيت ابيك الى الارض التي اريك فأجعلك أمه عظيمة وباركك واعظم اسمك وتكون بركه ... وتتبارك فيك جميع قبائل الارض .

ثم كان وعد الرب لابراهيم بالارض التي هو عليها وكانت ارض كنعان فلسطين وكان هذا اول وعد بأن تكون فلسطين لذرية ابراهيم وظهر الرب لابرام وقال لنسلك اعطى هذه الارض فبنى مذبحاً للرب الذي ظهر له .

والمعنى واضح في نسلك فإنها تشمل كل نسل ابراهيم لا بعضه وكان هذا الوعد قبل ان يرزق ابراهيم ولداً وذريه ولم يكن اسماعيل واسحق قد ولدا بعد وتكرر الوعد قبل مولدهما وكان ابراهيم قد اعتزل (ابن أخاه لوط ، روايات تذكر أنه أخاه) واختار لنفسه كل دائرة الاردن وارتحل شرق واعتزل كلاهما الآخر ابراهيم سكن ارض كنعان ولوطا سكن في مدين وسكن ونقل خيامه الى سدوم .

وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط له (ارفع عينيك وانظر فى الموضع الذى انت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً لأن جميع الأرض التى أنت ترى . لك اعطيها ونسلك الى الأبد . قم وامشى فى الأرض طولها وعرضها لأنى لك اعطيها (تكوين ١٥: ١٤) ومن ظاهر لفظ (انظر) والتى أنت ترى لا تتجاوز الملكيه كيلو متر مربعاً لكن مالبث أن ارتبط الوعد بالمشى فى الأرض طولها وعرضها مما يستدعى امكانية المرعى ثم يتسع المفهوم مع تطور احلام كتاب التوراة الى أن قطع الرب ابرام ميثاقاً قائلاً لنسلك اعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات .

وفى الاصحاح السادس عشر من التوراة ان هاجر زوجة ابراهيم المصرية ولدت اسماعيل وفى الاصحاح الحادى والعشرين أن ساره زوجته ولدت اسحق وأمن ابراهيم وزوجه ساره بوعد الله وادخلته على هاجر جاريتها لتلد له ولداً يحمل اسمه ويتحقق فيه وعد الميراث فولدت هاجر لابرام ابناً . ودعا ابرام ابنه الذى ولدته هاجر اسماعيل ، وعندما بلغ ابراهيم من العمر مائة عام ولد له ولد آخر هو اسحق من زوجته الاولى ساره لتأكيد قدرة الله على العطاء ، لكن الاحتكاك العائلى والتكالب على الدنيا دفعا ساره الى أن تضغط على زوجها ابراهيم ليطرد زوجته هاجر وابنها اسماعيل حتى تضمن الوعد فى ابنها اسحق ويقال ان ساره رأت ابن هاجر المصرية يمزح فقالت لابراهيم اطرد الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى اسحق ، وحزن قلب ابراهيم على ابنه اسماعيل فأكد الله القدير الوعد له بقوله (وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه وهنا انا اباركه واثمره واكثره كثيراً جداً اثنى عشر رئيساً بلد واجعله أمه كبيرة كما أكد الله وعده لهاجر بقوله (انى سأجعله أمه عظيمه) وقال الله لابراهيم اسمع كل ما تقوله ساره لأنه بأسحق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضاً سأجعله أمه لأنه من نسلك . فمضت هاجر ونادى ملاك الرب هاجر من السماء وقال لها . أن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمه عظيمه .

وقد استند بعض الذين توفروا على كتابه تاريخ ابى الانبياء ابراهيم على مرجع من أحدث المراجع هو (موجز التعليقات الحديثة على الكتاب المقدس) الذى اشترك فى وضعه نحو ثلاثين عالماً من علماء اللاهوت فى انجلترا وخاصة على الفصل الأول الذى عنوانه (العالم فى ايام ابراهيم) .

فذكروا أن اولئك العلماء يشيرون فى هذا الفصل الى كلمة " عبرى " ومعناها فقالوا أنها وجدت فى آثار رم سن سلف حمورابى ، كما وجدت فى نص من النصوص البابليه التى كشفت فى

عاصمة الحيثيين وتسمى اليوم (يوغان كوي) وجدت كذلك في نصوص خورانيه بالعراق ، وقد ذكر في الأصحاح الثالث والعشرين من سفر التكوين إذ يقول (انا غريب ونزيل عندكم اعطوني ملك قبر معكم لادفن ميتي كما ذكر نفس الاصحاح موت ساره في قرية اربع التي تعرف الان باسم حبرون في كنعان) .

وهكذا نرى حين بشر ابراهيم بالارث نسله ولن يخرج من احشائه كان اسماعيل اول من ولد له بعدما طلبت منه زوجه ساره أن يدخل بجاريته هاجر حتى يكون له منها نسل بعد أن ظلت عقيماً وجاء الوعد بهذا الارث محدداً وفي ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلاً لنسلك اعطى هذه الارض وسكانها الفنيقيين ، والقنزيين والحيثيين والقرزيين والاموريين والكنعانيين والجرجاشيين والبيوسيين ، واقترون الوعد هنا بمولد اسماعيل ولاسيما أن الابن الأكبر هو الذي كان يورث ، لكن إذا عم الارث ابناء ابراهيم جميعاً فمعنى ذلك انه ليس لاسحق أو لنسله من يعقوب (اسرائيل) وحدهم بل هو للعرب ايضاً وهم من نسل ابراهيم .

وفي رواية التوراة مصداقاً لذلك وتوكيداً له ففي الكثر التي يشير بها الرب الى نسل ابراهيم ما ينطبق على نسل اسماعيل دون نسل اسحق وابنه يعقوب (اسرائيل) فقد اصهر ابناء اسماعيل الى ابناء أخيه اسحق حين تزوج عسيو شقيق يعقوب وابن اسحق من محله ابنه اسماعيل اما يعقوب فقد اصهر الى ابناء خولته من الكلدانيين وبعدت نسبة الارث من ابراهيم إليه فيما اقتربت بزواج عيسو بن اسحق وشقيق يعقوب من محله ابنه اسماعيل واجتمع في نسلهما اكثر ابناء ابراهيم وكان ابناء اسماعيل هم الكثر ثم قال له الرب (انظر الى السماء وعد النجوم ان استطعت ان تعدها) وقال له هكذا يكون نسلك ويكون نسل اسماعيل وليس اسحق ويعقوب لأن هذا الوعد اقترون بمولده وبكثرة ابناءه حتى يصبحوا عدد نجوم السماء كما وعد الرب وتكون منهم أمة العرب (٢٧٠ مليون) وليس أمة اليهود (١٨ مليون) ثم يقاس على يهود العالم من كل الأجناس ايضاً المسلمون البالغ عددهم ١,٢٥٠ مليار ومائتي وخمسين مليون نسمة والتي امتدت وملأت بقاع تلك الساحة الرحيبه وذهب ابناء اسحق من الاسرائيليين قلّه في بقعه من بقاع الأرض ، وكان عهد الختان (ختان اسماعيل) ولم يكن اسحق قد ولد بعد ولا يمكن ان ترتبط النبوة بمن كان في ضمير الغيب لا يعلم عنه أبوه شيئاً ولا تعلم أمه ساره ان الله سيذك عسرته ويأسو عقمها لتلد اسحق وقد كان عمر اسماعيل اكثر من الثالثة عشر من عمره ، وهكذا شاء الله أن يجعل ابراهيم أمه مؤمنه صادقة صابره وأن يجعل لهذه الأمه ميراً عن باقي شعوب الارض فأقام عهداً وميزه بعلامة .

ولقد كان ابراهيم فى سن تسع وتسعين عندما ختن اسماعيل وهو ابن ثلاث عشر سنة وفى ذلك انجازاً لهذا الوعد وأخذ ابراهيم اسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته (قبيلته) وجميع المبتاعين بفضته كما ذكر من اهل بيت ابراهيم وختن لحم عزلتهم فى ذلك اليوم عينه كما كلمه الله . وكان اسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن من لحم عزلته فى ذلك اليوم عينه ختن ابراهيم اسماعيل ابنه فى حين أن اسحق ولد عندما كان اسماعيل قد بلغ اربعة عشر عاماً وكان ابراهيم قد بلغ من العمر مائة عام اذن الحق الوعد والميراث لاسماعيل وليس لاسحق . وتؤكد حقائق التاريخ والتوراة أن ابراهيم واسحق كانا على وفاق وتؤكد الحقائق هذه الحقيقة انه عندما مات ابراهيم (دفنه اسماعيل واسحق فى مغارة المكفيلة وهو مدفون فى حبرون) (الخليل) .

ولقد كانت مصر فى بعض الفترات من حياة ابراهيم مطلباً لإبراهيم اذ كان من المنطقى أن ابراهيم الذى هجر ارضه وعشيرته احتسب بالله وحده لا يرضى الا بارض تعرف الله الواحد الاحد ومصر التى تدين بدين التوحيد استهوت فى مختلف العصور اولئك الاباء والانبيا والرسل الذين هاجروا إليها اما طلباً للزاد كما هاجر إليها ابراهيم ويعقوب والاسباط وأما للالتجاء والاحتماء من عنوان كما التجأت إليها مريم العذراء وابنها المسيح عليه السلام .

ويذكر أنه فى إبان حكم الأسرة الثانية عشرة المصرية (٢٠٠٠ ق.م - ١٧٨٥ ق.م) وفد على مصر الاباء ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم سلام الله يمتارون لأنفسهم وتسجل التوراة وفاده ابراهيم (وحدث جوع فى الأرض فانحدر ابراهيم (ابرام) إلى مصر ليتغرب هناك .

لأن الجوع فى الأرض كان شديداً أو عن اسحق وكان فى الأرض جوع غير الجوع الذى كان فى أيام ابراهيم وعهد يعقوب الذى سكن فى أرض غربة ابيه فى أرض كنعان . ولما رأى يعقوب أنه يوجد قمح فى مصر قال يعقوب لبنيه أن سمعت أنه يوجد قمح فى مصر انزلوا الى هناك واشتروا لنا من هناك (لنحيا ولا نموت) .

ويرجع Weigall ان مجيئ ابراهيم الى مصر كان فى زمان فرعون مصر امنمحات الاول (٢٠٠٠ - ١٩٧٠ ق.م) فى عصر الأسرة الثانية عشرة .

Weigall , History of the pharaos . vol . II.P.40.

ولكن التاريخ لا يكاد يقدم برهاناً ثابتاً على صحة ما ذهب إليه Weigall حتى يتبين أن (امرافيل) الذى حاربه ابراهيم من أجل ابن أخيه لوط فقد كان فى أيام (حمورابى) البابلى الذى عاش حوالى ١٩٤٠ ق.م مما يحتتمل ان يكون مجئ الى مصر فى أيام سنوسرت الاول ١٩٧٠-١٩٣٦ ق.م.

Smith , Sidney : The early history of Assyria PP.70-71 .

ونعود لكى نتحدث عن النوازع البشرية حيث تأبى ساره بعد أن تلد اسحق حيث كان ابراهيم عليه السلام قد جاوز المائة عام بعام واحد . أن يشارك ابنها شريك فى الميراث فتدفع ابراهيم الى أن يطرد هاجر وابنها اسماعيل فى الصحراء العربية بغية أن تفكك بهما وحوش الصحراء الكاسرة فتعلن ايرادتها بقولها (اطرده هذه الجارية وابنها) لأن ابن الجارية لا يرث مع ابنى اسحق فيأسف ابراهيم ولكن العناية الربانية لن تترك الامور تجري كما يخطط البشر فيؤكد الله لابراهيم (وابن الجارية أيضاً سأجعله أمه لأنه نسلك) كما تحوط العناية الربانية هاجر زوجة ابراهيم ويعزيها الله سبحانه وتعالى بوعدده لها (قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمه عظيمه) .

وقد اكتشف الباحثون عن الآثار عن الواح بابلية تدل دلالة قاطعة علمية على أن أسرة من اسرهما المالكه عدد ملوكها ثلاثة حكمت فرنسا قرناً من الزمان وكانوا ساميين موحديين وانهم استولوا على اسفل بابل حتى طردهم السومريون وهم وثنيون غير موحديين ثم ذكر انه بالموازنة الدقيقة بين نصوص التوراة ونصوص الألواح البابلية وبمقارنته التواريخ فى كليهما القرن العشرين قبل الميلاد تأكد لديه أن آخر ملوك هذه الأسرة ليس شخصاً آخر غير ابراهيم نفسه وأن اسمه كما ورد فى الألواح (دمنقى ابليشو) وأن ترجمة الاسم هى (خليل الله) وهو اللقب الذى يطلق فى المراجع الاسلاميه على ابراهيم الخليل (عليه السلام) .

ثم ذكر أنه سبب سقوط هذه الأسرة الساميه وعقب سقوطها هاجر ابراهيم الى فلسطين وكانت إقامة ابراهيم فى الطرف الجنوبى من فلسطين حتى اختصم اسماعيل وأخوه اسحق وغضبت ساره على هاجر انتقل ابراهيم باسماعيل وامه الى بكة المكرمه ومما يقطع بانتقال ابراهيم واسماعيل الى بكة وبناء الكعبه ما ورد فى سورة آل عمران « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً » وما ورد فى سورة البقرة « وإذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » وقد ذهب بعض المؤرخين الى أن ابراهيم تزوج بعد وفاة ساره امرأة من الكنعانيين ولدت له ستة أبناء فكان جملة أبناء ابراهيم ثمانية اسماعيل من أم مصرية واسحق من أم عراقية وستة من أم كنعانية . وقد شبه كتيب التوراة صورة ابراهيم عليه السلام فقالوا أن ابراهيم كان يقطن ارض كنعان (فلسطين) وحدث مجاعه هناك فجاء ابراهيم الى مصر مع زوجته ساره وكان اسم ابراهيم فى

ذلك الوقت (ابرام) واسم زوجته (ساراي) الذى تحول بعد ذلك الى ساره . بعد أن أخذ العهد وقبل دخولهما الى مصر قال ابراهيم لزوجته (أنى قد علمت انك امرأة حسنة المظهر) فيكون إذا راك المصريون أنهم يقولون هذه إمرأته فيقتلوننى وسيتبعونك ، قولى انك اختى يكون لى خير سبيلك وتحيا نفسى من أجلك ، وهكذا صورت التوراة ابراهيم .. ثم أوصى عليه فرعون بعد امره بالذهاب وجعل رجالاً يشيعونه وامراته وكل ما كان له فى مصر وخرج عائداً الى ارض كنعان فى فلسطين .

وهكذا نرى كيف أن العبرانيين قدموا من اور فى كلدانيا فى شمال العراق وكيف قدم ابراهيم عليه السلام مع قومه البالغ عددهم ٢١٨ فرد وكيف عبروا نهر الفرات ثم نهر الاردن وكيف استقروا غرباً بعض الوقت فى كنعان ثم رحلوا بسبب جذب الارض وعدم وفرة المحاصيل فى هذه الارض انطلقاً لارض مصر حيث نزح بعد ان أقام فترة ومعه هاجر جارية ساره زوجته وكيف طاب لهم المقام فى ارض كنعان فى جوار أهلها الكنعانيين اليبوسيون وكيف من الله على ابراهيم بأن رزقه وهو كهلا بمولد اسماعيل عليه السلام من جارية ساره هاجر ثم كيف ، حملت ساره بابنها اسحق وابيه قد جاوز المائة عام وتم بعد ذلك بناء على طلب ساره الانطلاق من كنعان الى مكان مكرمه لكى يعيش اسماعيل مع أمه هاجر لكى يكون أمه عظيمة بعد أن اختلط احفاده مع قبيلة جرهم العربية لكى يكون من نسل اسماعيل أمة عظيمة كبيرة يمتد ابنائها من الفرات شرقاً الى المحيط الاطلنطى غرباً وذلك كما وعد الرب سيدنا ابراهيم وان هذا الوعد لا ينطبق على احفاد اسحق فقط الذين تشتتوا فى شتى اقطار الارض فيما ازداد تعداد ابناء اسماعيل العرب ليصل تعدادهم حوالى ٢٧٠ مليون نسمة يضاف إليهم اعداد كبيرة من المسلمين يصل الى ١,٢٥٠ مليار ومائتى وخمسين مليون يعتقدون عقيدة الاسلام التى أرسل الله رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من نسل ابراهيم واسماعيل لتكون أمه عظيمة وهكذا لا يكون الوعد خاصاً باسحق أو يعقوب لأن اسماعيل هو الابن الأكبر الذى كان ولازال أمه عظيمة تعتنق عقيدة الإسلام نظراً لتحول الرسالة من نسل يعقوب (اسرائيل) الى نسل اسماعيل عندما جاء الوحي فى غار حراء على الرسول محمد بن عبد الله من نسل اسماعيل لتكون خاتمة الرسالات السماوية وتكون القدس قبلة المسلمين الأولى ومكان المعراج الى السماء وليكون ذلك دليلاً خاصاً على الارض الواسعة من النيل الى الفرات خاصة بابناء اسماعيل البكر الأكبر الذى يزيد عن عمر اسحق بأربعة عشر عاماً وهذا يدحض ما جاء على اقوال الاسرائيليين .

الفصل الرابع

نزوح يعقوب (اسرائيل) وابناؤه الى مصر

(الاسباط الاثني عشر)

كانت مصر أيد الدهر ملجأ للمحتاجين والضعفاء والمضطهدين الذين يلجأون إليها إيجاداً للمنى الأمن حيث الاستقرار والرغد والعيش الطيب فى ظل وجود دولة مركزية قوية تبسط سلطانها على جميع أنحاء القطر ولما حبى الله به مصر من نعم كثيرة دون غيرها من الدول المجاورة ومن هنا كان السعى إليها طلباً لكل هذه الأشياء المتوفرة فى هذا البلد الطيب.

ومن المعروف عبر السيره الاسرائيلية العبرية ان اسحق بن ابراهيم قد رزق بابنين تزامين أحدهما عيسو والآخر يعقوب وهو محور دراسة هذا الفصل وقد صورت التوراة يعقوب (اسرائيل) بأنه الانسان الغظ ، غليظ القلب، الذى لا يطعم أخاه تؤامه عيسو وتذكر التوراة قصة اسرائيل (يعقوب) إذ نصحه أبيه اسحق بالزواج من ابنة خاله لاىان . وذهب يعقوب واعجب براحيل ابنة لاىان ولكن خاله زوجه من الكبرى ليئه مقابل عمل سبع سنوات .

وقد تزوج يعقوب أربعة من النساء : من ليئه وراحيل ، وزلفه وبلفه.

فأما ليئه فقد ولدت ليعقوب ستة أبناء هم رابين وشمعون ولاوى (الذى خرج من صلبه موسى النبى) ويهوذا والذى نسبته اليهود ومن صلبه خرج ملوك اسرائيل داود وسليمان) وبساكر الخامس ثم زبولون السادس .

وأما الزوجة الثانية راحيل فقد ولدت ليعقوب ابنين هما يوسف النبى والابن المفضل والمحبوب بل الاثير لدى أبيه ، والذى انتهى به المطاف الى أن يصبح فيما بعد اميناً على مخازن ملك مصر وبنيامين .

أما الزوجة الثالثة زلفه فقد انجبت ليعقوب ابنين هما جاد واشير .

والرابعة بلفه فقد ولدت اثنتين هما دان ونفتالى .

وهؤلاء الاسباط الاثني عشره وكان يعقوب قد ظل عند خاله عشرون عاماً أنجب خلالها احدى عشر ولداً وسبطاً ثم ترك خاله ورحل بأبنائه وزوجاته وجواريه ثم بعد ذلك انتقل يعقوب الى ارض ابيه وهناك أنجب اصغر الاسباط الاثني عشر وهو بنيامين شقيق يوسف .

وفى التوراة كما فى القرآن الكريم أكثر وضوحاً تركيز على قصة يوسف الصديق وذهابه الى مصر وكيف أصبح وزيراً لفرعون مصر زمن الهكسوس وكيف انتقل الأسباط مع أبيهم الى مصر وينتهى سفر التكوين من التوراة بموت يوسف عليه السلام ومن المعروف ان بنيامين هو السبط الثانى عشر والاخير من أسباط اسرائيل وهو من الاساس اساس العائلة واليهود يحفظون الاسماء فى اسفارهم ويدققون فى كتابتها وبالرغم من ذلك فقد اخطأوا اخطاء جسيمة فى اسماء هؤلاء الأسباط وهناك اربعة من الأسباط ابناء اسرائيل (يعقوب) ابناء جوارى اثنان منهم دان نفتالى أبنا بلهمه جارية راحيل زوجة يعقوب والاخران (جاد واشير) ابنا زلفة جارية لينة زوجة يعقوب الاولى ، فيكون الأسباط ثمانية فقط وهذا ما لا تنص عليه التوراة بل تتمسك التوراة بان الأسباط اثنا عشر وتعترف بابناء الجوارى وعلى هذا لا يكون اسحق وحيد لابراهيم بل يكبره اسماعيل بثلاثة عشر عاماً .

ومن هنا فليكن معلوماً للقارئ أن يعقوب هو اسرائيل وأن الأسباط الاثنى عشر هم أسباط اسرائيل أو ابناء يعقوب الأوائل ، والمعروف من تاريخ بنى اسرائيل حسب العهد القديم ان اغلب ملوك اسرائيل خرجوا من سبط يهوذا وأول هؤلاء الملوك من سلالة يهوذا حسب نصوصهم هو داود النبى الملك ثم ابنه سليمان وآخر هؤلاء العظماء كان المسيح عليه السلام والمسيح عليه السلام حسب نصوص الانجيل من نسل داود ، وداود من نسل يهوذا وانجيل متى يعتبر المسيح ملكاً لليهود .

وقد كان يوسف عليه السلام أحب ابناء يعقوب الى قلبه مما ترك اثره فى نفوس بقية اخوته وكانوا يرون أنه سيداً عليهم ومختار فوقهم مما حدا بهم فى النهاية الى تحين الفرص كي يتخلصوا من صاحب الاحلام هذا كما جاء فى سفر التكوين على لسان اخوة يوسف ، وأخيراً انتهى بهم الامر الى أن القوه فى احدى الابار بالصحراء الجافة حيث سرعان ما التقطه بعض القبائل السيارة وأتت به إلى مصر (انظر سورة يوسف فى القرآن الكريم ، سورة رقم ١٢ ص ٢٢٥-٢٤٨) فباعته الى عزيزها رئيس شرطتها ووزيرها الاول وهنا يجب أن نقف لكى نتدبر قيمة وهذا الحدث فى تاريخ بنى اسرائيل كله ذلك أن يوسف لو لم يأت الى مصر ويبيع الى أحد المقربين من ملكها الذى كان بالمناسبة من الغزاه الهكسوس لما تيسر له بعد ذلك أن يأتىها أبيه وأخوته ليقيموا بها اقامة مستمرة ولما كان هناك محل لحدث واقعة الخروج بعد ذلك .

ومصر منذ القديم اشتهرت بغناها ووفرة الغلال التى كانت تفيض عن حاجة سكانها فتحملها القوافل إلى بلاد الشرق وعلى الأخص الى ارض الكنعانيين وكان القحط يشتد بارض

كنعان في فلسطين (الشام) فيجيئ رجالها الى مصر يمتارون لأنفسهم واهليهم وحوادث مجنهم الى مصر قد سجلتها التوراة وسجلتها الاثار المصرية الفرعونية .

وكان يعقوب لما رأى أنه يوجد قمح في مصر قال لبنيه انى سمعت أنه يوجد قمح في مصر (انزلوا الى هناك واشتروا لنا لنحيا ولا نموت ، وقد سبق ان وفد الى مصر يوسف الصديق وكان يوسف لما نزل الى مصر فأعطاه الله نعمة في عينى فرعون وجعله وزيراً له يدير شئون الدولة وفي هذه الفترة اتى بنوا اسرائيل ليشتروا بين الناس الذين اتوا للشراء لأن الجوع كان في ارض كنعان وكان يوسف هو المسلط على الارض وهو البائع لكل شعب الارض وكان الجوع شديداً في الارض ، فارتحل اخوه يوسف الى ارض كنعان وجاء الى مصر يعقوب وكل نسله جاء بهم الى مصر .

وقد جاء يعقوب والد القبيلة الاسرائيلية هو وابناؤه وزوجاتهم واحفادهم وازواج بناتهم وخدمهم واسرهم قدموا الى مصر وتناسلوا بحماية يوسف بن يعقوب . وان دخول الاسرائيلين الى مصر يبدو أنه حدث في أيام حكم الهكسوس فقد كان الهكسوس جنساً سامياً هائماً على وجهه فحمى الاسرائيلين وهم جنس سامى هائم على وجهه وكيف ان يوسف اشتراه احد الغزاه الهكسوس ثم أصبح اميناً على مخازن المحاصيل وعندما حدثت مجاعة في الارض كان يوسف قد استعد لها سلفاً ولم تذق مصر بفضلها كيف يكون الموت جوعاً . على ان مصر لم تكن المستفيد الوحيد من قدرات يوسف وتدبيره ذلك لان قبائل انصحراء البدويه سرعان ما وجدت نفسها وظروف المجاعة والجفاف تدفعها دفعاً للجوء الى مصر وهكذا غدت مصر مقصداً لكل وجهه ومحطاً لكل رحله .

وكان قدوم يعقوب وأهله وابناؤه واحفاده وكل بيته وفزلوا ارض جاشان بالصحراء الشرقية وهي تقريباً المنطقة التى تضم معظم اراضى محافظتى الشرقية والاسماعيلية فى العصر الحديث لمصر . وهناك اقوال تذكر ان ارض جاشان أو جوشن التى يسكن بها بنى اسرائيل كانت تمتد من شبين القناطر الى فاقوس وأن جاشان اسم توارتى لمحافظة الشرقية وقد استقر بنو اسرائيل فى مصر فترة طويلة اختلفت فيها المصادر الدينية والتاريخية ولكن كان عددهم عند القدوم سبعين فرداً وقد استقروا اربعمائه وثلاثين سنة وقد جاء فى سفر التكوين اربعمائه سنة وفى سفر الخروج (وان اقامة بنى اسرائيل التى اقاموها فى مصر فكانت اربع مائه وثلاثين سنة) .

وإذا تتبعنا سيرة بنى اسرائيل منذ دخولهم مصر الى خروجهم منها نجد أن دخول بنو

اسرائيل الى مصر كان فى عهد يوسف الصديق والقصة معروفة للجميع وخرجوا فى عهد موسى عليه السلام واسم موسى هو (موسى بن عمران بن قهات بن لاوى حسب التوراة) ونصوصها ولاوى هو ابن يعقوب اخ يوسف وهو الذى دخل مصر مع اخوته وابيه وهذا يعنى أن بنى اسرائيل خرجوا من مصر فى الجيل الرابع منذ دخولهم ومما سبق يكون كل جيل من هذه الاجيال قد عاش (مائة وسبع سنين ونصف) ولكن هناك اقوال يذكرها علماء البروتستانت اليهود وبعض المؤرخين اليهود ومفسريهم على أن مدة اقامة بنى اسرائيل فى مصر كانت ما بين مائتين وخمس عشر عاماً (٢١٥) وليس (٤٢٠ سنة) ويستدلون على ذلك ان مجيئ يوسف الى مصر كان عام ٢٥١٣ ق.م وان خروج اليهود من مصر وعبرهم بحر القلزم وغرق فرعون كان عام ٢٢٩٨ ق.م هذه تكون المدة التى قضها بنو اسرائيل فى مصر مائتان وخمسة عشر سنة .

وتذكر التوراة ان بنى اسرائيل سكنوا فى ارض مصر وفى ارض جاشان وتملكوا فيها واثروا وكثروا جداً ، وقد صورت قوافل الدخول الى مصر على قبر امير من حكام الاقليم السادس عشر فى (بنى حسن مركز ملوى محافظة المنيا بصعيد مصر) وعبروا منها فى ركاب يوسف حينما حملوا جثة يعقوب ليدفنوه فى مغارة بارض كنعان فى (حقل المكفيله) وتسجل التوراة فى هذا الحدث بقولها (فوقع يوسف على وجه ابيه وبكى عليه وقبله وامر عبيده الاطباء ان يحنطوه فحنط الاطباء اسرائيل (يعقوب) وكمل له اربعون يوماً لأنه هكذا ايام التحنيط على يد المحنطين وبكى عليه المصريون سبعين يوماً وحمله بنوه الى ارض كنعان ودفنوه فى مغارة حقل المكفيله التى اشتراها ابراهيم ليدفن فيها زوجته سارة مع الحقل فى عفرون .

ثم رجع يوسف الى مصر واخوانه وجميع الذين ذهبوا معه الى ارض كنعان لدفن ابيه وذلك بعد أن فرغوا من دفن اسرائيل ولما رأى اخوة يوسف أن أباهم قد مات قالوا ربما يوسف يضطهدنا ويرد علينا الشر الذى صنعناه) فقال لهم يوسف لاتخافوا لأنه هل أنا مكان الله انتم قصدتم الى شرا .

أما الله فقصد بى خيراً لكى يفعل كما يفعل اليوم ليحيى شعباً كثيراً فالان لاتخافوا انا اعلوكم واولادكم فعزاهم وطيب قلوبهم وسكن يوسف فى مصر هو وبيت ابيه وعاش يوسف مائة وعشر سنين ثم مات يوسف وهو ابن مائة وعشر سنين فحنطوه ووضع فى تابوت ودفن فى مصر . وهذه تواريخ غير مؤكده اوردناها لأنها بعض الاراء فى حين أن دخول يعقوب واولاده واقراد أسرته كان تقريباً عام ١٧٠٠ أو ١٧١٠ ق.م . وان الخروج كان تقريباً فى عهد مرنباح فى عام ١٢٢٤ ق.م .

والقصة تؤكد ان اسرائيل واهله وابناؤه نزلوا مصر ضيوفاً بسبب الجوع الذي كان فى الارض وظلوا بمصر حتى رحلوا عنها فى ركاب موسى عليه السلام . وكما سبق القول وكما تقول التوراة العهد القديم ان بنى اسرائيل (العبرانيين) قد عاشوا فى مصر اربعمائة وثلاثين سنة حسب النص واما اقامة بنى اسرائيل التى اقاموها فى مصر فكانت اربعمائة وثلاثين سنة ، عاشوا هذه السنين الطوال بين اهلها وتعلموا من حكمائها واستقوا منهم الحكمة والفلسفة وكانت مصر فى تلك الآونة من التاريخ فى اوج مجدها ومزدهرة ازدهاراً كبيراً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وفلسفياً وبالتالى اجتماعياً وكانت مصر تسيطر على الشام والعراق وما حولها من البلاد حتى بعد ان رحلوا واستقروا فى فلسطين وهناك انتشرت فلسفة مصر وفنها بين هذه الشعوب المتأخرة وظل هذا الازدهار حتى ظهور (نيوخنصر) او (تبوخنصر) ملك بابل ولاشك ان الفترة الطويلة التى عاشها بنو اسرائيل فى مصر بالاضافة الى الفترة التى عثوها قبل (نيوخنصر) فى ارض كنعان الاثر الكبير عليهم وعلى تفكيرهم وعلى فلسفتهم وحكمتهم .

وهكذا ظل بنو اسرائيل فى ضيافة وكرم مصر حوالى ٤٣٠ سنة وتقول التوراة (وأما اقامة بنى اسرائيل التى اقاموها فى مصر فكانت اربعمائة وثلاثين سنة ، عاصروا فيها نهاية الاسرة الثالثة عشرة حتى عصر رمسيس الثانى (١٢٩٨-١٢٣٢ ق.م) وقد كانت شبه جزيرة سيناء فى ذلك الوقت ومنذ فجر التاريخ البعيد معمورة باقوام سكنوا فيها والفوا فيها حياة الاستقرار ومن المرجح ان بنى اسرائيل كانوا يرعون انعامهم فى ذلك المكان من شرق الدلتا المعروف باسم ارض (جاشان) المنتشرة حول مدينة (رعميس المعروفة) .

وان يوسف قد انزل الى مصر واشتراه (فوطيفار) خصى فرعون رئيس الشرطه رجل مصرى من يد الاسماعيليين الذين انزلوه الى هناك (سفر التكوين ٢٩-١) وكما سبق فقد ظهرت على بعض معابد امراء مصر صور تمثل مجيئ يعقوب من كنعان مع آل بيته الى مصر ، عندما جاوا إليها فى أعقاب النبی يوسف الصديق التى اشتهرت قصته فى القرآن الكريم ومن احاديث التاريخ الاسرائيلى .

وكان يعقوب قد أقام فى بشر سبع . وتاريخ بشر سبع حافل بالوقائع التى لها صلة بالعبيرانيين وسميت كذلك لوجود سبع ابار فى المنطقة وتدل التوراة بذكرى ميثاق ابراهيم مع ملك الفلسطينيين (ابيمالك) لاستيتاب الأمن والسلام بينهما وكان بنو اسرائيل قد حملوا يعقوب اباهم واولادهم ونسائهم فى العجلات التى أرسلها فرعون مصر لحمله وأخذوا مواشيهم ومقتنياتهم التى

اقتنوها فى ارض كنعان وجاؤا الى مصر يعقوب وكل نسله بنوه وبنو بنيه معه وبناته وبنات بنيه وكل نسله جاء بهم معه الى مصر وقد كان نزوح يعقوب واولاده الى مصر حوالى عام ١٧٠٠ أو ١٧٢٠ ق.م . بسبب القحط فى فلسطين وفى مصر تكاثروا وتنكروا لاولياء نعمتهم المصريين وتوطنوا مع الهكسوس اعداء مصر مما دفع فراعنة مصر الى التخلص منهم بعد أن اقاموا ٤٣٠ سنة كما تذكر التوراة وان هذه المدة ٤٣٠ سنة التى سكنها بنى اسرائيل فى مصر شملت عصر الأسرة الثانية عشره وامتدت الى الأسرة الثامنة عشرة وعاصروا حكم الهكسوس لمصر .

وخلال وجود بنى اسرائيل فى مصر ربطوا مصالحهم بوجود حكام مصر من الهكسوس المستعمرين (٢٠٩٨-١٥٨٧ ق.م) ونبشوا مخالبتهم فى الاقتصاد المصرى واتسع نفوذهم فى مجالات مختلفة فلما انتصر المصريون على الهكسوس نقم الحكم الوطنى عليهم لأنهم اثروا على حساب المواطنين المغلوبين على أمرهم وتأمرؤا مع المستعمر ضد أصحاب الارض ولم يشاركوا فيما يباشره المصريون من اعمال البناء وفلاحة الأرض وحيثما كانت الشدائد تنزل بالمصريون والبلاد استغلوها لاضعاف معنويات الشعب وضيقوا عليه وسائل العيش .

ومن ثم أحس اليهود فى ظل الحكم الوطنى ان كياناتهم ووجودهم اصبح مهدداً فأخذوا يجمعون اموالهم ويستعدون للافلات بمكاسبهم لكنهم تجاوزوا وطمعوا فيما يملك المصريون من الذهب ونهبوا خزائن القمح . اذ صدرت لهم اوامر الرب (انكم لاتمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيله بينها امثلة ذهب وامتعة فضة وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريون) (خروج ٣٠) .

ولقد اندلعت معارك التحرير الكبرى التى قادها امراء جنوب مصر الوطنيين ضد الحكام من الهكسوس الدخلاء وما لبث الثوار (سقن رع - كاموس - اح موسى) بعد معارك مضنية ان نجحوا فى طرد الهكسوس المحتلين خارج البلاد تحت قيادة اعج موسى بعد أن استشهد أباه سقن رع واخوه كاموس . وتابع الفزاه الفارين الى خارج البلاد ويبدو ان تتبع المصريين لهم كان عنيفاً الى درجة لم تجعلنا نسمع لهم ذكرا مرة أخرى فى تاريخ البشرية وهكذا تأسست اسرة جديدة من الفراعنة الوطنيين وهى الأسرة الثامنة عشره ، وانه عندما كان يوسف قيماً على مخازن مصر كانت هذه الخزائن تحت الحكم من الفزاه الهكسوس ومن الطبيعى ان يمارس عمله كموظف تابع لملك الهكسوس يمنع المؤيدين ويمنع عن معارضيه ولن يثير الامر أية دهشة إذا توقفنا بعدئذ أن المصريين الثائرين فى جتوب البلاد قد عانوا من قسوة المجاعة وويلاتها دون أن يلتفت اليهم

احد من الذين يسيطرون على مقاليد الحكم وويلاتها وقسوة المجاعة وحتى المصريين الوطنيين الذين ارتضوا البقاء تحت حكم الغزاه لم ينالوا عوناً من حكام الشمال الا بثمان باهظ كان عليهم ان يؤده واصبحوا ذات يوم وقد وجنوا أنفسهم حكام مصر كلها من الشمال الى أقصى الجنوب بل توغلوا في سيناء وصولاً الى فلسطين بعد أن طردوا الهكسوس من مصر نهائياً وكان لابد ان يأتى الدور على الاسرائيليين الذين تعاونوا معهم .

ولم تكن احداث كهذه لتمحى من ذاكرة الشعوب لاسيما الشعب المصرى ذلك الشعب ذو الحضارة العريقة والذي سكن هذه الارض منذ الاف السنين العديدة خصه ساء ان زمن الجفاف طوال سبع سنوات وما تسبب فيه من مجاعة هي فترة ليست بالقصيرة ، ومن ثم فإن طرد الهكسوس كان لابد ان يجلى الساحة أمام قصاص مصرى عنيف من الاسرائيليين أولئك الذين دخلوا مصر واستوطنوا احدى بقاعها تحت ظلال حكم الغزاه بل اكثر من ذلك فقد ساعدوا الهكسوس الدخلاء وتاجروا لحسابهم وساهموا بشكل أو بآخر فى احلال الكوارث التى لم تنسى من ذاكرة المصريين .

وقد تسلل الهكسوس سلمياً الى الاراضى المصرية حيث شهدت الأسرة الثالثة عشرة المصرية عدة ملوك حيث اطلق احدهم فى نهاية عهد الأسرة على نفسه المحبوب من الاله سيث Seth وهو اسم الاله المصرى السامى الذى حمله الهكسوس الغزاه الاسيريون حيث كانت (افارس) عاصمتهم ولذلك يحتفل ان يكون الهكسوس قد وصلوا الى الدلتا وفرضوا سلطانهم على ملوك مصر أو على الاقل مصر السفلى فى نهاية الأسرة الثالثة عشر أى حوالى عام ١٧٠٠ ق.م الميلاد . وهو تاريخ دخول يعقوب والاسباط الى مصر (دخل يعقوب مصر عام ١٧٢٠ ق.م) بعد سقوط الأسرة الثانية عشرة المصرية وحكم الهكسوس لمصر . وقد وصل اسم الهكسوس الذى اطلق على أولئك الاسبوين (مانيتو) Maneto نقلاً عن المؤرخ اليهودى (يوسيقوس) وقد اطلق على رؤسائهم ملوك الرعاه لاعليهم اجمعين . وقد ذكر الدكتور احمد محمد بدوى رئيس جامعة القاهرة وعين شمس الاسبق فى بحث له بعنوان (ايام الهكسوس) فى المجلة التاريخية المصرية عدد مايو - اكتوبر ١٩٤٨ ص ٤٤ . كتب يقول (ان حقيقة هذا الاسم يتفح من كلمة هيك Heka والتى تطلق فى اللغة المصرية على الشيوخ العرب سواء كانوا فلسطينيين أو سوريين وقد استمر اطلاق اسم (حاكم الصحراء) منذ الأسرة السادسة الى عصر البطالمة على رؤساء القبائل الاسيويه ويبدأ هذا البغض الى حقبة غزوة الهكسوس كلها وان ملوك الهكسوس كانوا فى حقيقة الامر أسرة مصرية من

أسر الدلتا استعانوا بالاسيويين لمحاربة ملوك طيبة (كلام الدكتور بدوى) وقد كان بين الهكسوس الذين عاصروا قدوم الأسرة العبرانية من آل يعقوب والأسباط واهلهم من عناصر سوريه وساميه وكانت عقائدهم شديدة الشبه بعقائد الكنعانيين وابطالهم .

ولاشك أن الهكسوس هم جماعة اندمج فيها العموريون والكنعانيون (وكانت القبيلة التى كان يتزعمها الخليل ابراهيم بعد أن انتقلت من كديا الى فلسطين وارتبطت على مراحل بالحيثين وبعد أن دخل الهكسوس الى مصر ثم توغل نسل تلك القبيلة أى رفاق يعقوب ويوسف فى وادى النيل وقد وردت اسماءهم على الجعارين فى عهد الهكسوس . وقد اختلف مؤرخو الشرق القديم فى أصل الهكسوس فمن قائل أنهم من القبائل الآرية ومنهم من قال أنهم بطون من القبائل الساميه المنتشرة فى فلسطين وفى ربوع سوريه وبلاد الجزيرة العربية نزحوا الى مصر بسبب ما أصاب اوديتهم من قحط وجفاف ومن قال انهم هاجروا من الاقطار السورية حينما ضاقت عليهم ارضها بسبب ما حل بهم من ظلم حكام ميثانى من جهة وبسبب ضغط المهاجرين الآريين من جهة أخرى وأن غارة الهكسوس على مصر انما وقعت فى الثلث الأول من القرن السادس عشر قبل الميلاد ١٥٧٠ ق.م وقد ذاب الغزاة الهكسوس فى الحضارة المصرية ولقد عبد احد ملوك الهكسوس (خيأتى) الآلهة المصرى (رع) الى جانب الالهة الاسيويه وقد وجد اسم خيأتى اعلى صخر من الجرانيت فى جبلين بين طيبة والشلال الأول وعلى تمثال فى تل بسطه (تل بسطا) بشرق الدلتا وعلى جعارين كشفت فى خرائب جزيرة بفلسطين وعلى اسد منحوت من البازلت فى بغداد . ومما يذكر ان غارة الهكسوس كانت مشجعا على دخول القبائل العربية البدوية الى مصر وسكناها فى شرق الدلتا ولم يقو الهكسوس على مقاومة الهجمات التى بدأت تهز كيانهم من الجنوب (حيث ملوك طيبة) ويتفق المؤرخون على أن الهكسوس من البدو (الشاسو) وأنهم هم الذين جاء ذكرهم فى التاريخ المصرى القديم حيث كان الشاسو ينتقلون فى بادية مصر الشرقيه بين النيل والبحر الأحمر وانهم لم يقتصرُوا على تلك الصحراء بل كانوا يرحلون بينها وبين شبه جزيرة سيناء وما وراها ايضا وربما اتصلوا باخوانهم بدو العراق لأنهم جميعاً من اصل واحد كما أنهم نزلوا ديار فلسطين (بئر سبع) واستوطنوها قبل أن يغزوا مصر وكثيراً ما كانوا يسطون على المصريين فى مدنهم وقد ساروا على هذه الخطه حيناً من الدهر الى أن سنحت لهم فرصة وثبوا فيها على مصر ويقال أن ذلك كان زمن ابراهيم الخليل لكن عندما دخل يوسف ثم جاء من بعده ابوه يعقوب واخوته فإن الهكسوس كانوا يسيطرون على مصر السفلى وملوكها وظلوا فيها حكاماً وملوكاً مدة قرنين من الزمان

(١٧٨٥-١٥٨٠ ق.م) وأن يوسف الصديق كان وزيراً في هذه الحكومة وقد ذكر المؤرخ (مانيتون) أن الهكسوس استولوا على مصر في سهوله وملوكها دون أن يشعلوا نار حرب لأن امور المصريين كانت مضطربه اشد الاضطراب والفوضى وقد عمت البلاد منذ عام ١٧٥٧ ق.م سبق قول بعض المؤرخين في الصفحات السابقة انهم دخلوا مصر عام ١٧٠٠ لكن هناك احتمالات بأن يكون ما بين ١٧٠٠-١٧٥٧ ق.م وبين اثار المصريين ما يؤيد حديث ماثيتون فهذه برديه سالير SALLIER تؤكد ذلك وسيطر الهكسوس على دلتا الوادي وسيطروا على شمالها وجاعوا بخيلهم وعجلاتهم الحربية التي لم يكن للمصريين عهد بها من قبل وجعل الهكسوس حاضره ملكهم (اورايس) صان الحجر شرق الدلتا (تل سبطا) ثم أخذوا يمدون سلطانهم الى أقاليم الوادي فتركوا عزب الدلتا تحت امره حكام من الوطنين يسميهم مانتتيون حكام الأسرة الرابعة عشرة واتخذ الملك (نحسى) من ملوك هذه الأسرة (سحا) عاصمة له وهكذا كان الحال في شمال الوادي وبعض اقاليمه الوسطى واما صعيده الأعلى فقد كان تحت حكم حكام من الوطنين اسماهم هيردوت ملوك الأسرة السابعة عشرة وقد ظل اولئك يجاهدون في سبيل تحرير البلاد من يد العدو حتى لاحت بوادر النصر في أواخر عهدهم بعد أن كان ملوك الرعاه (الشاسو) الذين سيطروا على مصر وكونوا ملكا مدة قرنين من الزمان (١٧٨٥-١٥٨٠ ق.م) الا ان سيطرة تلك العناصر الدخيلة على مصر ولو أنها لم تدم طويلاً فقد دفعت ساسة صعيد مصر في طييه في التفكير في طرد هؤلاء الغزاه ومما لا شك فيه ان غزوة الهكسوس قد ايقظت الشعور الوطنى بين المصريين وكشفت خطورة تسلل العناصر الاجنبية وهذه العوامل كلها املت على المصريين سياسة كان يجب تنفيذها وكان اولها تحرير وادي النيل من الهكسوس وثانيها ضم سوريه وبناء امبراطوريه مصريه مترامية الاطراف للقضاء على أى خطر يأتى من الشرق.

ورغم طوال الفترة ما بين طرد الهكسوس وخروج الاسرائيلين من مصر بعد ذلك بصحبة موسى النبى عليه السلام إلا أن هناك دلائل عديدة على أن ذكرى الهكسوس ظلت عالقة في اذهان المصريين لا يطمسها مرور الزمن وكانت الثورة قد اندلعت في الجنوب في أيام ملك من ملوك الهكسوس يقال له (ايوفس) وقد كان ثالث ثلاثة يدعون بهذا الاسم وقد اخذ يتحدى الملك المصرى (سقن رع - والد كاموس واح موسى) وكان حاكم في طييه ويتحرش به وكان هو الآخر ثالث ثلاثة نتحدثنا برديه سالير SALLIER عن ايوفس ملك الهكسوس وكيف انه ارهق الملك الحاكم في طييه بطالب لا قبل باحتمالها وكيف انه ظل يتحداه حتى اثاره .

وكان الملك الهكسوسى يرى الأمير المصرى من القوة والسلطان مما شكل تهديداً مباشراً على مستقبل الهكسوس فى مصر وأنه أصبح خطر على ملك الهكسوس ونفوذه فى مصر وأخبار الثورة فى البردية المذكورة تشير الى قوة الحكومة المصرية واتساع نفوذها جنوباً حتى الوصول الى شمال اسيوط وأن سلطانها انتشر بين اقاليم مصر حيث كانت مصر تؤدى خراجها الى بيت طيبة ومن ثم كان تحرش الهكسوس ولكن كانت ثورة الأمير يدعم من بيوت الصعيد واسرها للفرز الوطنية ، ومن ثم كانت الثورة تحت راية الدين وفى ركاب الاله كذلك فإن خروج الاسرائيلين من مصر قد لبست ثوباً دينياً ، وفى حديث الملك كاموس شقيق اح موسى وهو أحد ابطال ثورة التحرير ضد الهكسوس مع امراء جنده ورجال بلاطه ما يؤيد احتلال الهكسوس اقليم الاشمونين بعد منف فى المنيا وبلوغهم بلدة القوصيه شمال اسيوط وكانت حرب الاستقلال على يد (اح موسى) التى انتهت بطرد الهكسوس وزوال سلطانهم وكيف رفع المصريون ابناء صعيد مصر حكام طيبة فى جنوب اسيوط راية الاستقلال فى ركاب الاله (امون) وهو معبود الأسرة الحاكمة بل أن نفوذهم وصل الى حدود الاقاليم الوسطى (مصر الوسطى) وكيف أن الملكة حاتشبسوت (اصلحت داراً للعبادة والمعبودة (حاتحور) بجهة القوصيه شمال اسيوط وانها عمرت الخراب واتمت ما تهدم من معابد الوادى بعد أن اصابها الخراب على أيدي الهكسوس .

وهكذا نرى ان نكبة مصر والمصريين بالسيطرة الهكسوسيه التى دامت فترة من الزمان قد سهلت واتاحت الاقامة للبرانيين الاسرائيلين فى شرق الدلتا فى اقليم الشرقية والصالحية وجزء من محافظة الاسماعيلية ولكى يطول بهم الاستقرار لفترة تصل ما بين مائتى وخمسة عشر عاماً فى بعض الاقوال واربعمئة سنة واربعمئة وثلاثين عاماً فى اقوال أخرى .

لكن لم يكن الاسرائيلين فى تلك الفترة إلا عوناً للمحتل ، ومن ثم فإننا نرى أن طرد الهكسوس كان لابد تتجلبى الساحة امام قضاة مصرى عنيف من الاسرائيلين اولئك الذين دخلوا مصر واستوطنوا احدى بقاعها تحت ظلال حكم الغزاة الهكسوس الذين ما أن تم طردهم من البلاد واستقرار الأمور السياسية والاقتصادية والحضارية والثقافية فى مصر إلا أن فكر المصريون فى ضرورة التخلص من بقايا وشرائكة بل اعوان الهكسوس الذين تعاونوا معهم وناصرهم المصريون

العداء بل والاستغلال وعدم الوفاء للديار التي اوتهم جياعا بدو لا يملكون شيئاً عند قدومهم فإذا هم أصحاب سطو ، ونفوذ يمارسون أعمال الربا والجشع من أجل ان يطول لهم البقاء على ارض مصر لكن صحوة فراعنة مصر سواء اكان مرنباح أو رمسيس الثانى أو غيره من الفراعنة المصريين قد حملت هؤلاء القوم على أن يتخذوا طريقاً شرقاً للفرار بعد ان مكثوا اربعة اجيال أو ربما خمسة اجيال لأن الدخول كان فى عهد يعقوب وابناؤه الاسباط الاحدى عشر غير يوسف الصديق وكان الخروج زمن موسى بن عمران بن قهات بن لاوى .

وكان الاخير هو الابن الرابع من ابناء يعقوب وقد عاشوا فى تلك البقعة من اقاليم مصر الشرقية يمارسون انشطتهم المختلفة فى ظل الحماية الهكسوسية التي كفلت لهم البقاء هذه الفترة الطويلة سواء (اربعمائة وثلاثين عاماً) أو مائتى وخمسة عشر عاماً ، لكن كانت هبة الشعب المصرى خلف الفرعون العظيم دافعاً قوياً لى تتخلص البلاد من العبرانيين الاسرائيلين كما تخلصت قبلا من الهكسوس الذين كانت لهم السيادة فى مصر السفلى بل حتى جنوب اسيوط فى مصر الوسطى .

وأنة من المعروف ان اليهود كانوا يميلون الى الانعزال عن الشعوب الأخرى ظناً منهم انهم اعلى درجة وارقى جنساً وادى ذلك الى عدم التعامل بينهم وبين الشعوب الأخرى وادى الانعزال الى تخلف بنى اسرائيل ومن المعروف انه عند مجيئ اليهود الى مصر فى زمن الفراعنة سكنوا فى جهة مدينة بلبيس التابعة لمحافظة الشرقية وكانت تسمى (جوشن) أو جشان الكبرى وظلوا يرعون اغنامهم ولم يختلطوا بالمصريين اذ اعتبروا المصريين وثنيين ولم يشترك اليهود مع المصريين فى افراحهم واتراحهم وكان ذلك من الاسباب التي ادت الى كره المصريين لهم فظلوا رعااه ولم يقوموا بأية تجارة فيما لو اختلطوا بالمصريين لتعلموا فنونهم وتقدمهم .

وهكذا عاشوا فى الجيتو الذى هو اختصار لكلمة (يورجيتو) وهو بمعنى الحى ، وقد ادت خيانة اليهود للدول التي كانوا يقيمون فيها ان جعلت هذه الدول تطردهم من بلادها أو أن يخصصوا لهم حياً خاصاً بهم واطلق على هذا فى كل مدينة أو دولة باسم الجيتو ، واصبح الحى الذى يسكنه اليهود فى أى مدينة من مدن العالم يسمى (جيتو) وكان من أثر الحياة فى الجيتو ان

تولدت فى انفسهم مرارة دغينه وغلبيهم خوف متواصل جعلهم يتمسكون بكيانهم وكان المصريون قد أووا بنى اسرائيل منذ أن جاء يوسف عليه السلام وقام القراعته باعطائهم أرضاً لرعى اغنامهم ونالوا خيراً كثيراً إلا أن اليهود لم يقابلوا هذا الإحسان بمثله بل قابلوه بالخيانة والتمرد حيث اتصف اليهود فى كل وقت بأنهم يخونون البلد الذى يقيمون فيه ولا يراعون مصلحته اذolf هتلر النازى الالمانى وغرف الغاز (الهولوكوست) وابادة اليهود فى المانيا بسبب خيانتهم وتهريب الذهب والاموال وتعاملهم بل تعاونهم مع الحلفاء فى الحرب العالمية (١٩٣٩-١٩٤٥م) ضد المانيا .

ولكن أهل مصر الكرماء كان قد نفذ صبرهم فعملوا على اجتثاث جذور هذه الفئه الخائنه ويذكر انه عندما هاجر يعقوب الى مصر هاجر معه اكثر من اربعة الاف نسمة ولم يكن هؤلاء طبعاً من نسله وقد اختلف فى ذكر العدد الذى هاجر معه الى مصر بين الزيادة أو النقصان عن هذا العدد . وليس هناك دليل على أن هؤلاء القوم ينتمون الى اصل واحد وأن كثيراً من ابناء القبائل قد انطوت تحت لواء يعقوب بل أن ذلك استمر فى ايام سليمان ومن بعده وكثيراً ما انضم عدد كبير من افراد القبائل والشعوب المجاورة الى الدين اليهودى واصبحوا من اتباع سليمان وذلك من العمورين والمؤابيين والكنعانيين والحيثيين وغيرهم من الشعوب الأخرى .

ويقول المؤرخ (رابوبورت) RAPPOPORT فى كتابه تاريخ فلسطين . يعود وجود السكان فى فلسطين الى عصر بالغ فى القدم نحو عشرة الاف سنة قبل الميلاد وقبل أن يضع اليهود اول قدم لهم فى هذه البلاد بعدة الاف من السنين قد تصل الى ثمانية الاف حيث استوطن بها اقوام نو حضارة وتاريخ مثل الكنعانيين والحيثيين والفنيقيين والفلسطينيين وغيرهم من الشعوب الأخرى التى اشرنا إليها فى صفحات سابقة من هذه الدراسة ولاسيما أن التوراة نفسها قد اعترفت باختلاط الاسرائيليين بل العبرانيين منذ عهد ابراهيم وابنائهم بالشعوب الأخرى بالنزواج والمصاهرة وهذا ينفى القول بوجود جنس يهودى بل ديانته يهودية وبذلك تدحض الاباطيل هذه منذ التاريخ القديم .

الفصل الخامس

خروج الاسرائيليين من مصر (١٢٢٤ او ١٢١٣ ق.م)

تمكن الاسرائيليون فى شرق الدلتا أن يفروا من وجه فرعون مصر فخرجوا من مصر ويحدد كثير من المؤرخين أن هذا الخروج كان فى عهد منفتاح ولكن الآثار التى تدل على وجود الاسرائيليين فى كنعان فى عهد ذلك الملك تؤيد ذلك رأى القائل بأنهم خرجوا فى نهاية عهد الأسرة الثامنة عشره فى الوقت الذى اشارت فيه رسائل العمارنه ان الخبيرى (العبرانيون) كانوا يتعاونون مع الحيثيين فى القضاء على النفوذ المصرى فى فلسطين . وهناك بعض الاقوال تذكر أن خروج العبرانيين من مصر كان فى عصر الدوله الحديثه فى عهد الملوك (مرنبتاح - مرى - ان - بتاح) أو منفتاح فى عام (١٢٢٣-١٢١١ ق.م) سالمين على يد موسى عليه السلام .

وتضم التوراة ثانى سفرها وهو سفر الخروج ويتكون هذا السفر من اربعين اصحاحا يقع فى احدى وسبعين صفحه من القطع المتوسط وسمى سفر الخروج وهكذا نسبة الى خروج بنى اسرائيل من مصر ويبدأ بذكر ابناء اسرائيل الاثنى عشر (الاسباط) الذين جاؤا الى مصر وكيف عذبوا فيها وينتقل الى ولادة موسى عليه السلام . ولماذا امر فرعون بقتل كل الاطفال الذين فى سن موسى عليه السلام . فوضعت أمه فى سله دهنها بالقار من الداخل والخارج والقتته فى النيل ووجدته ابنة فرعون ونادت أمه (ام موسى لتكون مربيه له) وينتقل سفر الخروج بعد ذلك مباشرة الى موسى وهو شاب وكيف امره الله بأن يلم شمل بنى عشيرته كما يروى قصة صراعه مع فرعون وسحرته وكيف استطاع موسى ان يخرج بنى اسرائيل من مصر سالمين وكيف غرق فرعون وجنوده فى اليم . وكيف تاه بنو اسرائيل فى سيناء وأنزل عليهم الله المن والسلوى من السماء واخذوا معه العهد الا يعبدوا الا الله وصعد موسى للجبل اربعين يوماً ليأخذ التعاليم من الله سبحانه وتعالى وضاق بنو اسرائيل لهذا الغياب وصنعوا عجلاً من الذهب الذى سرقوه من شعب مصر وعبدوه واقاموا له عيداً ورقصوا فيه وهبط موسى من الجبل ومعه لوحى الشهادة وتعاليم خالقه واستشاط غيظاً مما رأى فرمى اللوحين وحطم العجل وذارة فى الماء وسقى منه بنو اسرائيل ، أما بقية سفر الخروج فهو عبارة عن تعاليم بنى اسرائيل .

واختلف المؤرخون فى تحديد عهد خروج الاسرائيليين من مصر ذلك لأنه إذا صدقنا

الاضطهادات التي جاء بها الاصحاح الاول من سفر الخروج فإن فرعون الذي سام بنى اسرائيل الذل والخسف لابد ان يكون رمسيس الثانى (١٣٠٠-١٢٣٤ ق.م) لأنه من المحقق أنه هو الذى شيد المدن التي قيل أن بنى اسرائيل استخدموا فى تشييدها ، أما من الناحية التاريخية فإن فرعون الذى حدث الخروج فى عهده لابد أن يكون منفتحاً بن رمسيس الثانى وهناك اقوال ضعيفة جداً عن خروج بنى اسرائيل نذكر أن الخروج كان فى عهد امنحيب الثانى حوالى ١٤٤٧ ق.م لكن ربما يكون فى عهد رمسيس الثانى (١٣٠٠-١٢٣٤ ق.م) ويرى البعض أو اتفاق المؤرخين ان الخروج كان فى عهد منفتاح (١٢٣٤-١٢٢٥ ق.م) وأن القول بتحديد عام ١٤٤٧ ق.م فى عهد امنحيب الثانى فإن ذلك قد كان قبل تولى الملك سليمان بن داود الحكم باربعمائة وثمانين عام (٤٨٠ عام) وذلك يتعارض مع التاريخ المصرى القديم .

بل هناك أقوال تذكر أن الفترة التي اقاموها كانت كما سبق القول ٤٣٠ عام عاصروا فيها نهاية الأسرة الثالثة حتى الأسرة الثامنة عشر فى عصر رمسيس الثانى (١٢٩٨-١٢٣٢ ق.م) وكان رحيلهم من مصر هرباً فسعى المصريون وراءهم وادركوهم . ولقد لعبت شبه جزيرة سيناء دوراً هاماً فى الحياة الدينية لليهود فإليها خرج موسى هارباً من وجه فرعون وفيها تلقى التعاليم من ربه وبعث رسولا الى بنى اسرائيل .

وكانت مصر قد رأت خطر الاسرائيليين فى وجودهم فى مصر فإنه لم تكن حرب الاستقلال على يد (اح موسى) . احمس الاول تنتهى الى ما انتهت إليه من طرد الهكسوس وزوال سلطانهم حتى نهضت مصر نهضتها ايام الأسرة الثامنة عشره ١٥٨٠-١٤٥٠ ق.م ويمتاز فراعنة هذه الأسرة اح موسى (١٥٨٠-١٥٥٨ ق.م) وتحتمس الثالث ١٥٠٤-١٤٥٠ وبعض الملوك امثال تحتمس الاول والثالث وامينوفس الثانى فيما بينه وبين الشرق صولات وجولات .

ويعتقد بعض المؤرخين الثقة ان الاسرائيليين خرجوا من مصر حوالى عام ١٢٢٤ ق.م وانهم بعد أن هاموا على وجوههم فى الصحراء طوال اربعين عاماً غزوا ارض كنعان حوالى ١١٨٤ ق.م وكانت الظروف تساعدهم بعد أن تداعت وحدة الكنعانيين وانقسموا على أنفسهم . لكن الاسرائيليين استطاعوا أن يفرضوا سلطانهم على السكان الوطنيين الكنعانيين . ومنذ خروج الاسرائيليين من مصر عام ١٢٢٤ حتى ١٠٠٠ ق.م الميلاد ٢٢٤ عام كانت ارض كنعان تخضع جميعها للحكم الكنعانى ولم يستطع الاسرائيليون أن يفرضوا سلطانهم ونفوذهم السياسى الا فى عهد داود فى عام ١٠٠٠ ق.م على وجه التقريب وهو التاريخ التقريبى الذى يعينوه لنجاح الملك الاسرائيلى داود فى الاستيلاء على

(انظر أيها القارئ كيف يذكر بنى اسرائيل انفسهم) .

وهذا موسى قبل قدومه الى مدين يقود شعب اسرائيل هارباً من وجه فرعون فإذا بالعدو خلفه والبحر امامه فيضرب البحر بعصاه فينشق ويهرب بنى اسرائيل وينغلق البحر على جند فرعون . وهناك فى مدين تلقى موسى تعاليم التوراه من جانب الطور الايمن ثم بعث الى فرعون . ولقد انفردت التوراة باخبار الجدل الدينى بين موسى وكهنة المصريين مما استحوذ على اثنى عشر اصحاحاً من سفر الخروج ، ثم ان موسى وهو مازال فى سيناء داخل حدود مصر رسم للاسرائيلين الشريعة فاستحوذت على اثنى عشر اصحاحاً اخرى ومع هذا فإنهم عبدوا العجل الذهبى وهم لازالوا تائهين فى سيناء (خروج ١٠: ١-٣٢) .

ونعود للوراء قليلاً حيث نجد كيف أن موسى تربى فى قصر فرعون وتتخذة احدى نساء بيت فرعون ولداً وتحيطه بالرعايه والحمايه حتى نشأ شاباً قوياً ورأى ما يعانىة جميع بنى جلدته من الاسرائيلين من اثر تعاونهم ومساعدتهم وعملهم صفاً مع الهكسوس ضد المصريين اهل البلاد الاصليين . وهكذا وجد موسى نفسه وقد انضم الى الشعب الاسرائيلى الذى كان يتجرع لمذلة ونستطيع أن نرجح ان التسميه موسى كانت من لدن المرأة المصرية امرأة فرعون حيث أن هذا الاسم ليس من الاسماء الاسرائيلية ولم يطلق على احد من الاسرائيلين قبل ذلك الوقت ، لكن نراه شائعاً فى اسماء والقباب المصريين (اح - موسى - كا - موسى - تحت - موسى) وكما جاء فى القرآن الكريم عن قصة موسى والفرعون وكيف هرب من مصر هرباً من بطش فرعون وآل حكمه ، ثم كيف عاد موسى الى مصر عندما مات فرعون ومن ثم فإنه بعد عودته كان قد غدا رسولا لله رب العالمين ، ثم اتى موسى لشعب اسرائيل فأبلغ شيوخهم ورؤساء بيوت ابائهم وعشائهم ان الله قد اختاره نبياً وانه ارسله محرراً لهم من نير الاستعباد ويخرجهم من ارض مصر الى ارض كنعان اليبوسين فى فلسطين وان الله مطلقهم من يد فرعون (هذه القصص جاء بها كتاب الله الكريم وقرآنه الكريم عدة مؤلفات وكتب) وليس اسلوب وطريقة البحث العلمى فى هذه الدراسة يقتضى منا ان نتوسع فى حياة موسى واخاه هارون وما دار من صراع بينهما وبين فرعون .

حيث أن ذلك المجال الدينى والقصص القرآنى لايدخل فى مجال هذه الدراسة ومن ثم نقف هنا بون التوسع فى هذا النوع من الدراسة الدينية حيث أن دراستنا هنا هى دراسة تاريخية بحثية تتبع حركة العبرانيين قبل يعقوب ثم الاسرائيلين أو الاسباط عندما نزلوا الى مصر فى عهد يوسف حتى عهد موسى فإنهم ظلوا اسرائيلين اما اليهود فإنها كلمة حديثة لم تظهر الا ربما بعد الميلاد

وبعد ظهور المسيح عليه السلام ، ولكن هنا نعود للحديث عن تكملة هذا الفصل بعنوان الخروج لكى يتابع القارئ الكريم قصة الخروج الاسرائيلى من مصر بعد ٤٣٠ عام قضائها هذا الشعب لاجئاً فى مصر المضيافه .

وقد ذكر (فالندر بترى) FLINDERS PETRIE فى كتابه الذى اسماه (مصر واسرائيل) Egypt And Asrael ان بنى اسرائيل خرجوا من عاصمة رمسيس الثانى بعد خمسة أجيال من بلده فاقوس من محافظة الشرقية التى هى سقط واستند فى قوله أن كلمة ألف لها معنيان أولهما ألف بمعناها العددى والاخرى مجموعة انسانية وان عدد بنى اسرائيل الذين خرجوا من مصر بلغوا ٥٥٠,٥٥٠ فرداً لأن عيون المياه التى مروا بها لا تكفى اكثر من هذا العدد وهناك بعض الاقوال تذكر انهم اتوا الى مصر سبعين فرداً وخرجوا منها ربما باقل أو اكثر من هذا العدد .

ومن المعروف انهم خرجوا فى عهد موسى (موسى بن عمران بن قهات بن لاوى) حسب نص التوراة والمعروف ان لاوى هو الابن الثالث من حيث كبر الابناء وهو ابن زوجة يعقوب الأولى ليئه وقد دخل لاوى مع اخوته الى مصر وهذا يعنى ان بنى اسرائيل خرجوا من مصر فى الجيل الرابع أو الخامس منذ دخولهم وانه ليس من المعقول أن ينجب السبعين فرداً ما يقرب من خمسة الاف وخمسين فرداً ولاشك أنهم اقل من هذا الرقم بكثير إلا إذا كان هناك بعض المصريين قد خرجوا معهم واعتنقوا واتبعوا ملة موسى أو أنهم اخذوا بعض المصريين قسراً .

بل الادهى من ذلك القول بأن جماعة الخروج كانوا مليون فرد (وهذه مغالاه من طبيعة اليهود) حيث أنهم يدعون فى العصر الحديث ان مذبحه النازيه فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) أو المحرقة الألمانية لليهود (الهولوكوست) قد بلغت ستة ملايين يهودى فى حين كان عدد اليهود فى كل أوربا فى ذلك الوقت لا يصل الى ثلاثة ملايين وان يهود المانيا كانوا ٤/٣ مليون .

وكما سبق القول فإنهم قبل أن يخرجوا من مصر سرقوا فضه وملابس نساء مصر بالاضافة الى كل ما يملكه المصريون من ذهب ، وبرروا هذه السرقة بقولهم فى التوراة بأن الله هو الذى امرهم بهذه السرقة وقاتلوا بعد ذلك فى برية سيناء حوالى اربعين سنة .

لقد أنقذ الله بنى اسرائيل من الفناء واحاطهم برعايته فانقذهم أولاً من شعب مصر الذى اذلهم وجعلهم خدماً له وانقذهم من يد فرعون وجنوده فأغرق جنوده فى اليم وأنجى الله فرعون ببدنه حتى يكون عظه وعبره لغيره كما جاء فى القرآن الكريم .

وكان بنو اسرائيل عند خروجهم لا يريدون ان يلفتوا اليهم الانظار ولذلك بدأوا الخروج فى

شهر ابريل وفي اليوم الثاني غادروا مدينة سقط التي لابد ان تكون اثارها باقيه في الخرائب الغربية من الصالحية ، وفي اليوم الثالث اتجهوا شرقاً وهم لا يزالون داخل الدلتا الى صحراء (ايتام) وقد استرحوا على حافة هذه الصحراء وان هذه الصحراء كما ذكر (فالنדרز بترى) كان يسكنها العرب الذين كانوا يرعون اغنامهم بوادي النيل في سنوات الجفاف أو قبل نزول الامطار واستند في روايته الى (هيرودتوس) الذي يسمى هذا الجزء من مصر العربية والى ان فاقوس في العصر الروماني كانت تسمى العربية وانتهى الى أن ارض (ايتام) هي صحراء الصالحية . وفي اليوم الرابع كان موسى محتاطاً رغم استئذانه فرعون في الخروج مع أتباعه خوفاً من أن يعدل فرعون عن رأيه ويتبعه ولذلك عدل عن سلوك الطريق المعروف وقد لحق رجال فرعون ببني اسرائيل في (يم خوف) وأن معناه بالعبرية (بحيرة الغاب) وكانت الى يمين موسى كما كانت قلعة (مجدول) امامه تعوق تقدمه الى الشمال وإلى يساره مستنقعات فرع النيل القديم الذي يسمى الفرع (البيلوسي) وخلفه فرعون ومعه ستمائة عربي حربية .

وهكذا ادركهم فرعون من وراءهم وجميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه وهم نازلون عند البحر عند قم الحيروث امام بعل صفون (سفر الخروج - التوراة : ٩:١٤) وفي اليوم الخامس والسادس والسابع في رحلتهم بعد عبور (بحيرتي المنزله والبرلس) بعد أن دعا موسى ربه وكذلك ثلاثة أيام في صحراء (شقرر) وبدون ان يعثروا على الماء وأن هذه الصحراء تلاحق شرق الدلتا التي كانت تسمى في اللغة المصرية القديمة (اتيما) ويسكنها رعاة الغنم من البدو الذين كانوا يسمون في تلك اللغة "شاسو" أي العرب فصحاء (شقرر) هي الصحراء التي بين مصر وفلسطين من حدود مصر الشرقية وبنوا اسرائيل لابد أن يكونوا قد اتجهوا الى جنوب سيناء على مقربة من الشاطئ لأن شمالها في المنطقة الساحلية غزير الأمطار نسبياً وتكثر فيه ينابيع المياه مع أنه ثبت أنهم ظلوا يبحثون عن المياه ثلاثة ايام وأن الخروج وقع قبل غزو الفرس لمصر .

لكن بنى اسرائيل جحدوا نعمة الله وبآياته البينات في قلق البحر لهم لانجاتهم من الغرق ومن اطباقه على فرعون وجنوده واغراقهم وسرعان ما عصوا امر نبيهم موسى واتوا على قوم يحكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهه قال انكم قوم تجهلون أن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال غير الله ابخيتكم الها وهو فضلكم على العالمين . وإذا نجيناكم من آل فرعون يسمونكم سوء العذاب . يقتلون ابناكم ويستحيون نساءكم . وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (سورة الاعراف من آيه ١٣٨-١٤١)

ولما نالواهم موسى الى دخول الارض المقدسة ارض الكنعانيين اليبوسيون فى فلسطين التى لم يكن فيها أى فرد على الاطلاق من بنى اسرائيل أو من العبرانيين أو من سلالة ابراهيم لم يستجيبوا لدعوته وخالفوا امرة جهاراً خوفاً من أهل كنعان العمالقة فسجل القرآن عليهم اقوالهم ومخالفاتهم فى قوله تعالى « واذ قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا تتردوا على ادباركم فتتقلبوا خاسرين ، قالوا يا موسى ان فيها قوماً جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإننا داخلون » ثم صمموا على عدم دخولهم الارض المقدسة ابداً ما دام فيها العمالقة العرب « إذ قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابداً ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » فعاقبهم الله بالتيه فى صحراء سيناء وحرّم عليهم دخول الارض المقدسة اربعين سنة اخبر الله بها موسى فى قوله تعالى قال «فإنها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين» ولما دخلت اسرائيل بصحبة موسى الذى حررها من السخريه والذين كانوا لدى الفرعون والمصريين ضعفاء ومسخرين رأى موسى لأول مرة النفوس المريضة لهؤلاء الذين اخرجهم من ارض مصر . وكانوا قبل ذلك لما رأوا غرق فرعون وجيشه اجمعين خافوا الرب وأمنوا به وبعبدوه موسى (سفر الخروج الاصحاح الرابع عشر) .

لكن شعب اسرائيل بدأ يضرب اوضح الأمثلة تجسيدا لنكران النعمة ودنس القلوب وقساوتها ، فبدأ الشعب يتمرد ضد موسى ويطالبه تاره بالماء الوفير وتاره بانواع الطعام ثم وصل بهم التبجح درجة جعلتهم يطالبون نبيهم بالوان معينة من الطعام ونسوا أنهم فى الصحراء هاربين حدث هذا ولم تزل واقعة الخروج وما حدث من معجزات باهرة وانفلاق البحر كالطود العظيم وغرق فرعون وجنوده ماثله فى اذهانهم ولكن استمرت معاصيهم وتمردهم . والتى وردت فى اسفار التوراة بشكل معبر عن حجم تلك المأساة حتى بلغوا درجة من الكفر بأن صنعوا لأنفسهم عجلاً مسبوكاً من الذهب له خوار واضلهم السامرى بأن عبدوا ذلك العجل وذلك فى الوقت الذى كان فيه موسى يتلقى كلمات الله فوق جبل سيناء فلما عاد إليهم وبيده الألواح التى بها الوصايا التى كان قد تلقاها حتى رأى معبودهم العجل وهم له عاكفون فذهل والقى بالوصايا وهجم عليهم غاضباً من أجل ان اسرائيل زاغت سريعاً عن الطريق ، فأخذ العجل المسبوك واحرقه فى النار وطحنه حتى صار ناعماً فذراة على وجه الماء وأمر بنى اسرائيل بالتوبة الى الله ليغفر لهم . وكما كانت لهم من توبة إلا أن يقتلوا انفسهم ، ولم يرفع عنهم القتل إلا بعد ان تضرع موسى لله سبحانه الذى وسعت رحمته كل شئ فغفر لهم وابقاهم .

إلا أن صلابة ذلك الشعب وأصراره على الخطايا قد تسببت في حرمان ذلك الجيل الذي خرج من مصر دعائين آيات الرب ومعجزاته من أن يدخل أرض الميعاد فعوقبت بنى إسرائيل بالتيه في صحارى سيناء لمدة أربعين سنة حتى فنى الجيل الذى خرج من مصر ومات موسى وهارون قبل أن يدخلوا أرض فلسطين ومعهم شعب إسرائيل، وبذلك انقرض جيل التيه الجبان العاصى لنبيه موسى عليه السلام ولقد كانت قسوة ما أصابهم من الهلع والرعب جعلتهم لا يدرون من أمرهم وهناك اقوال تذكر (تثيه ١٧) أن الجيل حتى كاد أن يفنى جيل (الخروج) وقدر الرب ما أصابهم فقال (لا يرد الشعب إلى مصر الرب قد قال لكم : لا تعودوا ترجعون من هذه الطريق رونس الرب ميثاقه لأبراهيم .

وكان موسى قد أراد أن يخفف عن الأهم وأن يثبت في قلوبهم الأمن والأمل فقال على لسان الرب في جبل (حوريب) أنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر . وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم ، أنى علمت أوجاعهم فنزلت لانقذهم من أيدي المصريين واصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جديدة واسعة ، إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً ، إلى مكان الكنعانيين والأموريين واليبوسيين والحيثيين والفرزيين والحوريين ، خروج ٣ .

وقد نشر بحث فى مجلة اكتوبر المصرية عدد سبتمبر ١٩٧٧م أن الخروج كان فى عهد تحتمس الثالث وليس رمسيس الثانى أو منفتاح على حين يؤكد ماسبيرو أن الخروج كان فى عهد منفتاح وأخذ به كثيراً من الدارسين .

لكن قد يكون سيطرة منفتاح على فلسطين ووقوع فلسطين تحت سلطة فرعون قد يمثل مرحلة متأخرة من خروج اليهود من مصر ، تزيد على نصف قرن ، إلا إذا كان القصد من إسرائيل بنى إسرائيل ، أما عن فلسطين قد تكرر وقوعها أرمله مصر ، لكن ما أوردته كشوف أريحا تزكى كونه منفتاح ما دام الخروج إلى مدين كان فى عهد تحتمس الثالث .

وقد كتب على لوحه إقامها منفتاح حوالى ١٢٢٥ ق.م جاء فيها :

لقد غلب الملوك أو قالوا سلاماً

وخربت تحينو (سكان ليبيا)

وهذا أن أرض الحثين

وانتهت كنعان وحلت بها كل الشرور

واضحت فلسطين أرمله لمصر

وضمت كل البلاد وهذأت

وكل من كان ثائراً قييده الملك منفتاح

ويروى . ول ديوارنت فى كتابه قصة الحضارة انه كشفت فى مقابر اريحا المليكه أدله تثبت أن موسى ثم انقاذه على يد الاميرة حتشبسوت عام ١٢٥٧ ق.م وانه تربى فى بلاطها بين حاشيتها وأنه خرج من مصر حين جلس على العرش عدوها تحتتمس الثالث .

وكما جاء فى القرآن الكريم ان موسى قتل مصرياً وخاف ان يؤخذ بجريمته ففر الى بلاد مدين والتقى بكاهنها يثرون ، نبي الله شعيب . وتزوج ابنته وأخذ عنه بعض التعاليم الدينية وحين عودته الى مصر ناداه الله « فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى اننى انا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى .. اذهب الى فرعون انه طغى ، اذهب انت واخوك بأياتى ولا تتنيا فى ذكرى » .

ومن ثم يكون فرار موسى الى مدين ليس بسبب جريمته بل بسبب موقف تحتتمس الثالث من حتشبسوت ومن هنا كانت صعوبة مواجهة الفرعون الجديد بالدين الجديد . ونجح موسى فى تجميع الشعب اليهودى من حوله وانضم إليه عدد من المصريين الساخطين من الاسارى والعبيد . وخرج الشعب فاراً من وجه فرعون مفتاح ١٢١٣ ق.م. الذى ابى أن ينتقم من هؤلاء الذين قصدوا تدمير الاقتصاد المصري .

وتذكر التوراة فى سفر الخروج (٢٠: ١٣-٢٢) أن بنى اسرائيل ارتحلوا من سكوت ونزلوا فى ايثام فى طرف البريه وكان الرب يسير امامهم نهاراً فى عمود وسحاب ليهديهم فى الطريق دليلاً فى عمود نار وليضى لهم لى يمشوا نهاراً وليلاً لم يبرح عمود السحاب وعمود النار من امام الشعب وعلى الرغم من هذا فقد تاهوا فى برية سيناء اربعين سنة وتذكر التوراة فى سفر الخروج على لسان اله اسرائيل فى اوامره لموسى فيقول فيكون حينما.تمضون انكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها وهى نزيله بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين ، وهكذا عاونهم آله اسرائيل فى عملية السرقة بانه اعطى النعمة لبني اسرائيل فى عيون المصريين لى يعيرونهم امتعتهم وبهذا تيسر لهم سرقة المصريين .

وتسجل التوراة بعد أن نجى الله بنى اسرائيل وفتح لهم طريقاً فى البحر ويفجر لهم الينابيع وينزل لهم المن والسلوى ، فإن هؤلاء القوم قد وقعوا فى اسرى الاله الاسطورية فى المناطق التى نزلوا بها وبخاصة الاله (يهوه) آله الزلازل الذى يظهر معلقاً بالسحاب نهاراً وبالنار ليلاً وتابعهم حيثما ارتحلوا . ويقول الرب لموسى (متى اتى بك الرب الهك الى الارض التى انت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوب كثيرة من امامك لاتقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم) (تثبيه ٧)

واما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما (تثييه ٢٠) من أجل انهم لم يلاقوكم بالخبز والماء فى الطريق عند خروجكم من مصر (تثييه ٢٢) .

وهكذا نرى كيف انه بعد هذه الاقوال نرى ان خروج بنى اسرائيل من مصر كان على يد موسى وأخيه هارون وانهم كانوا (خمسة الاف وخمسون فرداً أو أكثر قليلاً) وكيف أن خروجهم كان فى عهد منفتاح باتفاق معظم المؤرخين الذين اتفقوا على ذلك وإن كانت هناك آراء قليلة ترجح ان يكون الخروج فى عهد رمسيس الثانى ، لكن الخروج فيه اختلاف ايضاً فبعض المصادر تذكر انه كان عام ١٢٢٤ ق.م. والبعض الآخر يرى انه كان فى عهد منفتاح أيضاً ولكن عام ١٢١٣ ق.م. أى أن هناك فارق هو احدى عشر عاماً وإن كان رأى يذكر أن الخروج كان عام ١٢٩٠ ق.م. وهذا رأى ضعيف بينما هناك آراء اخرى ترى أن الخروج كان عام ١٤٤٦ ق.م أو ١٤٤٧ ق.م .

لكن نحن نرى الأخذ بأن الخروج كان فى عام ١٢٢٤ ق.م لأن قدوم يعقوب (اسرائيل) ابن اسحق بن ابراهيم والاسباط الاحدى عشر ويوسف الثانى عشر قد كان فى عام ١٧٢٠ ق.م وأنهم قضوا اربعين عاماً فى التيه فى صحراء سيناء دون أن يتمكنوا من دخول فلسطين العربية ارض كنعان واليبوسين والقبائل العربية التى كانت تشاركهم المعيشة فى هذه الأرض وكيف أن موسى عليه السلام تلقى بعض النصائح الدينية من نبي الله شعيب العربى فى مدين حيث كانت مدين مقر القبائل العربية بنى مدين بل أن موسى نفسه تزوج عربية هى ابنة الكاهن يثرون (شعيب نبي الله) .

وهناك خلاف كبير بين علماء المصريين على الملك الذى خرج فى عهده العبرانيون من مصر ويتفق البعض منهم أن هذا الملك هو مرنباح أو منفتاح (الأسرة التاسعة عشره) والسبب فى اعتقادهم هو وجود كلمة اسرائيل فى لوحته والسابق الاشارة إليها . وهى المرة الوحيدة التى ذكرت فيها اسرائيل نصاصريحا فى التاريخ المصرى القديم ولكن ليس هناك ما يدل دلاله قاطعه على خروجهم فى عهده وفريق آخر من العلماء يرجح خروجهم من مصر قبل عهد مرنبتاح بنحو ٤٠٠ سنة (الاسرة الثامنة عشر) أى فى عهد الهكسوس ولكن ما زال رأى القائل بخروجهم من مصر فى عهد مرنبتاح له انصار كثيرون بين علماء الدراسات التوراتية (احمد فخرى - مصر الفرعونيه - ص ٣٥٩) .

ويذكر سليم حسن فى كتابه الادب المصرى القديم (احمد فخرى فى كتابه مصر الفرعونيه يقولان) ان المصريين استباحوا دماء بنى اسرائيل وهذا بالاضافه الى أن الحرب التى دارت بين فرعون وبنى اسرائيل حتى اجلوا عن مصر ويؤيد التاريخ ذلك فتأتى برديه كتبها الملك منفتاح يقول ان الاسرائيلين ابيدوا ولم يعد لهم وجود ولن تقوم لهم قائمة بعد كل هذا .

الفصل السادس

بنو اسرائيل والصراع مع الكنعانيين العرب من أجل احتلال فلسطين

لقد كان على العبرانيين لكي يستقروا في ارض كنعان الذين رفضوا دخولهم ارضها ان يحاربوا الكنعانيين وذلك بعد أن قويت شوكة بني اسرائيل بقيادة (يشوع) حيث اطلق الرب يده في اصحاب الارض قتلاً ونهباً ورجماً وصلباً وتمثيلاً واحرقوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة ومن طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها (يشوع - ٦ ، ٨ - ١٠) وفي العصر الحديث - ديرياسين ، كفر قاسم ، صبرا وشتيلا وقانا) وهذه صورة الاسرائيلي اليهودي في كل العصور وكانت ذرية الذين تاهوا وماتوا في صحراء سيناء قد قويت بعد أن خلفهم في قيادة هذا الجيل (يوشع) بن نون الذي قام بغزو ارض كنعان وهو الذي خلف موسى بعد موته وقد رأينا في الفصل السابع كيف أن موسى عليه السلام حاول أن يقود بني اسرائيل الى ارض كنعان لكنه عانى من بني اسرائيل تمرداً لله واشراكاً في أن الله اتاهم في البريه اربعين سنة قصاصاً منهم وكيف أن بني اسرائيل كادوا ان يشرفوا على الهلاك وكان موسى يدفعهم دفعاً لامتلاك ارض كنعان فيخاطبهم بقوله (كفاكم قعوداً في هذا الجبل ، تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الامورين) .

ويتحول الشعب الرعديد الجبان بطاقة جبارة بعثها فيهم نبيهم موسى بوعوده انهم يمتلكون الارض وأن الله يطرد كل سكان الارض . وتنتهي مهمة موسى بموته حيث يدفنه الرب في (الجواء في ارض موآب) خروج ٣٤-٢١-١٦ . ويتولى الخلافة بعده (يشوع بن نون) فيقود شعب اسرائيل ويعبرون نهر الاردن ١١٨٦ أو ١٨٨٤ ق.م أو ١١٨٢ ق.م .

وقد دفعهم للحرب بكل وحشيته وهكذا غزا يشوع ارض كنعان . وتذكر التوراة الآيات والمعجزات التي صفها له الله لتأييده بين قومه كقائد لهم وكيف استطاع ان يقود بني اسرائيل وكيف تم وقف مياه الاردن للعبور (كما جاء في يشوع ٣: ٩-١٧) . (ويكون حينما تستقر بطون اقدام الكهنة حاملي تابوت الرب سيد الارض كلها في مياه الاردن ، أن مياه الاردن المياه المنحدرة

من فوق تنطلق وتتف سدأ واحداً) وذلك على غرار ما صنعه الله مع موسى عند مواجهته للبحر (إذ مد موسى يده على البحر فأجرى الرب بريح شرقيه كل الليل وجعل البحر يابساً وانشق الماء) .

ودخلت بنو اسرائيل الارض التي وعدهم الرب اياها تحت قيادة يشوع بن نون الذي خلف موسى النبي في قيادة عشائر بني اسرائيل وقد قاسى يشوع الامرين من ذلك الشعب كما سبق وقاسى سلفه موسى عليه السلام وبعد تردد من ذلك النوع الذي يبعث على الملل وبعد ان كافح القائد شعبه بأساليب الترغيب والترهيب ، طاعته أخيراً جماعة من ذلك الشعب فتقدموا الشعب كله وبدأت هنا أول الحروب التي خاضتها جماعة اسرائيل منذ ان وجدت ويقول ول ديورانت في كتابه (قصة الحضارة الجزء الثاني) حيث يقدم وصفاً للمعارك الاسرائيلية الاولى لعله من افضل التصورات لمجريات هذه المعارك وكانت هزيمة العبرانيين للكنعانيين مثلاً واضحاً لانقضاء جموع جياح على جماعة مستقرين آمنين وقد قتل العبرانيون من الكنعانيين اكثر من استطاعوا قتلهم منهم وسبوا من بقى من نسائهم وجرت دماء القتلى انهاراً كان هذا القتل كما تقول نصوص التوراة الكتاب المقدس فريضة الشريعة التي امر بها الرب موسى وزكاه للرب ولما استولوا على احدى المدن قتلوا من اهلها اثني عشر الفا واحرقوا وصلبوا حاكمها . ولسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الاسراف في القتل والاستمئاع به في ذلك الوقت من العصور القديمة .

ويرى بعض المؤرخين ان يوشع بن نون هو ولد يوسف النبي بن يعقوب وانه ظهر فيهم بعد وفاة موسى باربعين سنة من التيه ، على حين يتحدث البعض انه الفتى الذي صاحب موسى في طريقه الى الرجل الصالح (القرآن الكريم سورة الكهف) وقد استولوا على بعض التلال والقرى الصغيرة من تلال الهضبة الوسطى بفلسطين التي تسمى الان هضبة يهوذا واحتفظ الكنعانيون بالمدن الكبرى والقلاع الحصينة القوية ومنها القدس ولم يتم استيلاء يشوع وجنده بل وقومه الجياح الا على بعض القرى مثل اريحا ، عاي ، لبتة ، لخيس ، جازر ، عجلوب ، دبير ، حاصور ، وقد بلغت روح الانتقام والتشفى عند يشوع كما تحكى التوراة انه بعد ان هزم امراء الكنعانيين والاموريين ووقعوا في اسره قال لقواده رجال الحرب الذين اساروا معه ، تقدموا وضعوا ارجلكم على اعناق هؤلاء الملوك وضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس خشب وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء (يشوع - ١٠) وكما جاء في يشوع ايضاً قال لهم يشوع (حرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف واحرقوا المدينة) ان منطق يشوع هذا هو منطق مناحم بيجين ، بن جوريون ، وعصابات الهجاناة والاشتيرين ، وايرل شارون الذين

بعثوا الرعب فى الفلسطينيين، بل هو الاسلوة. الذى اتبع فى مذبحه ديرياسين وغيرها من المذابح الأخرى .

ويرى المؤرخون أن طبيعة هذه الانتصارات لم تكن بسبب قوة اليهود وشجاعتهم بل بسبب ما أصاب البلاد من تمزق وفوضى حتى عاشت فيها عصابات الخابيرو - المكارين فساداً والمقصود بعصابات الخابير هم العبرانيين وكان ان طلب حاكم القدس (عبدوخبيا) نيابة عن الفرعون المصرى خمسين جندياً فقط لحفظ النظام فإذا انتصر يشوع باكثر من عشرة الاف جندي عبرى اسرائيلى تحت قيادته فالامر لا يعدو غير مغامرة فى غير ميدان .

ويقول جوستاق لوبون فى كتابه (اليهود فى تاريخ الحضارات الاولى . القاهرة ١٩٧٠م) وأن عدد بنى اسرائيل واحتياجاتهم وبؤسهم فى مصر وحرمانهم الهائل مما جمع بينهم واقتطعهم فصاروا كقطيع الذئب الهزيل التى دفعها الجوع الى الاقتراب حتى من المدن ، ويقول كان بنى اسرائيل اقل من امه حتى زمن شاعول وكانوا اخلاطا من عصابات جامحة ، كانوا مجموعة غير منسجمة من قبائل صغيرة آفاقه بدوية ، تقوم حياتها على الغزو والفتح وانتهاك القرى الصغيرة حيث تقضى عشائر عنيدا فى بضعة ايام ، ثم تعود الى حياة البيئة والبؤس .

ثم كيف ننتظر من جماعة من الافراد يعيشون عيشة شقاء لا يأكلون الا المن والسلوى فى الصحراء طوال اربعين عاماً ثم فجأة يجدون انفسهم امام حضارة متقدمة وزراعة وصناعة وتقدم عمرانى وحصون وقلاع وزرع وضرع فلا بد ان يفعلوا ما فعلوه إذ لم يكن دورهم اكثر من دور عصابة من قطاع الطرق أو اللصوص جمع بينهم الحقد على الآخرين والحرمان والخوف وعدم الاستقرار وعدم الشعور بالامان فصارت تضرب ضربة الخائف الجبان فإذا اصابته ضربتها وامكن لها أن تنتصر لم تبقى على شئ وافرغت نعمتها وسمها فى كل كائن وهكذا استقروا فى القرى التى دخلوها وانتشروا فى البلاد التى حولها وتوالت عليهم الانبياء بكثرة غير مألوفة وهذا يدل دلالة قاطعة على أن العبرانيين كانوا وما يزالون قوماً عصاه غلاظ الرقبه على حد تعبير التوراة ويقول سفر يشوع أن ملك اورشليم العربى الكنعانى اليبوس (ادونى صادق) ارسل للملك هوام ملك حبرون ، وفرام ملك يرموت ، ويافيع ملك الخيمش ، ودبير ملك عجلون ، برسائل يحثهم فيها بالاتحاد معه لمحاربة ملك خيعون ، لانه عقد صلحا مع بنى اسرائيل وكان يرأسهم (يشوع بن نون) وما كان من يشوع بن نون الا انه حارب الملوك الخمس وهزمهم شر هزيمة واسر الملوك الخمس المذكورين انفا فى مفازه اى صحراء ثم قتلهم ومثل بجثثهم ويقول يشوع فى نفس الاصحاح أن

بنى اسرائيل قتلوا كل نفس فى هذه المدن الخمس ولم يبق فى المدينة شارباً على حد تعبيرهم .
ويقول الاصحاح الخامس عشر من نفس السفر (اما اليبوسيون الساكنون فى اورشليم فلم
يقدر بنى يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى اورشليم الى هذا اليوم (٦:١٥) .
ويذكر فى سفر يشوع بن نون انه كان خادماً لموسى ولم يكن حفيد أو ابن النبی يوسف ،
وانه لازمه كظله طوال حياته وحتى مماته ومن هنا حق له قيادة الاسرائيلين لدخول ارض كنعان بعد
وفاة موسى بل انه من الطبيعى ان يكون يشوع حافظاً لكلام موسى وتعاليمه .

ونأتى الى سفر التثنية وهو السفر الأخير من التوراة حيث يرى بنى اسرائيل ان الذى حقق
لهم انتصاراتهم المحدودة على سكان كنعان من الكنعانيين ومن معهم من الاقوام الأخرى بأن يشوع
قال لهم أن آله اسرائيل سيحارب بدلاً منهم فى حالة وقوع أى حرب (لا تخافوا ولا ترتعدوا ولا
ترهبوا الاعداء لأن الرب الهكم سائر معكم لى يحارب عنكم اعدائكم ليخلصكم .

ومن المعروف عند الاسرائيلين ان يشوع بن نون الذى قادهم لمحاربة اهل كنعان وسلب
واستعمار الارض منهم انه نبى من انبياء اسرائيل وكان اسمه اولاً (يوشع) ولكن آله اسرائيل بدل
اسمه وغيره الى (يشوع) وكما سبق القول فإن يشوع ولى امر بنى اسرائيل بعد وفاة موسى بناء
على امره حيث تقول التوراة فدعى موسى يشوع وقال له امام عين جميع اسرائيل تشدد وتشجع
لأنك انت تدخل مع هذا الشعب الارض التى اقسم الرب لابائهم ان يعطيها اياها وانت تقسمها لهم
والرب سائر امامك وهو يكون معك لايهملك ولا يتركك . لا تخف ولا ترتعب (التثنية ٣١: ٧-٨) .

ولكن ماذا فعل يشوع حتى يدخل الارض التى وعد الله بها بنى اسرائيل ، انهم يقولون فى
أسفارهم ان يشوع اقام مذابح عديدة تفوق مذابح النازى كثيراً المذابح التى تتنافى مع الدين
اليهودى اولى هذه المذابح كانت مذبحه اريحا حيث يقولون فى كتابهم المقدس ، ان الله امر شعب
اسرائيل بدخول هذه المدينة بعد طقوس معينة يؤدونها ، منها الدوران حول المدينة زاعقين بابواق
الهتاف المصنوعة من الفضة الخالصة السبعة طوفات امام التابوت سائرين على الاقدام وفى المرة
السابعة فى اليوم السابع من الدوران ، قال يشوع لشعبه اهتفوا لأن الرب قد اعطاكم المدينة .
فهتف الشعب وضربوا بالابواق ، وكان حين سمع الشعب صوت البوق ان الشعب هتف هتافاً
عظيماً فسقط السور من مكانه وصعد الشعب الى المدينة كل رجوع مع وجهه واخذوا المدينة وحرموها
كل ما فى المدينة من رجل وامرأه من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف ولم يكتف
يشوع بهذا بل حرق المدينة كلها .

والمذبحة الثانية كانت فى مدينة (عاى) حيث امر إله اسرائيل يشوع بان يفتح مدينة عاى وبعد فتحها قتلوا كل من فيها من رجال ونساء واطفال وشيوخ وعجزه وحرقوا المدينة ومثلوا بجثة ملكها وضربوهم حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت ، اما ملك عاى فأمسكوه حياً وتقدموا به الى يشوع وكان لما انتهى بنى اسرائيل من قتل جميع سكان عاى . فى الحقل فى البريه حيث لحقو بهم وسقطوا جميعاً بحد السيف حتى فنوا جميعاً ثم رجع بنى اسرائيل الى عاى وضربوها بحد السيف فكان جميع الذين سقطوا فى ذلك اليوم من رجال أو نساء اثنى عشر الفا من جميع اهل عاى واحرق يشوع (عاى) وجعلها تلاً ابدياً ، خراباً اما ملك عاى فعلقه على خشبه الى وقت المساء وعند غروب الشمس امر يشوع فانزل جثته عن الخشب وطرحوها عند مدخل باب المدينة واقاموا على رجمه حجارة عظيمة (التثييه ١٨:٨-٢٩) .

كذلك فعل يشوع بن نون نفس الشئ بشعب وملك مدينة (مقيده) ثم حرقوها بعد ذلك وكذلك (شعب الينه) وملكها وشعب يخشى وملكها وشعب جازر وملكها وشعب مدينة حاصور وملكها ومجازر اخرى كثيرة فى الاصحاحين العاشر والحادى عشر من سفر يشوع بن نون .

فلماذا يتعجب العالم المعاصر والعرب والمسلمين من افعال اليهود فى ديرياسين وكفر قاسم وكذلك افعال (اريل شارون) فى صبرا وشتيلا المذبحة وكذلك افعال شيمون بيريز فى مذبحة قانا بجنوب لبنان ان الذين يطالعون الاصحاح العاشر والحادى عشر يدركون كم هى فظاعة قلوب هؤلاء القوم الذين عاشوا فى الصحراء اربعين عاماً فلن تكن الرحمة تجد طريقاً الى قلوبهم وكتابتهم المقدس خير شاهد على ذلك .

ويقول سفر يشوع انه بعد فتح مدينة حبرون ملك يشوع المدينة (لكالب بن يفته) فباركه يشوع ويقول سفر قضاة ان سبط (دان) بن يعقوب من امهم بلهه من بنى اسرائيل استولوا على مدينة تسمى (لايشى) واقاموا مذبحة لشعبها المسالم المطمئن واحرقوا المدينة ثم أعادوا بناءها وسكنوا فيها بعد أن بدلوا اسمها الى مدينة (دان) نسبة الى سبطهم من يعقوب وكانوا قد ضربوهم بحد السيف واحرقوا المدينة بالنار فبنوا المدينة وسكنوا بها ودعوا اسم المدينة دان باسم دان جدّهم الاكبر الذى ولد فى كنعان هو واخوته الاحد عشر وهكذا بدل بنى اسرائيل اسم المدينة من لايشى الى دان . وهو الابن الخامس ليعقوب من بلهه جارية راحيل زوجته الثانية .

ولم يكن ما فعلوه عن جهاد فى سبيل الله بل تحقيقاً لمصالح شخصية وحباً فى متاع الدنيا ، حيث نجد انهم بعد موت موسى عبدوا (عشتورت) اله الصيدونين وملكوم اله العمونين وغيرها من

الاصنام وكذلك عبدوا سابقا (بعل مغوز آله الموابين وتعلق بنى اسرائيل ببعل فغور ، فهل ثبتوا حقا فى دعوة الله حتى يكونوا شعب الله المختار ، بل ان التوراة تقول انه عندما كانوا يشعرون ان هناك جهادا يقولون (ليتنا متنا بيد الرب فى ارض مصر ، اذ كنا جالسين عند قدور اللحم تاكل خبزاً للشبع وهكذا كان بنو اسرائيل يفضلون حياة الرق والعبودية التى كانوا يعيشونها فى ارض مصر على حياة الحرية واكثر بنى اسرائيل من التذمر على موسى ، فكانوا يقولون له (قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجاناً ، والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم) فهل هذا هو شعب الله المختار . وهل يعبد شعب الله المختار الاصنام والعجل المسبوك فى برية سيناء والبعل وعشتورت وما نكوم وغيرها من الاصنام ، هل اختارهم الله لانهم تركوه وعبدوا غيره .

ونعود بعد ذلك لنكمل الحديث عن دور يشوع بعد أن سلب الارض من اصحابها الشرعيين واحتل بعض اراضى الضفة الغربية فى فلسطين حالياً وان كان لم يستطع ان يحتل الا بعضاً من تلال الهضبة الوسطى فإنه قسم قرى الملوك الخمس السابق الاشارة إليهم الى احدى عشرة قبيلة (سبطاً) وجعل لسبط وقبيلة لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (وهو الذى خرج منه موسى (الشنون الدينية) استجابة لقول الرب مخاطباً موسى (قرب اليك هارون اخاك وبنيه معه من بين بنى اسرائيل ليكون لى (خروج ٢٨) . ولهم سفر فى التوراة هو السفر الثالث الذى سمي (سفر اللاوين) ويتكون هذا السفر من سبعة وعشرين اصحاحاً تقع فى تسعة وسبعين صفحة من القطع المتوسط وسمى هذا السفر هكذا نسبة الى سبط (لاوى) الابن الثالث ليعقوب عليه السلام من لينة زوجته الاولى واللاوين هم ابناء لاوى ومنهم موسى عليه السلام حيث يقولون ان اسمه (موسى بن عمران بن قهات بن لاوى بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم) واللاوين هم احبار اليهود وكهنتهم وهم الذين يتولون امور الكهانة ويحملون كلام موسى (التوراة) وبقيّة كتب انبياء اسرائيل .

ويلاحظ انه فى عهد يوشع فإن اثر موسى فيهم كان محدوداً إذ لم يكد يبقى له وجود فيهم يتجاوز لوحين كتب فيهما الرب وصايا العشر فى تابوت ينتقل معهم حتى بنى سليمان بيت الرب ولانهم كانوا اصحاب حضارة بدائية بدوية (جيل الجيل فى صحراء سيناء والته) فقد اصابهم الاستقرار فى ارض زراعية ذات مجتمع له اصول حضارية عريقه (حضارة الكنعانيين والتقدم الحضارى فى الزراعة والصناعة وفن بناء المدن والاسوار والتعامل التجارى والازدهار الحضارى العظيم) .

ومن ثم فانهم خضعوا لتقاليد مجتمع جديد وعبدوا الاله البعل آله الكنعانيين ومجروا لهجتهم المصرية ولغتهم الهيروغليفية واتخذوا اللغة الكنعانية لغة لهم وورثوا عن الكنعانيين اسس الثقافة

المادية وكذلك اخذوا بتقاليد عبادة الاله (تموز) الذى كان الكنعانيون يعتقدون كغيرهم من اقوام الشرق الاوسط القديم موته صيفاً وعودة الحياه اليه ربيعاً، ومن اثر الحصار الكنعانيه ان اصبح قادة اليهود بعد يشوع قضاه . احتفظوا بالبلاد سياسياً بسبب توقف الزحف العسكرى والاكتفاء بالقرى التى عاشوا فيها مع سكانها الكنعانيين وانغمسوا فى حياة مدينة غير مأهولة لهم سابقاً لأن الجيل الذى عاش على ارض سيناء كان قد فنى تماماً وهم جيل التيه .

وهكذا ذاق بنو اسرائيل لأول مرة طعم الانتصار وذاقوا طعم التمدين ولم تعرف اسرائيل شكل الحكم الملكى اول عهدا وانما حكموا عليهم القضاء حيث كان يجتمع رؤساء الشعب وشيوخ العشائر لينتخبوا لأنفسهم قاضياً يحكم فى منازعاتهم المستعصيه الحل .

وقد ظل بنو اسرائيل كما قال جوستاف لوبون . قوماً من الرعاه حتى بعد صلتهم الطويلة بالحصار المصرية والكنعانيه وبقي بنو اسرائيل حتى فى عهد ملوكهم بدوين ، أى أنهم لم يكتسبوا من تلك الحضارات الا فترة رقيقه هشه .

وجاء الفلسطينيون قبل دخول يشوع الهضبة الوسطى فى الضفة الغربية الى الساحل ودخلوا ارض كنعان وسكنوا غزه واشدود وعسقلان واكرون وجاشا وانتصروا على الكنعانيين بفضل اسلحتهم المصنوعة من الحديد وبلغوا اوج قوتهم فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر مزودين بثقافة متقدمة ومزودين بعربات جديدة كانوا يركبونها فى الحرب والى هذا يشير سفر القضاء - ١٩ ، وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل ولكن لم يطرد سكان الوادى بل صنع لهم مركبات حديدية ولما التقوا بالاسرائيلين حوالى ١٠٥٠ (وذلك قبل تولى داود بخمسين عاماً أو اكثر قليلاً) ووقعوا بهم هزائم متلاحقه حتى استولوا على تابوت العهد واخذوه الى اشدود وظلت لهم اليد العليا مما دفع بنى اسرائيل الى الالتفاف حول شخص شاؤول ، لكى يغذى فيهم طموحهم فى ان يحافظوا على الارض التى تحت ايديهم بعد ان بسط الفلسطينين نفوذهم . لكنهم كانوا سرعان من اندمجوا وامتزجوا بالسكان الاصليين بالمصاهرة وتأثروا باخلاقهم وعاداتهم .

وبعد وفاة يشوع تولى قضاء تتابعوا (شيوخ العشائر) على حكم اسرائيل والدفاع عنهم وظلوا طيلة عهد القضاء فى فتن وحروب مع سكان البلاد فلم يقوا (يقضوا) على العمالقه العرب الكنعانيين سكان البلاد الاصليين والفلسطينيين الذين استعيدوهم تكراراً واستطاع ملك الكنعانيين (يابين) بعد وفاة يشوع ان يسيطر عليهم ويخضعهم لحكمهم فى ارض كنعان وكذلك الملك (مديان) وزعماء الفلسطينين مما ادى الى تفرق كلمتهم وصاروا شيعاً واحزاباً .

وهكذا بعد وفاة يشوع الذى وصل بهم ارض كنعان ظلوا متنازعين فيما بينهم مستعبدين مستذلين من شعوب فلسطين وسكانها وتاقت نفوسهم الى ان يكون لهم زعيم واحد بدلا من القضاة (عصر القضاة) المتعددين الذين هم كأصحاب العشائر أو كبار القبائل والاسر وذلك شأنهم شأن الشعوب والأمم التى تسكن حولهم ونظموا انفسهم وطلبوا من نبيهم صموئيل قائلين له (اجعل لنا ملكا يقضى لنا كسائر الشعوب) .

وكانوا قد التحموا بالكنعانيين الوطنيين اصحاب البلاد الاصليين وبطريقه ما اصبحوا ورثتهم الروحانيين وهكذا كانت صلتهم بفلسطين عبر الاجيال من الكنعانيين واليبوسيون والاراميين وغيرهم من الشعوب العربية التى سكنت هذه البقاع قبل قدومهم صفة قوم دخلاء غرباء .

وهكذا نرى كيف ان يشوع الذى خلف موسى فى قيادة بنى اسرائيل بل انه خليفته وكيف ان الله كما تقول التوراة قد عضده بالآيات والمعجزات فتدوم الشمس ويقف القمر حتى ينتقم الشعب من اعدائه ، بل جعل الله ليشوع تابوت الرب عوضا عن عصا موسى فصنع به معجزه انغلاق مياه نهر الاردن وعبور بنى اسرائيل فى اليابسه .

وقبل مجيئ داود عليه السلام فإن بنى اسرائيل قد دانوا بعبادة الاسلاف ثم غمرتهم الوثنية زماناً فنظروا فى كواكب السماء وظواهر الطبيعة ثم فى الحيوان والحجر والشجر وظلوا غارقين فى الوثنية لم يخرجهم منها الا مجيئ داود فيعبدوا العجل بعد أن توارثوا هذه العبادة عن تقديس المصريين للحيوانات وحتى زمن داود الذى احبه الله كانت زوجة داود تحتفظ بتمثيل على صورة البشر وترمز بها الى الله .

وهكذا نجح بنو اسرائيل فى ان يولوا عليهم الملك شاول حوالى ١٠٢٠ أو ١٠٠٤ ق.م وهو الذى كان معروفاً بالقوة والبأس . لكنه لم ينجح فى مهمته بعد أن اصبح ملكاً عليهم ثم تذكر التوراة ان الله ندم على تنصيب شاول وتولت المنازعات لان الله يؤثر داود عليه مما كان سبباً مباشراً للقتال بينهما لفترة تنتهى بأن يسيطر داود على زمام بنى اسرائيل الذين كانوا لازالوا عشائر متعددة .

ولقد كان شاول الذى اسمه فى العربية طالوت . هو اول ملوكهم زعيم الاسباط أو زعيم العشائر وقد ابدى شاول شجاعة فى القيادة والحرب وسط شعب يعد الخوف والحرص على الحياة تراثاً قومياً مما ادى بذلك القائد الشجاع فى النهاية الى ان يسقط فى احدى معاركه ودق جسده بالسامير على اسوار (بيت شان) وقد كان ذلك لأنه لم ينجح فى مهمته وقتل هو وأولاده وقطع رأسه وعلقوه مع ابنائه فى (بيسان ، بيت شان) وأودعوا درعه وسلاحه قرباناً فى معبد الاله

عشتاروت) لاحظ عبادة الاصنام حتى بعد عهد موسى بفترة طويلة بل وفى عهد داود فماذا يعنى هذا عن بنى اسرائيل .

وقد ذكر القرآن الكريم وكتب التاريخ ان اليهود لم يكونوا على وفاق مع جيرانهم من القبائل والشعوب فى ذلك الزمن قبل تولى شاؤول بل وقبل ظهور داود على مسرح الاحداث ، بل انهم كانوا على خلاف ونزاع دائم حتى كثرت عليهم الغارات من كل جانب وظهر عليهم جالوت وجنوده من العرب العمالقه فاحتلوا ديارهم وسبوا نسائهم وابنائهم فكان كما سبق القول ان لانوا بنينهم (شموئيل ، أو صموئيل آخر حكام القضاة) (شيخ قبيلة) « وقالوا له ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله « وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا ، فاستجاب لطلبهم نبيهم وقال لهم ان الله قد بعث لكم طالوت (شاؤول) ملكا ولكنهم قابلوه بالجدال والنكران ، بدل الرضا والشكران وقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال . وقال لهم نبيهم (صموئيل) **ان الله اصطفاه عليكم وزاداه بسطة فهو العلم والجبر والله يؤتمر ملكه من يشاء والله واسع عليم** و المعروف بان شاؤول كان من ذرية بنيامين شقيق يوسف بن يعقوب جد الاسرائيليين ولكنه لم يكن غنياً مثلهم ولكنهم قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ، لانه لم يؤت سعة من المال ولما تم لطالوت الامر وكان أول ملوك بنى اسرائيل قاد جيوشه لقتال بعض اعداء بنى اسرائيل الذين كان بنى اسرائيل لم يبسطوا نفوذهم على كل فلسطين .

بل جزء بسيط من الضفة الغربية والهضبة الوسطى وفى طريقهم الى ميدان القتال عصى طالوت اكثر جنوده وذكر الله عنهم فى سورة البقرة « قالوا لاطاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » وعلى الرغم من عصيان اكثر جنود طالوت له فإن طالوت قد سار مع الفئة القليلة الى ميدان القتال حتى قتل وكاد أن يقضى عليهم لولا أن فيض الله لهذه المعركة نبي الله داود بن يسي من سبط يهوذا فهزمهم وقتل داود جالوت .

وهكذا نرى ان حالة هذه القبائل كانت فى فوضى ونزاع بعد وفاة يشوع بن نون حيث نجد فى سفر القضاة (زعماء القبائل) وكانوا هم مجموعة الذين حكموا بنى اسرائيل بعد موت يشوع بن نون (يقولون اهل العهد القديم ان سفر القضاة يقع فى المنزلة الثالثة بعد توراة موسى وسفر يشوع) يقولون ان هذا السفر القضاة) نزل على فينحاس ويقول الآخرون انه نزل على جزاقيا أو حزقيا أو عزرا أو ارميا .

وقد ظل بنى اسرائيل منذ خروجهم من مصر على يد موسى بن عمران بدون ان يتوحدوا ويكون عليهم رئيساً واحداً أو ملكاً حتى جاء شاول ليكون ملكاً عليهم وفي هذه الفترة قضى لاسرائيل كاهنان هما عالي وصموئيل وكانا يقضيان لاسرائيل تحت الها مات ربانيه وفي عهدهما تألب على بنى اسرائيل سكان الارض المجاورة وقد وصل الفساد ببني اسرائيل زمان الكاهن عالي^١ حتى انهم فى حروبهم مع الفلسطينيين قد استعانوا بتابوت الرب لكن الرب تخطى عنهم وانكسروا فحارب الفلسطينيون وانكسر لاسرائيل وهربوا من امام الفلسطينيين وكانت المعركة عظيمة جداً وسقط من اسرائيل ثلاثون الف رجل واخذ منهم تابوت الله ومات ابنا الكاهن عالي وهما صفنى (فينحاس) لكن الشعب يطلب ملكاً عليهم فيقيم لهم صموئيل شاول ملكاً عليهم ويحارب شاول الفلسطينيين وينكسر امامهم واشتدت الحرب على شاول فأصابه الرماه رجال القس فانجرح شاول فمات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله فى ذلك اليوم معا ولما رأى رجال اسرائيل الذين عبر الوادى والذين فى بحر الاردن ان رجال اسرائيل قد هربوا وأن شاول وبنيه قد ماتوا وتركوا المدن وهربوا فاتى الفلسطينيون وسكنوا بها .

وظلت ارض كنعان موضع شد وجذب من قبل الفريقين الذين اغارا عليها من الخارج حتى عام ١٠٠٠ ق.م على وجه التقريب وهو التاريخ الذى يعينوه لاستيلاء الملك الاسرائيلى داود على بيت المقدس لقد هزم الفلسطينين وفتح ارض كنعان وتقدم بالتالى للاستيلاء على الدويلات الصغيرة المجاورة الواقعة الى الشرق من فلسطين (ابوم ، ومواب ، وعمون ، وجلقاء) .

وقد كان شاول اول ملك على بنى اسرائيل وهو فى العربية طالوت وكان عليه ان يحارب الفلسطينيين وكانوا أمة تتميز على جيرانها ببراعتها فى صهر الحديد واستخدامه فى صنع الآلات الحربية الحديثة وفى سفر صموئيل وصف لامتداد ملكهم من الساحل الى الداخل فهزموا شاول وقتلوا ولديه وبذلك فقد كان الفلسطينين اول من عرف الحديد واشاع صناعته وانهم هم الذين نقلوا الحضارة الى عصر الحديد ولذا رهبهم وخاف منهم الاسرائيلين وضعف الاسرائيلين امامهم فى هذا العهد بسبب معرفتهم بالحديد وبرعوا فى صناعته واشاعوا استعماله وتعلمه عنهم الكنعانيون وغلبوا به الاسرائيلين .

وبذلك فشل شاؤول لأنه لم يكن على وفاق مع رجال الدين ولم يخضع لرأيهم وفنك بعدد كبير منهم وهذا ما دعا رجال الدين الى أن يساعدوا داود على تولي الحكم وكان شاؤول على عدااء مع داود ودبر مؤامرة لقتله فلم تنجح فيما ارادوا ذلك لأن الامور قد بدأت تتغير في البلاد عندما فوجئ شاؤول بهجوم الفلسطينيين وغيرهم من قبائل العرب الكنعانيين العمالقه عليه واستطاعوا ان يحرزوا انتصارهم عليه مما دفع رجال الدين ان يتباعدوا عنه لانه لم يأخذ برأيهم في ادارة شؤون البلاد مما دفع للارتقاء في اتجاه داود والوقوف في صفه مما اتاح له أن يتولى شؤون البلاد منذ عام ١٠٠٤ ق.م ومن ثم أخذ يحاول اخضاع القبائل الاخرى والتي منها اليبوسيون والكنعانيون الذين كانوا لازالوا يسيطرون على ايبوس بيت المقدس ولذا كان هدف داود دخول هذه المدينة لكي تكون عاصمة مستقبلية لحكومته التي يرنون الى تأسيسها .

وقد كان صموئيل الذي رشع (طالوت) هو آخر قضاة بني اسرائيل . وفي سفر صموئيل الاول تذكر التوراة أن آله اسرائيل ندم اشد الندم لأنه اختار شاؤول ملكاً على بني اسرائيل ويفشى آله اسرائيل بهذا السر الى صموئيل النبي بقوله (ندمت على اني قد جعلت شاؤول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي) وفي سفر صموئيل الاول ان الله امر ان يكون شاؤول اول ملك لاسرائيل ثم ندم آله اسرائيل على هذا العمل . وفي عهد شاؤول يمسح صموئيل النبي داود نبياً وظهرت قوة داود وينتصر على كل اعدائه ويحقد عليه الملك شاؤول ويحاول التخلص منه ويفسر لنا سفر صموئيل كيف انه قام صراع عنيف بين داود وبيت شاؤول انتهى بتنصيب داود ملكاً . ويقول سفر صموئيل انه كان لشاؤول حفيداً له وكان عمره خمس سنوات في ذلك الوقت وعند مجيء خبر وفاة شاؤول وابنه (يوناثان) هربت مربية الطفل وتركته في البيت وجاء رجال داود وكان الطفل نائماً فبقروا بطنه ومزقوا جسده تمزيقاً وقطعوا رأسه واتوا بها داود على رمح قاتلين (هو ذا رأس بشبوش حفيد شاؤول عدوك الذي كان يطلب نفسك وقد اعطى الرب اسيدى الملك انتقاماً في هذا اليوم من شاؤول ونسله) .

وهكذا نرى كيف ان موسى عليه السلام استطاع ان يوحد هذه العشائر المتفرقة وجعل منها

امه واحدة اطلق عليها اسماً جامعاً وادخلها فى دين واحد وقد ظلوا على بداوتهم زمناً حتى اذا مات موسى غزت هذه القبائل المتحدة غربى فلسطين وكانت تنزل فى شرق الاردن وكما سبق القول فإن التوراة تذكر ان الاحتلال والاستعمار والاعتصاب كان بقيادة يوشع الذى لم يصادف نجاحاً قليلاً ولم يتم على وجه التحقيق الا باستيلاء داود على اورشليم وقد انقسمت القبائل الى ثلاثة اقسام رئيسه ويظهر أن قصة القسم الجنوبي أو اليهودى منها بجوار حبرون ويكاد يفصلهم عن القسم الشمالى الكنعانيين المستقلون وكذلك اورشليم اكبر حصون الكنعانيين وقد اثار هؤلاء المؤرخون الى محاربة الكنعانيين والموابين والبدو والمدينين والفلسطينيين لا اولئك الاسرائيليين واستخلصوا من ذلك ان استقرار بنى اسرائيل المؤقت لم يتم فى جوهره الا بعد ان فنت القبائل الاسرائيلية فى الكنعانية وان قبيلة يهوذا ترد الى ام كنعانية وان اختفاء الاسماء الكنعانية ايام داود لايعنى انها انعدمت بل كانت لا تزال تستخدم .

وقد سبق الاشارة الى أن شاول اسس دولة اسرائيل ولكن الفلسطينيين هزموه وقتلوه وذلك كما اشارت التوراة الى قبائل عربية هم المدينين والعمالقه وبنى قديم وان المدينين اذلوا الاسرائيليين وقد حارب العمالقه بنى اسرائيل عندما حاولوا دخول فلسطين عند سيناء وحاربوهم فى جنوب فلسطين لايقاف تقدمهم وتحالفوا مع الموابين والمدينين بعد ذلك فى تلك الحروب ضد الاسرائيليين ثم استمروا فى محاربتهم فى عهد شاول اول ملوك الاسرائيليين ثم فى عهد داود .

ويذهب بعض المؤرخين الى أن العمالقه كانوا من الطبقة الاولى من طبقات العرب الذى كان سكن فلسطين الوسطى وفلسطين الجنوبية وطور سيناء وذلك قبل هجرة العبرانيين والاسرائيليين بفترة طويلة وان هذا الجيل اقدم من العبرانيين ثم اندمج مع بقية الشعوب التى ظلت تقاوم الاسرائيليين فى عصر داود وفى اثناء حكم ابنه سليمان حتى زالت دولة بنى اسرائيل وظلت هذه الشعوب تحافظ على وجودها وكيانها القومى .

الفصل السابع

مملكة داود وابنه سليمان في فلسطين (١٠٠٠-٩٢٧ ق.م)

واحتلال اراضي الكنعانيين

بعد اقامة دائمة للكنعانيين على ارض فلسطين دامت اكثر من خمسة عشرة قرناً من الزمان استطاع بنو اسرائيل التغلب النهائي عليهم واقاموا حكماً دام ثلاثة وسبعين عاماً أو سبعين عاماً كانت فترة حكمهم غزو واحتلال وتقتيل ودمار واقاموا وأسسوا حكماً يهودياً استعمارياً بدأ بالملك داود (١٠٠٠-٩٦٠ ق.م) الذي جعل القدس عاصمة له بعد احتلالها من أهلها الكنعانيين اليبوسيون وانتهت بابنه الملك سليمان (٩٦٠-٩٢٧ ق.م) والذي بنى الهيكل على جبل صهيون .

وكان قد نشأ اثناء اقامة بنى اسرائيل في التيه اربعين عاماً في صحراء سيناء ما يجوز ان تسميته بالتاريخ السياسى الوطنى لليهود وانشاء قواعد الديانة اليهودية وطقوسها فاشاء هذه الحقبة وضع رؤساء اليهود وزعمائها سلسلة من المبادئ والتقاليد والتعاليم وكتب عدد منهم بعض اسفار العهد القديم من التوراة ولما كان هؤلاء الرؤساء يفكرون في الهجرة بشعبهم الى منطقة الاردن وفلسطين واحتلالها والتي عرفت على ايدي اصحابها الكنعانيين بالبلاد التي تفيض لبناً وعسلاً فقد خصوا بلاد الكنعانيين باهتمامهم ودعايتهم وصرفوا انظار اليهود اليها وشحنوا اسفار العهد القديم التي كتبوها في الكثير من فصولها بانباء الهجرة العبرانية الاولى اليها والوعد المقطوع لابراهيم واسحق ويعقوب واسباطه من بعده بأن تكون فلسطين وطناً ازلياً لهم واسموا بارض الميعاد وبالغزو والسلب والاستيلاء على اراضي الكنعانيين والحيثيين والاراميين العموريين وغيرهم والاستيلاء على اراضي جميع الكنعانيين غصباً اقام داود مملكة كنعاء باسفار يشوع والقضاء هذا فضلاً عن عظات نبي الله زكريا .

لكن اذا رجعنا الى التاريخ فى العهد القديم (التوراه) وفحصنا فيه سيرة فلسطين وتاريخ بنى اسرائيل لوجدنا انه يتفق مع سائر المؤرخين وهى ان فلسطين وطن الكنعانيين وانها تعرف ببلاد

كنعان ، كما أن ذكر القبائل الكنعانية يملأ صفحاته وسطوره منذ القدم . وكما سبق القول في صفحات سابقة بأن هذه القبائل الكنعانية قد خرجت من جزيرة العرب .

وعلى الرغم من أن التوراة مليئة بحوادث الصراع الذي قام بين الكنعانيين والعبرانيين في تلك البلاد وإن الصراع المرير الذي قام في أعقاب خروج بنى إسرائيل من مصر وضلالهم في صحراء التيه في سيناء فإن الصراع قد استمر قرابة ثلاثمائة عام استبسل فيها الكنعانيون في الدفاع عن بلادهم .

ومن ثم فإن فترة انصار الاسرائيليين وغلبتهم نتيجة الاعمال الوحشية الضارية التي أباحوا لأنفسهم اقتراحها لم تزد عن السبعين سنة (٧٠ عام) وأن مدة السبعين سنة تلك كانت مدة غزو واحتلال تقارب في عمرها الاحتلال البريطاني لمصر (١٨٨٢ - ١٩٥٤ م) وهذه الفترة البسيطة لم تخرج البلاد الكنعانية عن عروبتها ولم تعط بأى شكل من الأشكال حقاً تاريخياً لليهود في فلسطين بل وللتاريخ فإن الغزو الاسرائيلي لأرض كنعان لم يجعل أهل البلاد الأصليين يتركوا ديارهم بل استمروا في حياتهم القومية يعيشون في مدنهم وقراهم ومزارعهم ويذكر العهد القديم أن بنى إسرائيل عندما دخلوا فلسطين وساكنوا أهلها وتشير التوراة الى القبائل العربية ومنازلهم وقراها ولعل هذه الحقائق في مجموعها تدل دلالة واضحة على أن حياة الكنعانيين العرب لم تختلف عن ديار الشام بما وقع لهم من غزوات الاسرائيليين والفرس واليونان أو الرومان وكل ما في الأمر بأنه لم يتعدى عن قيام حكم اجنبي لم يستطع الانفراد بالوطن وحده وأن صاحب الحق القومى والتاريخى في فلسطين هم الكنعانيون واحفادهم من العرب وأن اصحاب القدس كانوا اليبوسيين من القبائل العربية الكنعانية وهذا ينقى كل صلة للاسرائيليين بفلسطين أرض كنعان.

ومن المعروف انه عندما تفككت وحدة اليبوسيين وراح بنى إسرائيل (العبرانيون) يغزونهم لجأ ملوك اليبوسيون الى سياسة توازن القوى بالتحالف مع ملوك الكنعانيين المجاورين وقراة مصر الذين كانوا عوناً لهم على عدم الاستيلاء على بلادهم (والواقع أن الكيان الاسرائيلي الذي قام في فلسطين في عهد داود وابنه سليمان) كان سبب ضعف العرب في البلاد المجاورة ويحدثنا التاريخ على أنه عندما قويت شوكة مصر أصبحت الدولة اليهودية تابعة لمصر وأصبح سليمان الذي تزوج

من احدى الاميرات المصريات (مصرية) احد ولايتها في فلسطين وكان الاسرائيليين قد اضطروا الى اخلاء ييوس تحت ضغط اليبوسين ولكنهم عادوا فاحتلوها مرة ثانية بقيادة الملك داود وجعلها عاصمة مملكة بدلاً من (حبرون) الخليل واطلق عليها اسمها الكنعاني (اوروسالم) .

وكما سبق القول في الصفحات السابقة فإن يشوع قاد بني اسرائيل الى نهر الاردن حيث انتزعوا بعضاً من ارض كنعان في الداخل ولكن دون العاصمة ييوس (القدس) وساحل فلسطين ولم يستطيعوا ان يسيطروا إلا على التلال والاراضي الفقيرة الداخلية وظلت السهول الغنية في ايدي الكنعانيين اصحاب البلد الاصليين .

لكن في فجر الالف الاولى قبل الميلاد وبالتحديد عام ١٠٠٠ (الف قبل الميلاد) وحد داود الاسباط أو قبائل اسرائيل الاثني عشر وهزم اليبوسين والفلسطينيين وارسى ووسع مملكة اسرائيل حتى امتدت ارض اسرائيل من دان في الشمال الى بئر سبع في الجنوب .

وكان داود قد سيطر على زمام بني اسرائيل عام ١٠٠٧ ق.م على اثر موت اشيال بن شاول البنيامين ثم يدخل في حرب مع الفلسطينيين حتى يتم له النصر عليهم عام ١٠٠٠ ق.م واستولى على ييوس (القدس) بعد ان انتصر على الكنعانيين وجعل القاعدة للملكه كما اخضع العمالقه في الجنوب والادوميين في وادي الملح وجعلهم يدفعون له الجزية كما اخضع قبائل جرار من قبل عام ٩٩٥ ق.م حيث اقام في حفل سنة واربعة شهور لاجناً سياسياً عندما هرب من وجه شاول الملك وكان وجوده بها نكبة على البلاد إذ احرقها العمالقه انتقاماً من داود ورغم كل هذا فإن بنو اسرائيل لم يستطيعوا طرد سكان الارض الاصليين ولكن اقاموا حكماً اجنبياً كاحتلال عسكري .

وهكذا تولى داود الملك على بني اسرائيل بعد طالوت العربي وشاول سنة الف قبل الميلاد . وكان قائداً حربيّاً وسياسياً عظيماً اتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء والآن له الحديد فكان يعمل منه دروعاً قاتل بها اعداء بني اسرائيل فكان النصر حليفه ووسع رقعة مملكته وشملت فلسطين وما ساعده على هذا النجاح توحيد شمال مملكته مع جنوبها وتحسين علاقاته مع جيرانه الفينيقيين وغيرهم في الشمال والذين كانوا يسكنون الساحل من حيفا جنوباً الى الشمال سمح لهم بالتجارة في البحر الاحمر فزادت مالية البلاد من المكوس التي كان يحصلها من التجارة

حتى استطاع بناء الحصون وتكوين دولة قوية وقد بلغت مدة حكمه اربعين عاماً (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م) قضى اكثرها فى صهيون أو مدينة داود وكانت حصناً قريباً من بيت القدس ويعد عصر داود العصر الذهبى فى تاريخ بنى اسرائيل وأن تحركات بنى اسرائيل منذ خروجهم من مصر عام ١٢١٣ أو ١٢٢٤ ق.م لم يتجاوز قطعة ارض صغيرة فى تلال الهضبة الوسطى .

ولم يتحقق النجاح الا فى عهد داود عام ١٠٠٠ ق.م حيث استطاع الاستيلاء على اورشاليم (يبوس) وكان بنى اسرائيل قد حاربوا الكنعانيين فى عهد داود واخذوا اورشاليم التى كانت تطلق على مملكة الامورى (ادونى صادق) وضربوها بحد السيف واشعلوا النار فى المدينة وحين ظهر الملك داود وحارب الفلسطينيين أولاً جندياً فى جيش شاول (صموئيل الثانى ٥/٥) ثراه يدفن احد الفلسطينيين فى اورشاليم ثم بعد ذلك اغتصب الملك من شاول وذهب الى اورشاليم التى كانت لا تزال تخضع لحكم البيوسين وفتحها واتخذها عاصمة مدة ثلاث وثلاثين سنة ووجد اسرائيل ويهوذا وشرع فى بناء الهيكل الذى اتمه بعده ابنه سليمان ونقل اليه تابوت العهد .

وهكذا يتولى داود الامر بعد ان كان يحمل درع شاول بين ١٠٠٤ - ٩٦٠ ق.م . وكان اول الامر يحكم بصفته تابعاً للفلسطينيين ، لكنه تمكن من احراز الاستقلال ولم يكتف بذلك بل انه وسع حدود مملكته الى جهات لم يبلغها سلطان اليهود من قبل واحتل القدس كما سبق القول وجعلها عاصمة مملكته بعد مقاومة عنيدة مع البيوسين استمرت طويلاً واقام ادارة على الطراز المصرى القديم واجبر البلاد المجاورة له على دفع الخراج له كما احبط مؤامرة ابن شاول اشالوم واخمد ثورة الولايات الشمالية من مملكته واخضع العمونيين والامومين والموابين ومع هذا فإن حكمه لم يدم الا اربعة واربعين عاماً حسب بعض الاقوال .

ومع ذلك فالدولة فى عهده بلغت اوج خيلاتها وقد كانت مائه وعشرين ميلاً فى اطول اطوالها وستين ميلاً فى عرض اعراضها واقل من ذلك بكثير فى اغلب الاحيان وهو النبى الملك الذى استطاع ان يضع قواعد الدولة ولوانها كانت على حساب الاحتلال والاستعمار والسيطرة والاعتصاب والتدمير للشعوب العربية التى كانت تسكن ارض كنعان .

وقد قال الله عن داود فى الكتاب المقدس (المزامير) ان اكون له ابا وهو يكون لى ابنا كما

تقول المزامير على لسان داود وقال لى الله انت ابنى ، انا اليوم ولدتك وقد قال عنه القرآن الكريم
(واذكر عبدنا داود ذا الایة انه آوآب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشء والإشراق
، والطير محشورة كل له آوآب ، وشهدنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب) .

وفى سفر صموئيل الثانى وفى الاصحاح قبل الاخير يعدد اسماء الابطال الذين عاونوا
داود فى تنفيذ المهام الدنيوية . وكان بنو اسرائيل قد نصبوا داود ملكا عليهم جميعاً بعد أن كان
ملكاً على يهوذا فى اورشليم وسمع الفلسطينيون بالخبر ففتشوا عنه وبأدرهم داود بالحررق
فحاربهم ورسم له آله اسرائيل خطة الحرب ونفذها داود فضربهم داود من جيع الى مدخل جازر
(ص ١٧:٥-٢٥) وجمع داود بعد ذلك ثلاثين الفا من بنى اسرائيل انتخبهم الشعب وقادهم من مدينة
(بعله) ليحضروا تابوت العهد أو تابوت الله كما يقولون ، لكن جاء فى سفر اخبار اليوم الاول ان
داود جمع كل اسرائيل من شيحور مصر الى مدخل حماه ليأتوا بتابوت الله من قرية يعارنم ، ثم
يعود كاتب سفر اخبار الايام الاولى فيقول ان داود خرج لملاقاة الفلسطينيين وحاربهم بعد أن عرف
انهم يفتشون عنه لقتله فنفذ خطة الرب آله اسرائيل وهزمهم وضربهم من جيعون الى جازر . ويقول
سفر صموئيل الثانى ان داود كان ابن ثلاثين سنة حين ملك وملك اربعين سنة فى حبرون ملك على
يهوذا سبع سنين وستة اشهر وفى اورشاليم ملك ثلاثة وثلاثين سنة على جميع اسرائيل ويهوذا
وبذلك يكون مدة حكمه اربعون سنة وستة اشهر لا اربعون سنة فقط .

ويروى كل من سفر صموئيل الثانى وسفر اخبار الايام الاولى قصة حرب داود ضد
الفلسطينيين وقصة ضربه للموآبين وكذلك ضربه لملك صوبه . وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذلهم
واخذ داود زمام القصبه من يد الفلسطينيين وضرب الموآبين وصار الموآبين عبيداً لداود يقدمون له
الهدايا وضرب داود (غزر بن رحوب) ملك صوب حين ذهب لرد سلطته على نهر الفرات فأخذ داود
معه الفا وسبع منه فرس وعشرين الف راجل (مشاه) وعقرب داود جميع خيل المركبات وابقى
منها مائة مركبه فجاء آرام من دمشق لنجدة (هدد غزر) ملك صوبه فضرب داود من آرام اثنين
وعشرين الف رجل ومن (باطح وبيروتاى) مدينتى (هدد عزرا) اخذ داود نحاساً كثيراً جداً وبعد
ذلك ضرب داود الفلسطينيين واذ لهم واخذ مدينة جيت وقراها من يد الفلسطينيين وضرب موآب

فصار الموآبين عبيداً لداود يقدمون الهدايا وضرب حماه حيث ذهب ليقيم سلطانه عند نهر الفرات
واخذ داود منه الف مركبه وسبعة الاف فارس وعشرون الف راجل واستولى داود على الف مركبه
كفنيمة .

وسمع توعى ملك حماه ان داود ضرب كل جيش (هدد غزر) فأرسل توعى " أرام ابته "
يسأل عن سلامته وبياركه لأنه حارب (هدد غزر) وضربه لأن هدد غزر كان له حرب مع توعى
وكانت بيده أنيه فضه وأنيه ذهب وأنيه نحاس . وهذه قدمها داود الملك للرب مع الفضه والذهب الذى
قدسه من جميع الشعوب الذين اخضعهم من ارام وهى موآب ومن بنى عمون ومن الفلسطينيين وملك
داود على جميع اسرائيل وكان داود يجرى قضاء وعدلا لكل شعبه وكان يوآب بن حرويه على الجيش
ويهوشا فاط بن اخيلوا ومسجلا وصانوف بن اخيطوب واقيعا لك بن ابيا ثار كاهنين وسوايا كاتباً
للمزامير .

ويروى العهد القديم قصة الحرب بين داود ملك اسرائيل وبين بنى عمون فى سفر صموئيل
الثانى وكذلك فى سفر اخبار الايام الاول ويقول العهد القديم ان بنى عمون استأجروا محاربين
ليكسروا بها جيش داود وشوكته وما كان من داود إلا أن ارسل لهم جيشاً على رأسه موآب الفارس
المفوار فدحروهم وهربوا من امامه وهرب ارام من امام الاسرائيلين وقتل داود من ارام مئة مركب
واربعين الف فارس وضرب شويل رئيس جيشه فمات هناك ويمجد بنو اسرائيل ابطالهم ويرون
سيرهم فى كتبهم المقدسة .

ولقد كان العمل الذى قام به شاول من توحيد بنى اسرائيل بجميع قبائلهم تحت قيادته
سبباً فى نجاح داود فى توطيد حكمه لاسيما ان داود قد ساعده رجل الدين ووثق وحدة القبائل
الاسرائيلية المتنافرة لانه هو الذى قتل جالوت فبث هيئته فى نفوس الناس وخضعوا له وقد ساعد
داود على تحقيق النجاح ان الاسرائيليين فى عهده عرفوا صناعة الحديد وبذلك استطاعوا ان
يوطنوا نفوذهم فى منطقة فلسطين فسيطروا على بلاد آنوم . وهى غنية بالحديد واستطاعوا ان
يضيفوا صناعات حربية متنوعة لاسيما أن سلطان الفلسطينيين كان قد بدأ فى الضعف مما جعل
داود ينتصر عليهم وعلى غيرهم من سكان فلسطين .

وكذلك انتصر داود على الملك الارامى واستولى على مناجم النحاس فى ارضه واستفاد سليمان بكل ذلك من بعده ولقد ساعد داود على تحقيق نجاحه السياسى والحربى هو نزعته الدينية فهى التى جمعت حوله بنى اسرائيل ونجح فى القضاء على الهه الامم الوثنيه المجاورة فقضى على هذه العبادات وجعل العبادة لآله يهوه ووسع حدود مملكته فشملت ما بين اراضى فنيقيه غرباً والمصحراء العربية شرقاً وامتدت الى رأس خليج العقبة وهى اقصى ما وصلت إليه دولة اسرائيل وكان هذا التوسع على حساب الكنعانيين لأنهم كانوا اصحاب الارض الشرعيين وكانوا اكبر مجموعة سكانيه تعيش فى فلسطين فى عهد داود وقبله وكذلك كانت السيطرة على حساب الفلسطينيين الذين كانوا يملكون الشريط الخصيب على ساحل البحر المتوسط وكان اليبوسيون الى الشمال من مملكة داود قد اتخذوا من بيت المقدس عاصمة لهم وكان لهم اكبر معبد بها وهى عاصمة مقدسة لهم لكن داود استطاع ان ينتصر عليهم وان يجعلها عاصمة للكهنة وبنى بها لأول مرة فى تاريخ الاسرائيليين معبداً لهم وكانوا قبل ذلك يتخذون معبدهم فى خيمه حيث كانوا يجتمعون بها ولكن داود فى هذا المعبد كان يحفظ التابوت والخيمه وما تبقى من الواح موسى وقد ساعد اتخاذ اورشليم عاصمة وبناء المعبد على جذب الاسباط وعمل على وحدتهم الوطنية وقوى من تماسكهم وكان حول داود عدد من القسس واللاوين وقد شهد عصره ظهور مزامير داود وهى الاناشيد المقدسة وهى مجموعة الان فى سفر المزامير وبعضها منقول بنصه من تسابيح اخناتون التى كان يتوسل بها الى الشمس .

وهكذا فإن مساعدة رجال الدين لداود فى حربه ضد الكنعانيين حتى بسط نفوذه على ييبوس ، بيت المقدس وكذلك السيطرة على الشعب الفلسطينى القوى الذى كان يقطن منطقة الساحل ثم غيرهم من الشعوب الأخرى التى خضعت بالقوة لنفوذ داود وبذلك يكون داود وعهده الذى دام اربعين عاماً ويضعة أشهر هو أول كيان سياسى اسرائيلى نستطيع أن نعترف به تاريخياً إلا أن ذلك كان نوعاً من الاحتلال والسيطرة واغتصاب الارض من اصحابها الشرعيين الكنعانيين واليبوسيين والارامين والامويون والفلسطينيين وغيرهم من الشعوب الأخرى التى عمل على القضاء على الهتهم والاكتفاء بعبادة آله يهوذا وكل ذلك كان بتشجيع من الكهنة الذين

التفوا حوله ودعوا له بين الشعوب المختلفة التى قبل بعضاً منها اعتناق العقيدة الاسرائيلية
العبرانية بل اليهودية .

وبذلك اختلطت هذه الشعوب بالزواج والمصاهرة والاختلاط مع الشعب الاسرائيلي القليل
العدد والذي كان عدده عند دخول موسى وقومه الى سيناء لايزد عن خمسة الاف وخمسمائة فرد
وبذلك تكونت القاعدة اليهودية الواسعة فى كنعان من اختلاط انساب وشعوب مختلفة وامنت
باليهودية منذ الاف قبل الميلاد بل قبل ذلك بكثير عندما خرج بعض المصريين الذين آمنوا برب
موسى وصاروا يهوداً مثلهم .

ومن هؤلاء رئيس الثلاثة فى عهد داود وكان داود قد امر باحصاء اسرائيل ويهوذا سواء
اكان هذا بأمر الله أو بأمر الشيطان وكان يوأب هو المنفذ لهذا الامر وكعادتهم اختلفوا فى عدد
رؤسائهم حسب النصوص ، فدفع يوأب جملة عدد الشعب الى الملك داود فكان اسرائيل ثمان مائة
رجل ذى باس . مستلى السيف ورجال يهوذا خمس مئة الف رجل (ارقام مبالغه) ودفع يوأب جملة
عدد الشعب الى داود فكان كل اسرائيل الف الف (مليون) (مبالغ فيه) ومنه الف مستلى السيف
ويهوذا اربع مئة وسبعين الف رجل مستلى السيف .

لاحظ هنا ان عقدة الاسرائيلين فى كل العصور هى المبالغة فى كثرة العدد والتعداد وذلك
لاحساسهم انهم قليلى العدد فليس من المعقول ان يصل عدد الذين خرجوا مع موسى من مصر
عام ١٢٢٤ ق.م ثم تاهوا فى سيناء اربعين عاماً ثم وصلوا فى فلسطين ارض كنعان على يد يشوع
بن نون عام ١١٨٤ ق.م ان يصل العدد ٥٠٠ , ٥ خمسة الاف وخمسمائة بعد ١١٨٤ ق.م تاريخ الدخول
وتأسس مملكة داود عام ١٠٠٠ ق.م ان يصل هذا العدد الى مليون شخص إلا إذا كان داخل هذا
العدد كل الشعوب التى انطوت تحت سيطرة داود ودخلت بالقوة فى الكيان السياسى وبذلك لا تكون
هناك شعوب يهودية بل شعوب واخلاطاً مختلفة من كل الشعوب التى كانت تسكن بولة داود .

ومما سبق يتضح ان الفارق فى عدد رجال اسرائيل هو ثلثمائة الف رجل أو الفارق بين
رجال يهوذا ثلاثون الف رجل . وهى اعداد ضخمة لا يمكن اغفالها ، وبذكر العهد القديم ، انه لما
قام داود صباحاً كان كلام الرب الى جاد النبى رانى داود قائلاً : اذهب وقل لداود هكذا قال الرب

ثلاثة انا عارض عليك ، فاختر لنفسك واحد منها ما فعله بك فاتى جاد الى داود واخبره وقال له
تأتى عليك سبع سنين جوع فى ارضك ام تهرب ثلاثة اشهر امام اعدائك وهم يتبعونك ام يكون
ثلاثة ايام وباقى ارضك فلكم الرب جاد ورأى داود وقال اذهب وكلم داود قائلاً هكذا قال الرب
وثلاثة انا عارض عليك فاختر لنفسك واحداً منها فافعله بك فجاء جاد الى داود وقال له وهكذا قال
الرب اقبل لنفسك ، اما ثلاث سنوات جوع أو ثلاثة اشهر هلاك .

ويأتى سليمان بن داود بعد أبيه داود عام ٩٦٠ ق.م ويأخذ على عاتقه بناء الهيكل المقدس فى
مدينة اورشليم ويضع سليمان توراة موسى الحقيقة مع اللوحين فى تابوت العهد ويرى (جير سمان)
انه عندما اخذ العبرانيون باسباب المدينة فى حكم سليمان وحلفائه يتطلعون بخاصة الى مصر
وبابل لتعلم فنون الحياة ولا غرابه ان كان الكاتب الملكى مثل حزقيال شيبيا ، عبدا اجنبياً ذا تربيته
عاليه وكان فى قدرته ان ينصح الملك من كتبه وتجاربه فيما يتعلق بشئون العالم العظيم وكان فى
وسعه كذلك ان يتكلم ويقرأ لغة السياسة التى كانت فى هذا العصر (اللغة الاراميه) ومن المعروف ان
داود وابنه سليمان من سبط يهوذا .

وقد بلغت فترة حكم سليمان بن داود ثلاث وثلاثين عاماً (٩٦٠-٩٢٧ ق.م) وكانت مصر واشور
فى حالة اضطراب مما ساعده على البلوغ بملكته اوج ازدهارها . وكان قد بدأ حكمه بقتل اخيه
الاكبر (اودينا) وقتل يوا ب قائد جيش ابيه الذى حقق الكثير من الانتصارات على يديه ، ولقد كان
اهتمامه بالتجارة الخارجية والصناعة والتعدين والبناء والتعمير من عوامل عيشة البذخ والاسراف
على غرار ملوك مصر واشور واسرف فى بناء قصره الذى استغرق بناؤه ثلاثة عشر عاماً واشتهر
كذلك ببناء المعبد المشهور باسم (هيكل سليمان) الذى استغرق بناؤه سبع سنين وقد اتضحت فى
بنائه الرمزية الكنعانية واتم بناء الحصون والقلاع والثكنات وأنشأ بمساعدة صديقه (حيرام) ملك
صور اسطولاً من السفن التجارية فى البحر الاحمر واتخذ من مصاهرة (مصر) والدول المجاورة
سبيلاً الى الاستقرار ، لكن نشاط التجار والمرايين والعمال المتعطلين زاد من الفساد الاجتماعى
والسياسى مما ساعد على نشاط الاعداء فاستعانوا بعض البقاع التى كانت خاضعة لآبيه وانكمش
ملكه فى أواخر عهده فاقصر على غرب الاردن .

وكان سليمان قد تولى الحكم فى بلد مستقر وبعيد عن الاضطرابات فتفرغ شعب اسرائيل للتعبد بعد اقامة الهيكل ويكون الرب مذكوراً فى اسرائيل وازداد اتساع الدولة فى عهده اتساعاً . ومن ثم تحقق ميثاق الله لابراهيم فى ميراث الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات وللابد يعود مرة ثانية ، وازدهرت مدينة ييوس التى اطلق عليها بعدئذ اسم اورشليم .

وكان الهيكل الذى تم بناؤه جميلاً فى البقعة نفسها والمعتقد ان مذبغ سليمان امام الهيكل قد وضع فوق الصخره التى بنى داود عليها مذبحاً ايضاً حيث كان جده الاعلى (بعد أن سلبوا الارض من اصحابها الشرعيين) قد بنى مذبحاً فى غده خلت ودعا ابراهيم ذلك الموضع بهوه ومن ثم فإن تنزيل النصر الذى ايد الله به عبده داود وسليمان كان بمثابة اشراقة لشعوب الارض الا ان بنى اسرائيل تبدلوا وتغيروا والهتهم دنياهم عن اخرتهم وقد اتسعت الدولة فى عهد سليمان بعد ان بلغت الذروة فى الشهرة حتى ان ملكة سبأ تجشمت الاسفار لترى بعينيها الامجاد التى بلغها سليمان . لكنهم بعد ان ازدهرت الدنيا لهم تحولوا عن الله فسلط الله عليهم من لا يخافه ولا يرحمهم فتعرضوا لغزو الكلدانيين الذين دمروا هيكل سليمان تدميراً ونستطيع القول أن وعد الله لابراهيم قد تحقق فى سيادة مملكة داود وسليمان فقط .

وتقول التوراة ان بنى اسرائيل لما خالفوا امر الله وامر تشريعه وعبدوا الهه متعددة غير الله مزق الله ملكهم وسلط عليهم من اذلهم ولم يبق تابعاً لبني داود سوى سبط يهوذا وحده . وكان داود قد تزوج سيدة حيثيه وكان نتاج هذا الزواج ابنه سليمان عليه السلام الذى تولى الملك بعد أبيه وتحكى التوراة انه قد تمت مصاهره بين سليمان وفرعون مصر كما تزوج نساء اخريات غريبات الى جانب بنت فرعون والناس على دين ملوكهم وتسجل التوراة هذه الاحداث عن مصاهرة وامتزاج الشعوب التى قام بنى اسرائيل بالسكنى معهم فى اواسط الكنعانيين واعطوا بناتهم لبنينهم وعبدوا الهتهم وهكذا ازداد عدد من اعتنقوا اليهودية .

وقد رأى اليهود الذين ساكنوا نساء اشدوديات (مدينة اشدود) وعمونيات وموابيات ونطق الكلام بينهم باللسان الاشدودى ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى العبرى بل بلسان شعب وشعب وهكذا اصبحت ارض فلسطين مسرحاً لمختلف اللغات واللهجات .

وكان داود قد ولد فى مدينة بيت لحم . وكانت مملكة داود وسليمان تشمل النقيب وادوم ومؤاب وعمون وجلعاد وكان سليمان متسلطاً على جميع الممالك من النهر الى ارض فلسطين وتخوم مصر ولكن مملكة داود وسليمان لم تدم اكثر من ٧٢ ثلاثة وسبعين عاماً .

وفى زمن داود كانت زوجته تحتفظ بتمثيل على صورة البشر وترمز بها الى الله فلما جاء شاول ليقول داود عليه السلام وجد الترانيم ولم يجد داود الذى اوعزت اليه زوجة ميكال بنت شاول بالهرب من وجه ابيها .

وتقول التوراة ان الله قد تولى عن شاول واختار داود ملكاً عوضاً عنه وكان داود يزداد روعه وانتصاراً بينما يتناقص شاول . ويكون تسلسل الاجيال من ابراهيم الى داود اربعة عشر جيلاً حيث أن داود ينسب الى يهود بن يعقوب ومن داود الذى سبى بابل اربعة عشر جيلاً ومن سبى بابل الى المسيح عليه السلام اربعة عشر جيلاً .

وكما سبق القول فإن حكم داود كله اربعين عاماً وعدة شهور وكان الزمان الذى ملك فيه داود على اسرائيل اربعين سنة فى حبرون ملك سبع سنوات وفى اورشليم ثلاث وثلاثين سنة وجلس سليمان على كرسى ابيه داود وثبت خلفه .

وكان الهيكل الذى اتم فى عهد سليمان القبله المقدسة لكل يهودى وفى الهيكل رفع سليمان دعاءه الى الله . وكان الهيكل هذا تابوت عهد الرب وكان فى تابوت عهد الرب لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك فى حوريب حين عاهد الرب بنى اسرائيل عند خروجهم من مصر ونسب التوراة الى سليمان انه اخطأ ولهذا قال الرب لسليمان من اجل ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائض التى اوصيتك بها فانى امزق المملكة عنك تمزيقاً واعطيها لعبدك ، وقد اعطى (يربعام) عشرة اسباط قائلاً (هاانذا امزق المملكة من يد سليمان واعطيك عشرة اسباط ويكون له سبط واحد من اجل عبدى داود ومن اجل اورشليم المدينة التى اخذتها من كل اسباط اسرائيل لانهم تركونى وسجدوا لعشتورت إله الصيادين ولكموش إله الموابين وللكرم إله بنى عمون وعلم سليمان بقضاء الله فازداد مقتاً وحقدًا وطلب سليمان قتل (يربعام) فقام (يربعام) وهرب الى مصر ، الى شيشنق ملك مصر وكان فى مصر الى وفاة سليمان . وبعد وفاة سليمان عام ١٩٢٥ أو ٩٢٧ ق.م تفسخت المملكة

وانقسمت على نفسها الى بلدين متعادين وذلك لأن اليهود لم يستمروا فى الاحتفاظ بوحدهم القومية أو كيانهم السياسى فى ظل دولة يهودية واحدة ردحا طويلاً من الزمان فكانت وفاة سليمان سبباً فى انقسام المملكة الى دولتين وقد كانت فترة حكم سليمان سبباً فى بداية دخول اليهودية الى اليمن بعد دخول بلقيس ملكة سبأ فى دين سليمان ثم انتشرت اليهودية فى عهد الدولة الحميرية وكان سليمان معاصراً لمملكة بلقيس ملكة سبأ التى حكى عنها القرآن الكريم وقصتها مفصلة فى سورة النمل (قالت رب انه يظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) .

وهكذا لم يكن لليهود استقرار فى فلسطين إلا فترة وجيزة كما سبق الإشارة إليها بأنها لاتزيد عن ثلاثة وسبعين عاماً وهى فترة قليلة جداً اذا قيست بالقرون الكثيرة التى استوطن فيها العرب فلسطين من عهد الكنعانيين منذ اربعة الاف سنة قبل الميلاد . وهكذا كان داود ومن بعده ابنته سليمان قد استطاعا توسيع مملكة اسرائيل حتى امتدت اراضى اسرائيل من دان فى الشمال الى بير سبع فى الجنوب واتخذت من ييوس عاصمة لها بعد أن تحول اسمها الى اورشليم Jerous choulaim أى مدينة السلام . غير أن الدولة التى لم تصل فقط أو بالكاد الى الساحل لم تلبث أن انشطرت بعد خليفته سليمان صاحب الهيكل الى مملكتين متعادتين متحاربتين .

وفى ظل حكم داود وابنه سليمان استفاد اليهود من حضارة كنعان وغيرها من الحضارات العربية واثّر ذلك على اليهود حيث اختلط بنو اسرائيل بالكنعانيين فاشتغلوا بالزراعة وتعلموا منهم فنونها وكانت الالهة السابقة لبنى اسرائيل كلها الهة رعاة تسقط الامطار وتنبت الكلا ولم يكن لهم اعياد تتناسب ومواسم الزراعة وهذا التأثير الزراعى لاشك منبعه التأثير التجارى الحضارى اذ جعل بنى اسرائيل يستفيدون مما وصلت إليه كنعان من حضاره وهى اعلى كثيراً مما كانت عليه اليهود .

ويذكر احمد عفيفى فى رسالته للمجاستير عن عاموس النبى . كلية اداب عين شمس ص ٥٨ يتحدث عن مدى تأثر اليهود بالكنعانيين وهى ان تتدرج اسرائيل منذ أيام داود وسليمان من نظام اقتصادى بدوى قديم الى نظام زراعى وتجارى كان نتيجة تأثر شديد بالكنعانيين بل وبارشادهم حتى أن " يوشع " اجاد التعبير عن تأثر الاسرائيلين بالكنعانيين حتى انه يشبه افرايم اليهودى بالكنعانيين .

كذلك كان الاراميون لهم دور كبير حيث كانت التجارة فى عصر الملك سليمان فى ايديهم حيث كانت ارام تقيم اسواقا فى اسرائيل لأن اليهود لم يكونوا قد بلغوا شأنًا كبيراً فى الناحية التجارية فكانت هذه الاسواق بمثابة معارض أو معاهد لليهود يتعلمون فيها فنون التجارة وقد شهد عصر الملك سليمان نشاطاً تجارياً واسع النطاق فى الداخل والخارج على شكل اسواق ومعاهدات فقد عقد الملك سليمان عدة معاهدات مع مصر وسبأ وأرام وعلى اثر ذلك أصبحت اورشليم ايام سليمان من انشط الاسواق التجارية فى الشرق الادنى وحافظ سليمان على ما أنشأه ابيه داود من صلات وديه مع حيرام ملك صور وشجع التجار الفنيقيين على ان يسيروا قوافلهم التجارية عبر ارض فلسطين وازدهرت فى ايامه تجارة رابحه قوامها استبدال مصنوعات صور وصيدا بغلات اسرائيل الزراعية وأنشأ اسطولاً تجارياً فى البحر الاحمر واغرى حيرام على أن تستخدم هذا الطريق الجديد بدل طريق مصر فى تجارته مع بلاد العرب وافريقيه .

ولم يكن عند اليهود حتى عصر سليمان شئ من الصناعات غير صناعتى الخزف والحديد وكانت الغالبية العظمى من الشعب منصرفه الى تربية الضأن والماشية وزراعة الكروم والزيتون والتين وكان اغلب معيشتهم فى الخيام لا البيوت المبنية . وكانت التجارة فى عصر سليمان فى ايدي الفنيقيين وكانوا هم الذين يقومون بالتصدير والاستيراد وكذلك فإن القائمين ببناء السفن كانوا من اهل صور وصيدا وكل مظاهر التجارة فى اسرائيل كانت فى ايدي الاجانب وذلك لأن الملك سليمان انشأ احياء خاصة للتجار الاجانب ليقموا فيها كما انشأ المعابد للاجانب ليباشروا فيها شئونهم الدينية ، كما أن الاثوميين كانوا على وفاق مع سليمان إلا أنهم ثاروا على اليهود بعد موته فقطعوا طرق القوافل فضعفت تجارة اسرائيل وظل الاثوميون يقومون هم بنقل البضائع ويستفيدون من مركزهم حتى استولى عليهم الاراميون وكان سليمان قد عقد حلفاً مع حيرام ملك صور بصفة شركاء وليس لهم ان يدبروا التجارة وكانت التجارة مع مصر تجارية خارجية وكانت مصر تصدر الخيول فلما مات سليمان هبطت التجارة بينهما كما ان الشعب الاسرائيلى لم يكن قد بلغ شأناً فى الصناعة بينما كان الفلسطينيون هم الذين يقومون بها وخاصة صناعة النسيج وكان جهل الاسرائيلين بالصناعة سبباً فى خفض حركة التجارة .

وكان سبب غنى سليمان نتيجة فرض الضرائب على القوافل المارة بإسرائيل كما أن المعاهدة والمعاملات التي قامت بين سبأ والملك سليمان لم تدم طويلاً إذ أنها ضعفت بعد موت سليمان ولم تكن التجارة البحرية ناجحة وذلك لأن الفلسطينيين كانوا على الساحل ولم يكن لليهود ميناء بحرى فى ذلك العصر ، كما أن عهد داود وسليمان قد شهد تغير اقتصادى واجتماعى بعد أن سكن اليهود كنعان وتحول الاسرائيليون من رعاة الى زراع دائمين .

كما انه قد حدث تغير عظيم منذ أن أصبح سليمان وقبله داود ملكين على بعض اجزاء من فلسطين وبدأ عهد جديد فى الادارة والتنظيم وبدأوا يشتغلون بالتجارة وقد كانت كل قبيلة قبل ذلك تعيش من انتاجها الزراعى وما تنتجه من الرعى.

ثم كان عهد الملك سليمان وتطلعه الى حياة فاخرة مقلدا المصريين والكنعانيين والفنيقيين قد ساعد على ان يصبح له موظفين ومديرين والعمال الذين جلبهم وتحول الاسرائيلين للأخذ بالحضارة.

بل أننا نجد الكتاب المقدس نفسه يعترف صراحة بأن هيكل سليمان وهو اقوى واقدس المشاريع الفنية فى التاريخ اليهودى كله كان عملاً فنياً من المهندس (حورام) الصورى الذى احضر العمال من النجارين والحجارين والبنائين ، بل ان سليمان نفسه عندما اراد ان يدخل شعبه فى مضمار التجارة دخل فى البحر الابيض المتوسط شريكاً للفنيين وفى البحر الاحمر شريكاً لمملكة سبأ .

وما كان يستطيع ان يجد من قومه من يخلق لمملكته تجارة من العدم وهكذا عجز الرجل الذى فهم منطق الطير وركب بساط الريح وسخر الجن عن ان يسخر للنهضة التجارية والصناعية خيراً من بنى اسرائيل . وكان بنى اسرائيل فى عهد التقدم الحضارى من حولهم يهيمنون على هامش هذه الامبراطوريات المتحضرة الفنيقيون والاراميون ، حيث من المعروف ان الفنيقيون قد وصلوا الى صقلية وتونس وجنوه ومرسلية وبرشلونة (اسبانيا) وطنجه وعبرت تجارتهم مضيق جبل طارق الى انجلترا وايرلندا وسواحل النرويج .

وكان الاراميون فى سوريا والعرب فى شبه الجزيرة يمثلون التجارة البريه امتداد للخطوط البحرية الفينيقية وكانت محطات القوافل فى بلادهم نشيطة نشاط الموانئ ، كان الاراميون ينقلون التجارة عبر القارة الآسيوية كلها من الشام وأسيا الصغرى الى العراق وايران والهند والصين وكوريا وكانت قوافل العرب تأخذ حموله السفن من عدن الى فلسطين وسوريا والعراق وتركيا ومصر والتوراة تذكر ان القافلة التى التقطت سيدنا يوسف من الجب الذى رماه فيه اخوته كانت عربية

اسماعيليه اى من ابناء اسماعيل من ابراهيم وكانت تحمل البخور والعطور والتوابل وغيرها من البضائع الى مصر حيث باعت يوسف هناك ، لكن على الجانب الآخر كان بنى اسرائيل يعملون رعاة ويقيمون فى الخيام واستمر ذلك اجيالاً طويلة من تاريخهم .

ولقد كانت الصناعة فى كنعان متقدمة تقدماً كبيراً وكان لذلك اثر ملحوظ على قيام الصناعات والحرف عند اليهود ونشأ عن ذلك ظهور عدد كبير من اصحاب الحرف وذلك على غرار ما كان فى كنعان ومن ثم فقد تأثر بنى اسرائيل بالكنعانيين تأثراً كبيراً .

ولقد كان العلو مشهوداً فى عهد سليمان ومن قبله داود ابيه حيث بلغ اوج ذروته فى عهد سليمان الذى بنى الهيكل وجعله حرماً لتعبد بنى اسرائيل وكان بناؤه على شاكلته يمثل اعجازاً هندسياً ومعمارياً فى ذلك الوقت (وقد ورد وصف الهيكل فى سفر اخبار الايام الثانى الاصحاح الثالث والخامس) ويقال ان مزامير داود قد كتبها غير داود ومنهم من تأثر بالادب المصرى القديم ويتضح انها نقلت من نشيد اخناتون ومن كتاب امثحوبى وهكذا كان التأثر المصرى واضحاً وخصوصاً الفيلسوف (امثحوبى) وهناك مزامير يقال انها من تأليف سليمان وهى ١٢٧،٧٣ . كما يبدأ الاصحاح الخامس والعشرون من سفر الامثال بقوله هذه ايضا امثال سليمان التى نقلها رجال حزقيا ملك يهوذا وهذا يدل على أن سليمان لم يكتب هذه الامثال بنفسه .

وتقول التوراة عن سليمان الحكيم ابن داود وهو صاحب سفر الامثال ، يقول الكتاب المقدس ان سليمان الذى بنى الهيكل كان عبداً لشهواته وشهوات نساؤه الكثيرات وكان يلبى كل طلباتهن فى انه عبد الاصنام من اجل عيونهم واحب سليمان نساء غريبه كثيرة مع بنت فرعون مصر من كل الامم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل لاتدخلوا اليهم وهم لا يدخلون اليكم وتقول التوراة ان سليمان كان محباً للنساء ويكمل الكتاب المقدس الصورة فيقول والتصق سليمان بهؤلاء بالمحبه وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاثة مائه من السراري وذهب سليمان وراء عشتورت الهه الصيدونين وملكوم وجس العمونيين وان سليمان لم يتبع الرب تماماً كداود ابيه ، لكن الكتاب المقدس يقول عن سليمان يبنى بيتاً لاسمى (اسم الرب) وهو يكون لى ابناء انا له اب واثبت كرسى ملكه على اسرائيل للابد ، وهل كان سليمان عبداً صالحاً ام يجرى وراء شهواته ، ويضع المعابد للاصنام وهل الذى يبنى الهيكل لبنى اسرائيل هو نفسه الذى يبنى المعابد الوثنية وإذا كان سليمان يصنع المعابد للاصنام ويجرى وراء شهواته فلماذا اعاد الكتاب المقدس فقال عنه ان الله اتخذه ولداً وانه يثبت كرسى ملكه الى الابد .

ولكن نأخذ باعتبارنا مسلمين بما جاء بالقرآن الكريم (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد
انه اواب) . ويرى القرآن الكريم ان سليمان كان نبياً صالحاً وكان رسول كريماً يدعو لدين الله
بقوه ولا يخشى شيئاً الاوجه ربه الاعلى فيقول القرآن الكريم ان سليمان ارسل رسالة للملكة سبأ
يقول فيها (انه من سليمان) وانه بسم الله الرحمن الرحيم . (لا تعلو علو واتوهم مسلمين)
وهذا يعنى ان سليمان ليس ذلك الذى يجرى وراء شهواته ولكنه يدافع عن دين الله الواحد . دين
الاسلام بقوة وحكمه .

ويقول الكتاب المقدس فى الاصحاح الاول من تشييد الانشاد ان مؤلف هذا النشيد هو
سليمان بن داود الذى شيّد الهيكل وبناءه ولكن ليس سليمان الذى يقول هذه الاشعار الجنسية
الفاضحة التى يتغزل بها ولقد كان لسليمان اثنا عشر الف فارس واربعة الاف اُخيل ومركبات ،
وكان له ايضاً سبعون الف يحملون احمالا وثمانون الف يقطعون فى الجبل ما عدا رؤساء الوكلاء
لسليمان الذين على العمل ، ثلاثة الاف وثلاث مئة المتسلطين على الشعب العاملين العمل . وأمر
سليمان ببناء بيت لاسم الرب وبيت للملكة واحصى سليمان الف رجل حمال وثمانين الف رجل نحات
فى الجبل ووكلاء عليهم ثلاثة الاف وست مئة (وتصف كتب العهد القديم هيكل سليمان من الداخل
والخارج ويعد وصف البحر المسبوك والاثنى عشر نورا المصنوعة من النحاس المتجهين للشمال
والغرب والشرق والجنوب ثلاثة فى كل اتجاه ويضعون شكل كل نور وحجمه .

وهكذا تكون فترة حكم داود وابنه سليمان التى دامت ثلاثة وسبعين عاماً (١٠٠٠-٩٢٧ ق.م)
قد شهدت توحيد بنى اسرائيل وتوسع ارجاء المملكة ودخول شعوب وقبائل عديدة فى الكيان
الاسرائيلى وبعضاً من هذه الشعوب قد اعتنق الدين اليهودى لاسيما ان الدولة المسيطرة على هذه
الشعوب وهذه الاراضى الواسعة تتخذ الدين اليهودى عقيدة لها ، لكن فترة التوسع هذه لم تدم
طويله الا فى فترة حكم سليمان بن داود (٩٦٠-٩٢٦ ق.م) وهكذا لم يدم الاتحاد الاسرائيلى والقوة
فترة طويله فكما عاشوا فترة طويلة منذ دخول يشوع بهم ارض كنعان ثم تفرقوا شيعة واحزابا
وقبائل فى عصر القضاة حتى قام الكاهن صموئيل باختيار شاول ملكا لهم لكنه الصراع دار بينه
وبين داود حتى استطاع داود ان يسيطر عليه وعلى الامور عام ١٠٠٤ ق.م ثم يدخل مدينة ييبوس
(القدس) فى ١٠٠٠ ق.م وتقوم مملكة بنى اسرائيل على الاغتصاب والاحتلال والسيطرة على
الشعوب المتعددة التى هى جميعها من اصول عربية وهم اصحاب الارض والديار ولاسيما الكنعانيين
الذين هم اكبر واشهر هذه القبائل ثم بعدهم الاراميون والجميع كانوا عرباً من جزيرة العرب .

الفصل الثامن

انقسام المملكة الاسرائيلية وبداية الانهيار

(٩٢٧ ق.م)

بعد وفاة سليمان بن داود في عام ٩٢٧ أو ٩٢٥ ق.م بعد أن حكم ثلاث وثلاثين عاماً أو خمس وثلاثين عاماً فقد آلت الأمور إلى ابنه (رحيعام بن سليمان) وقد تضاربت الأقوال حوله وانقسم الاسرائيليون على أنفسهم وقامت أثر ذلك دولتان أحدهما في مدينة نابلس باسم اسرائيل والثانية في مدينة القدس وعرفت بدولة يهوذا أو اليهودية ولم يكن نفوذ هاتين الدولتين شاملاً أرجاء واسعة من فلسطين بل اقتصر على هاتين المدينتين وما جاورهما من قرى وفضلاً عن ذلك فقد نشب بين الدولتين نزاع طويل وقعت خلاله حوادث القتال والحرب التي أفاضت التوراة في ذكرها عن اليهود أنفسهم كما نشب قتال بين هاتين الدولتين وبين الكنعانيين تارة وبينهم وبين الفلسطينيين على الساخر تارة أخرى حتى غدت البلاد في ذلك العهد مسرحاً للفوضى والاضطراب .

وكانت مملكة يهوذا جنوباً (المملكة الجنوبية) في هضبة يهودية وتضم قبيلتي (اسباط) يهوذا وبنيامين أما المملكة الشمالية من مملكة اسرائيل في السامرة وتضم الاسباط (القبائل) العشرة الثانية وهم مثل (روبين ، شمعون ، لاوي ، يساكر ، زبولون ، جاد ، اشير ، يوسف ، دان ، نفتالي) وقد استمرت المملكتان على هذا الانقسام واشتعلت نيران الفتنة والتنازع بين ملوكها .

وهكذا كان النزاع الشديد بين المدن والريف بعد وفاة سليمان والذي يصيب عادة النشاط التجاري والصناعي من عوامل انقسام الدولة إلى قسمين (يهوذا) تحت حكم (رحيعام بن سليمان) الذي لم يستطع بسبب بطشه جمع شمل البلاد واتخذ عاصمته مدينة (اورشليم) أما المملكة الثانية اسرائيل فكانت تحت حكم (بريعام) من سبط افرايم ، الذي اتخذ عاصمة دولته مدينة (السامرة) في الشمال وذلك عام ٩٢٢ ق.م بعد استقلاله عن المملكة (يهوذا) بعد نزاع مع (رحيعام) دام خمس سنوات (٩٢٧-٩٢٢ ق.م) .

وقد كان سبب الخلاف هو اختلاف فى العقيدة وتطبيقها . اضافة الى أن تلك المملكة الصغيرة التى انقسمت الى دولتين قد دخلتا فى صراع طويل مع غيرهما من القبائل المجاورة وكذلك الصراع فى الداخل مع الشعوب التى رأت فى الانقسام متنفساً لها لكى تخرج من طوع الادارة اليهودية وكان رحيعام بن سليمان قد ورث تركه مثقله بالآثام والخطيئة مما اضعف شوكة اليهود بعد ان كانت المملكة قد بلغت الذروة فى الشهرة حتى ان ملكة سبأ تجشمت الاسفار لتروى بعينها الامجاد التى بلغها سليمان ولم تقو الملكتان على الاحتفاظ بالسيادة والسلطان وفى هذا تأكيد للانذار الإلهى على لسان موسى عليه السلام (اذا ولدتُم اولاد واولاد اولاد واطلتم الزمان فى الارض وفسدتُم وخضتُم وصنعتُم تمثالاً منحوتاً صورة شئ ما وفعلتُم الشرفى عينى الرب الهكم لإغاظته اشهد عليكم السماء والارض انكم تبيدون سريعاً عن الارض التى انتم عابرون الاردن اليها لتملكوها لا تطيلون الايام عليها بل تهلكون لامحالة .

وبدلاً من أن يهجر نصفاً المملكة أو الملكتان اللتان انقسمت اليهما مملكة سليمان خطايا هما استمرتتا فى اثمهما وفى الانهماك فى جميع ضروب الخطيئة وعبادة الاوثان وهذه الشرور اقتحمت الهيكل اخيراً . وتبدت فى طقوس دينية سرية خبيثة ، كل هذا فى البقعة نفسها التى كان ابراهيم فيها قد استمع الى كلمات الله وحيث كان داود قد رأى الملاك المنتقم معلناً سيفه فوق القدس وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلىن وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل وعيروا بنيتهم وبناتهم فى النار وعرفوا عرافه وتفاعلوا وباعوا انفسهم لعمل الشر فى عينى الرب لاغاظته فغضب الرب على اسرائيل ونحاهم من امامه .

واجتاحت فلسطين بعد ذلك موجات من الغزو واستمرت حتى الفتح العربى لها ، فقد سار شيشنق فرعون مصر فى عهد الاسرة الفرعونية الثانية والعشرين (٩٥٠-٧٢٠ ق.م) وغزاها وقوج عميله (بريعام) ملكاً على اسرائيل وابقى رحيعام ملكاً على يهوذا ، وكان بريعام قد هرب من فلسطين فى عهد سليمان ولم يعد اليها الا بعد وفاة سليمان وفى ظل قوات شيشنق حاكم مصر النوبى واصبحت مملكة يهوذا نهباً مقسماً بين حكومتى مصر وبابل وكلما انحازوا لجهة غضبت عليهم الجهة الاخرى واسرعت تصب جام غضبها عليهم فان احازوا لاشور مستعيناً بملكها (نقلث

فلاس) ثم ندم وعصاه واتجه يحتّمى بالمصريين الامر الذى سبب غضب سنحاريب وادى الى حروب طاحنه بين الفريقين ، وفى عهد " صدقيا " ايضاً انحازت مملكة يهوذا الى ملوك مصر ولما صارت كلمة بابل هى العليا استقلت هذه عن مصر ودخلت تحت طاعة بابل فجاء نيوخنصر ونفى اليهود الى بابل واصبحت هذه البلاد مستعمرة بابلية ووقعت البلاد الفلسطينية خلال تلك الفترة فى قبضة البابليين والاشوريين .

وكانت هناك حرب بين رحيعام وبريعام كل الايام وفى ايام رحيعام ملك يهوذا صعد شيشنق ملك مصر الى اورشليم واخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك واخذ كل شئ واخذ جميع اتراس الذهب التى عملها سليمان ، ولقد شكلت قبائل يهوذا مملكة يهوذا فى الجنوب فقضى اسرائيل على بيت داود ولما سمع جميع اسرائيل بان (يربعام) قد رجع ارسلوا فدعوه الى الجماعة وملكوه على جميع اسرائيل ولم يتبع بيت داود الا سبط يهوذا وحده اما القبائل الاحدى عشر أو العشر الباقية فشكلت مملكة اسرائيل فى الشمال وبدأت مملكة يهوذا من عام ٩٢٧-٥٨٦ ق.م فى السبى الى بابل فى عهد نيوخنصر وبدأت مملكة اسرائيل من عام ٩٢٧-٧٢٢ ق.م حتى استنصالحهم فى زمن (شلمانصر) ملك اشور وكان بين الملكتين عدااء مستحكم اقضى مضجعهم وظهر بعنف بين آسا ملك يهوذا وبعث ملك اسرائيل دين " امصيا " ملك يهوذا ويواسن ملك اسرائيل واستولى ملك اسرائيل على كنوز الهيكل .

وفى عهد مملكة يهوذا استولى (خزائيل) ملك آرام على كنوز اورشليم ودفع آحاز ملك يهوذا الجزية الى ملك اشور وحتى زمن يوشيا تم العثور على سفر الشريعة وبدأت النهضة الدينية فى تاريخ اسرائيل لكنها سرعان ما انتكست وصعد نيوخنصر فى عهد صدقيا ملك يهوذا واستولى على اورشليم ودمر الهيكل بعد نهب كنوزه واحرق مدينة اورشليم كلها . وفى عهد مملكة اسرائيل صنع (يربعام) للاسباط العشرة عجلين من ذهب ليتعبد بهما اسرائيل ويصرفهما عن اورشليم . ونهضت اسرائيل فى عهد (ياهو بن نمشى) وبدأت نهضة دينية ولكن سرعان ما انتكست واستمر الشعب العصيان وظهر انبياء فى السامرة منهم ايليا الذى تحدى انبياء البعل واليشع الذى دفع عن اسرائيل خطر مداهمة ملك آرام لها ، وتعرض اسرائيل لمداهمة قول ملك اشور فى عهد

متحيم ملك اسرائيل ثم تعرضت البلاد لغزو (نفلث فلاسر) لاسرائيل ثم تتم الابدانة النهائية في عهد الملك (هوشع بن ايله) اذ يصعد عليه (شلمو حر) ملك اشور وينفي اسرائيل من السامرة ويستبدل بهم اقواماً آخرين من شتى انحاء الامبراطورية الاشورية .

والمهم ان الدولتين اللتين اصبحتا متعاديتين متحاربتين وقعتا في سياسة المضاربة بين مصر والعراق أو الخضوع لهما تتعرض المملكة الجنوبية لطرقا مصر مرتين الاولى على يد شيشنق والثانية على يد (نخاو) الجميع من اصول جنوبية الى ان جاء دور المملكة الشمالية حين قضى عليها نهائياً سرجون الاشوري في القرن الثامن قبل الميلاد (٧٢١ ق.م) ثم قضى نيوخنصر " ابلى على الجنوبية سابقاً في القرن ٦ ق.م حين دمر اورشليم والهيكل عام ٥٨٦ ق.م وبذلك زالت الى الابد دولة اليهود في فلسطين بعد حياة يغلب عليها الطابع الدموي العنيف .

وهكذا قضى الاشوريين على المملكة الشمالية (اسرائيل) واكتسحوها واستولوا عليها في عهد اسارجون الثاني عام ٧٢١ ق.م اما مملكة يهوذا الجنوبية فظل يحكمها العبرانيون حتى هزم وذبج قاندهم عام ٥٨٦ وليس عام ٦٠٠ ق.م حينما تصدى (لينخاو الثاني) ملك مصر واصبحت يهوذا ولاية مصرية وصارت القدس يملكها ملوك عبرانيين ولكنهم كانوا ابوات في يد بابل فتار اهل يهوذا على نيوخنصر وذبخوا موظفيه البابليين فعاقبهم بتبختصر عقاباً شديداً وخرّب ديارهم ونهب بيوت القدس ثم احرقه ونسف هيكل سليمان فيه واحتل يهوذا واسر جميع من بقى من اليهود من سكانها وارسلهم الى ارض بابل واصبحت فلسطين بقسميها الشمالي والجنوبي جزء من املاك الدولة البابلية وبذلك قضى على استقلال العبرانيين قضاءً مبرماً .

وفي الفترة ما بين سبي اسرائيل عام ٧٢١ أو ٧٢٢ ق.م وسبي يهوذا وسبي يهوذا عام ٥٨٦ ق.م جاء انبياء ينذرون بالشدة نفسها ولكن دون جدوى فانذرهم نبيهم (ارميا) بقوله (ويعبر امم كثيرة في هذه المدينة ويقولون الواحد لصاحبه لماذا فعل الرب مثل هذا لهذه المدينة العظيمة) فيقولون (من اجل انهم تركوا عهد الرب الههم وسجدوا لاله اخرى) (عبدها) . وقد عاصر الاشوريون ملوك بني اسرائيل لفترة طويلة وقد اجتاحت جيوشهم فلسطين فأخضعوا ملوكها وارغموهم على دفع الجزية وما استطاع بنو اسرائيل ان يرفعوا رؤوسهم الا في الفترات التي كان

الاشوريون يعدلون فيها عن مهاجمتهم بسبب موت اهم ملوكها مثلاً أو مقاومة ملوك سوريا لهم كما حدث فى عهد داود وسليمان حينما القى الاراميون السوريون عام ١٠٥٠ ق.م عن ظهورهم عبء الاشوريين فتنفس بنى اسرائيل الصعداء . ولم يسترد الاشوريون سطوتهم الا بعد موت سليمان عليه السلام اذ تغلب (تيفلات ببلانز) على بنى اسرائيل واستولى على بلادهم عام ٧٢٤ ق.م ومن هنا سار نحو منازل الفلسطينيين فاقتتح عسقلان ثم اخضع فريقاً من امراء العرب وملوكهم .

وكما سبق القول عام ٧٢١ ق . م عاد سرجون الاكادى بجيشه الى جنوب فلسطين فاخضع الفلسطينيين وبنى يهوذا كما انه اسرا حانون ملك غزه فى موقعة رفح وعام ٧١٥ ق . م اخذ الجزية من بلاد العرب ونقل فريقاً من بنى ثمود وغيرهم من القبائل العربية النائرة الى السامرة . ولما مات سرجون، عام ٧٠٥ ق . م واعقبه ابنه سنحارب ثار اليهود عليهم وعلى رأسهم (حزقيا) فجاءهم بجيش عرمم . واخضعهم وفرض عليهم الجزية فى ذلك الزمان قشر خرفيا الذهب عن ابواب هيكل الرب والدعائم التى كان قد غشاها حزقيا ملك يهوذا ودفعه لملك اشور واخضع فلسطين كلها كما انه انتصر على ملوك مصر والحبشة الذين ارسلوا اليه جيشاً لمحاربتهم فانتصر عليهم فى موقعتين احدهما ثمنه واستولى على ٤٦ مدينة من مدن بنى يهوذا المحصنة ودكها دكا .

وقبل ان يموت سرجون عام ٦٨٨ ق . م فإنه قاد غزوة اخرى الى فلسطين . وفى زمن ابنه (اسرحدون) اجتاح الاشوريين فلسطين مرة اخرى ولكنهم لم يأتوا هذه المرة بعمل يذكر ولقد اقام (اسرحدون) ولده (اشور بنيال) على الملك قبل وفاته فغزا هذا مصر واخذ الجزية عن ملوك فلسطين وبينما كان الاشوريون مشغولين باطفاء ثورة بابل عام ٦٥١ - ٦٤٨ ق . م قام العرب بغزو فلسطين فاجتاجوا بلاد انوم وعمان وحوران ومواب وغيرها من البلاد ، ولكن اشورباتييال عاد فتغلب عليهم وظلت فلسطين تحت حكمه زمناً طويلاً .

وكانت التوراة قد ذكرت ان سنحاريب ملك اشور قد قاد الصراع ضد خزاقييا ملك يهوذا وكذلك قام شلمناسر "ملك اشور" ضد الملك احاز ملك اسرائيل وفى عهد داود وسليمان (١٠٠٠ - ٩٢٧ ق . م) كان للفلسطين البقعة الواقعة بين تل الملح ، وعمره قوم اسماعهم سميث G.A. smith بنو كلب Calebites . وهكذا زالت دولة اسرائيل بعد ان عاشت ثلاثة وسبعين عاماً موحدة فى عصر

داود وسليمان وهى اقل من المدة التى سيطر فيها الاستعمار البريطانى على مصر (١٨٨٢ - ١٩٥٤) وعادت فلسطين عربية بعد أن كانت عربية كنعانية تستقبل هجرات العرب من سوريا والجزيرة العربية ولكن اليهود لهم روايه أخرى اذ يرون ان فترة حكمهم كانت فى فلسطين من شأؤول الى الاسر البابلى ولكن حكم شأؤول الباكر لم يكن ذا سيادة حقيقية على البلاد التى كانت معظمها تحت سيطرة الكنعانيين والفلسطينيين كما كانت فى السنوات السبع من حكم داود فى حبرون قبل أن يهزم الفلسطين ويقهر الكنعانيين ويستولى على القدس اما مملكة داود وسليمان الاقليميه قلم تدم الا ثلاثه وسبعين عاما (٧٣ سنة) مما يضعها فى الفئة القصيرة الأمد وبعد ذلك لم تنعم اسرائيل ولا يهوذا .

بالاستقلال الحقيقى ذلك لأن كلاهما كانت تدفع الجزية الى دوله عظمى كما ان كلامها كانت تدين باستمرار وجودها لحماية تلك الدول العظمى وهى مصر واشور وبابل وفارس .

وبعد غزوقبائل اسرائيل العشر على ايدى ملك اشور عام ٧٢١ ق . م كانت مملكة يهوذا تحتل فعلا مساحة من الارض تبلغ ٥٠ ميلا عرضاً x ٧٥ ميلا عرضاً أى قطعة صغيرة جداً واذا سلمنا بان الممالك اليهودية القديمة كانت مستقلة طيله حياتها من غزو داود لكنعان عام ١٠٠٠ ق . م الى محو يهوذا ٥٦٨ ق ، م فأننا نتوصل الى حكم يهودى دام ٤١٤ سنة قبل الميلاد وتلك فتره تقل عن فترة اقامتهم لاجئين فى مصر .

وخلال تلك الفترات لم يواجه الانبياء العبرانيون ، عاموس ، ارمياء ، منجا ، اشعيا ، ايليا اهتمامهم ابدا لاستعادة السلطة الزمنية وان حصروا هذا الاهتمام فى دفع الظلم عن بنى قومهم وحثهم على عبادة الله ، ولا ادل على ذلك من وجود يهود اتقياء ليسوا صهيويون كانوا فى صحبه (دانيال النبى) فى ارض السبى فى مملكة بابل اذا امرهم الملك (نيوخنصر) بالسجود لتمثاله الذهبى قابوا الا ان يعبدوا الله الواحد ، مؤمنين بأنه ، قادر على أن ينجيهم من عذاب النار وكان الموقف من بنى اسرائيل قد انتزع اجلال الملوك والباطره حتى ان (نيوخنصر) قال (تبارك الله الذى ارسل ملائكته وانقذ عبيده) والثابت تاريخيا أن عشرة اسباط من اثنى عشر سبط قد اندثروا نهائيا عام ٧٢١ ق . م وان سبطين منهما سيط يهوذا قد امتزجا بالشعوب وان قسماً كبيراً منهم

استوطن منفاه فى بابل ولم يعد الى ارض فلسطين ، بل هناك . اقوال تذكر انه لم يبقى الاسبط يهوذا بعد عام ٧٢١ ق . م فحرف من يهوذا الى يهود وكان أول انتشار له فى بلاد بابل كان فى عهد النبى (ارميا) بل ان مملكة يهوذا التى يقولون انها كانت تمتد من دان الى بئرسبع ومن الاردن الى البحر الابيض المتوسط والتى ظهرت عام ٩٢٧ ق . م وضاعت نهائيا بل ابيدت عام ٥٨٦ ق . م وذلك عندما فتح البابليون القدامى يهوذا البقية الباقية من المملكة اليهودية زال وجودها السياسى كدولة الى الابد وعودة اليهود الى فلسطين وبنائهم لهيلكهم من جديد بقيادة غزرا ونحميا لم تيمنا على يد شعب حربل على يد شعب كان خاضعا للفرس وان العوده كانت روحية الاسباسيه ولقد مضت على اسرائيل فتره من الزمان منذ عهد ابراهيم الى عهد المسيح بلغ مداها ما يقرب من عشرة قرناً من الزمان فى هذه المرحلة الطويله قبل الميلاد وتتابع الانبياء وتجاوز عددهم المئات ممن نعرفهم ومن لا نعرفهم حتى انتهى المطاف الى المسيح بن مريم الذى رأى الكهنة ورؤساء الشعب يتاجرون باسم الدين .

وكان فى هذه الفترة التى انهارت فيها دولتى بنى اسرائيل قد تم بناء الهيكل للمرة الثانية باشراف (اوربا) الكاهن ثم اخذ هذا الملك الاسرائيلى مذبحا وثنيا استعمله فى معبده الملوك الثانى (١٦) مما دعا الى ظهور عصر الانبياء الذين ينددون بالشرك وحدث صراع بين الانبياء الحقيقيين والانبياء الادعياء واصبح لكل حاكم انبيائه وبرز (ايليا) بمراثيه وشجع اليسع على قيام ثورة ادت الى قتل الملك اخاب وزوجته ايزابيل وجميع كهنة الاله بعل . أما النبى عاموس القروى الذى كان يأتى الى المدينة للبيع والشراء ويرى الترف والفساد فقد دعا للاصلاح الاجتماعى وحث الاثرياء على الرأفة بالفقراء وانذر الناس بغضب (يهوه) وانتقامه كما انتقد الفحش المقدس وعباده الالهة الاخرى . وكان ذلك بعد أن قام سرجون بنقل كثير من اسرائيلى السامرة من ابناء القبائل العشرة الى بابل واسكن فى فلسطين مكانهم بعض اسراه من البلاد المفتوحة الاخرى ولكن نُسوخنصر بالذات الذى تقل اغلبية اليهود اخرون يقولون ربيع سكان يهوديه اسرى الى بابل والمقدر ان عدد اليهود قبل ذلك يقدر بثلاثة ارباع المليون وهكذا يعتبر الاسر اليابلى الشهير الذى يمكن ان نسمة الشتات الاول .

وفى عام ٦٢١ ق . م أدعى بعض الحاخامات وهو حاخام المعبد فى القدس انه رأى اثناء نومه النبى موسى وانه اخبره بان اسرائيل ضلت سواء السبيل وانه الكتاب الذى كتبه من كلمات الخالق موجود فى مكان حدده من المعبد فلما استيقظ الحاخام هو فى المكان الذى ذكره موسى فوجده (التثنية) وصدرت اوامر الملك بتنفيذ ما جاء فى السفر وازالة مظاهر الوثنية فدبت الحياة من جديد ، ولكن ما لبثت القدس ان سقطت عام ٥٨٦ ق . م فى يد نيوخنصر ملك بابل وساق الملك (يهوبيا فيتى) والنبى خزافياك ومعهما سبعة الاف مسلح والى عامل مكبلين بالحديد فكان هذا الاسر البابلى الاول ، وبعد سنوات ثارت مملكة (يهودا) بتحريض من مصر فغضب (نيوخنصر) ودمر اورشاليم عام ٥٨٦ ق . م وحرقت هيكل سليمان وسلب خزائن المدن ونقلها الى بابل وقتل من سكانها عدد كبير واخذ معه اربعين الف اسير وكان هذا هو الاسر الثانى وقبض على الملك صدقيا واخذه الى معسكره وذبح اولاده امام عينيه ثم فقأ عينيه واخذه مكبلا وشرده من بقى من اليهود فى شتى البقاع فى الشرق ولم تعد لهم ادى قوة بعد ذلك .

وهكذا نرى كيف ان اسرائيل وهى جزء من مملكة سليمان قد سقطت تحت اقدام جيوش الملك الاشورى (سارجون الثانى) فى القرن الثامن قبل الميلاد ٧٢٢ ق . م وعلى اثر ذلك ساق الاشوريون الى بلادهم الاف اليهود كعاده المنتصرين فى ذلك الزمان وجدير بالذكر ان اهل اسرائيل كانوا يعملون اساسا فى الزراعة والتجارة وكانت لاسرائيل علاقات تجارية نشيطة مع فينقيا وسوريا ونظراً للوقوع اسرائيل فى مفترق الطرق بين مصر وبلاد ما بين النهرين وآسيا فقد كانت دولة تجارية على عكس يهودا وهى الجزء الاخر من مملكة سليمان التى كانت ذات طبيعه جليليه وعرة ولهذا ظلت بلاد رعاها متخلفه كذلك فإن الملك سارجون الثانى لم يكتف ببيع اليهود فى اسواق النخاسة بل كان ينفيهم الى اقاصى امبراطوريته الواسعة لى يستوطنوها وهناك اقوال تذكر ان اليهود بعد ترحيلهم الى بابل قد وجدوا فى المنفى جاليات يهودية يرجع تاريخ اقامتها الى القرن الثامن قبل الميلاد وبذلك ازدادت الجالية اليهود عدداً بقدم المهاجرين الجدد ، ومن ناحية التكوين الطبيعى كانت الجالية اليهودية فى بابل طبقاً لشهادة الكثير من المؤرخين لا تختلف فى شىء عن المجتمعات المعاصرة بين يهود بابل كان يوجد المزارعون والحرفيون وملاك الاراضى والتجار

الصفار والكبار كذلك فقد كانت الجاليات اليهودية تستخدم العبيد فى اداء الاعمال ، بل ان المخطوطات التى كشفت مؤخراً تؤكد ان اليهود فى بابل كان لهم دورهم البارز فى الحياة التجارية وفى بابل ظهر أول مجتمع يهودى حيث كانت مصالح الجاليات اليهودية هنا اكثر من اى مكان اخر تدفع الى العمل على توحيد ابناء ملتهم . ويرى كثير من المؤرخين ان ظهور المجاميع اليهودية قد لعبت دوراً مساعداً فى تحويل المزارعين الى سكان مدن وخلال فترة زمنية قصيرة كانت الجاليات اليهودية بحق قد ضربت جذورها عميقاً فى بابل الى حد نداء احد انبياء اليهود ان يقول ابنوا بيوتكم واسكنوها وانثروا البذور وعيشوا على ثمارها واتخذوا لانفسكم ازواجا وانجبوا بنين وبنات ، واجلبوا الأزواج لابنائكم وبناتكم وتكاثروا حيث كنتم ولا تتخاذلوا .

ويشير المؤرخ الامريكى الصهيونى (سالون بارون) فى عرضه لمرحلة تاليه من حياة الجاليات اليهودية فى بابل الى حقيقة ذات مغزى كبير من زوايه التعبير عن المزاج السائد بين البابليين فيقول ان زعماء الجاليات اليهودية البابلية كانوا يلحون على ضرورة ان يقيم اليهود فى اى بلد كانوا الصلوات فى صحبة رجال بابل العلماء ويشير سالون بارون الى ان سعة الثراء وكثرة اليهود فى بابل كانت تتيح للاباء الروحانيين لليهود ان يقولوا ها هنا ينبوع الحكمة والنبوه اى فى بابل وليس فى اورشليم .

ويسير بنا التاريخ حتى يأتى فى بابل ملك يدعى (نيوخنصر) وكانت مصر تسيطر على فلسطين والشام وغيرها من البلاد واراد (نيوخنصر) الذى اتى خليفة لابييه (نابو) ان يستعيد املاك اشور الغربية فى الشام وانتصر الملك (نيوخنصر) على الملك نخاو نيكاو المصرى الجشع النبوى وضم فلسطين والشام الى مملكته وكان اول ما فعله عند فتحه فلسطين قتله لوالى اورشليم المعين سابقا من قبل الملك المصرى نيكاو وقتل الكثير من العبرانيين وحرق مدينة اورشليم والهيكل حسب نص التوراة وفى الشهر الخامس فى سابع الشهر وفى السنة التاسعة عشر للملك نيوخنصر او " ناصر " ملك بابل جاء (نبوزرادان) رئيس الشرطة عبد ملك بابل الى اورشليم واحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت اورشليم وكل بيوت العظماء احرقها بالنار وجميع اسوار اورشليم مستديراً هدمها . كل جيوش الكلدانيين الذين مع رئيس الشرطة وبقية الشعب الذين بقوا فى المدينة والهاريون

الذين هربوا الى ملك بابل وبقية الجمهور سباهم (نبوخذ نصر) رئيس الشرطة - سفر الملوك الثاني ١٧-٨:٢٥ .

وهذه صورة ما حدث لمدينة اورشليم في عهد الملك نبوخذ نصر ملك بابل وتسمى التوراة ذلك السبى سبى بابل لقد احرق قائد هذا الملك مدينة اورشليم بما فيها الهيكل واحرق ما بداخله وبالتالي يمكن التكهن بحرق توراة موسى الحقيقية التي كانت بداخل تابوت العهد كبقية كتب انبياء اسرائيل .

وفي هذه الفترة يتوالى ملوك بنى اسرائيل فى اسفار الملوك والاخبار ويدققون فى التفاصيل فى عهد الملك (يورام بن اخاب) ملك اسرائيل تولى (بهورام بن يهوشافاط) ملك اورشليم بدلاً من ابيه (يهوشافاط بن آسا) وما كان منه الا قتل جميع اخوته من ابيه وامه بالسيف وكانت كل سنوات عمره انذاك اثنين وثلاثين سنة وظل ملكه على اورشليم ثمانى سنوات مات بعدها بسبب المرض وقد ظلت اسرائيل قبل سقوطها فى ايدى نبوخذ نصر ملك اشور بدون حرب مع ارام لمدة ثلاث سنوات وفى نهاية السنة الثالثة نزل (يهوشافاط) ملك يهوذا ضيفاً على اخاب ملك اسرائيل وتشاورا فى امر الحرب مع ارام وملكها ، فسأل يهوشافاط عن احوال الانبياء فى اسرائيل ليتنبأوا له بنتيجة هذه الحرب فجمع ملك اسرائيل نحو أربعمئة نبي من انبياء اسرائيل لاحظ كثرة الانبياء لهذا الشعب الشاذ الصلب الرقبه وسألهم أأذهب للحرب فأجابوه بنعم وعلم منهم أن النصر سيكون حليفه . ثم سأل يهوشافاط . اليس هناك نبي آخر نسأله كما لو كان لا يثق فى اجابه اربعمئة نبي لكن اخاب يجيب بانه يوجد نبي واصر قال عنه لاكنى ابغضه لانه لا ينبأ على خيرا بل شراً أما هذا النبي فهو ميخا بن يملح .

وهكذا تم اسر بنى اسرائيل على ايدى الغزاه البابليين وصار الاسرائيليين عبيدا مقهورين وهكذا انتهت السنين التى عاشتها السلطة العبرانية وكانت من بدايتها (١٠٠٠-٩٢٧ ق م) الى نهايتها مجرد حدث صغير على هامش احداث تاريخ مصر والشام والعراق .

لكن هناك بعض المصادر تذكر انه فى غمار المنافسة حول السيطرة على فلسطين من الفراعنة والاشوريين وضع ملك القدس نفسه تحت حماية نبوخذ نصر وسلمه المدينة عام ٥٩٨ ق م .

وفى عهد نبوخذ نصر دمر هيكل سليمان وسبى اليهود الى بابل اشاره الى انهم غرباء عن فلسطين بنفى شتاتهم واصبحت القدس مستعمرة بابليه تنتشر بها لغة البابليين وقد طال اسر اليهود فى بابل اكثر من ستين عاما مما ساعد على الاختلاط بحضارة جديدة ضيعت مابقى عند العبرانيين من بقايا الدين اليهودى وصار الدين اليهودى غير خاص باليهود نتيجة غلبة الثقافة الكلدانية والتزاوج بين الاسرى والمجتمع الجديد والرغبة فى تدعيم الكيان اليهودى بقوة المنتصرين ومع هذا فقد كان الاحساس بالضيق يزداد عمقاً وتتسع فتراته وكان لابد من الحفاظ على مابقى من الوجود اليهودى فالتف الاسرى حول النبی اخزاقياى :

ويؤكد اولستنايد O'mstead فى كتابه تاريخ الامبراطورية الفارسية ان اعضاء الجالية اليهودية O'mstead, A.T. History of Persian Empire ٤٨١.

فى بابل قد تخلوا مع مرور الزمن عن التفاهم باللغة العبرية واستبدلوها باللغة الارامية وخارج فلسطين كان اليهود ينقسمون الى مجموعتين كبيرتين من حيث اللغة الاولى تستخدم اللغة الارامية التى يستخدمها يهود فلسطين والمجموعة الثانية تستخدم اللغة اليونانية . وفى محيط الجاليات اليهودية فى ذلك الزمان كانت توجد مواجهة دائمة فى اتجاهين متضادين اتجاه طبيعى يرمز الى اندماج اعضاء الجالية فى المجتمع المحيط بهم واتجاه آخر يرمى الى الحفاظ على العزلة التامة لليهود وقد كانت المصالح الاقتصادية والسياسية لقيادات الجاليات اليهودية تشجع هى الاخرى على ضرب اسوار حول الجيتو يصعب بالفعل اختراقها ومن هنا فان الاسرى الذين ذابوا فى المجتمع البابلى بعد أن اعتنقوا المعبودات الاشورية البابلية وان كانت هناك اعداد قليلة قد حافظت على عقيدتها اليهودية لكنها ارتحلت شرقا حيث فارس وبلاد اواسط اسيا والقوقاز والهند بل وصولاً الى الصين وكوريا شرقاً لنشر الدعوة للديانة اليهودية وبذلك اندثر كل اثر لليهود فى اسيا ولم تبقى إلا الديانة اليهودية بين شعوب هذه البلاد التى اعتنقوها .

ومن ثم نرى هنا كيف اتقسمت تلك المملكة بعد وفاه سليمان الى قسمين فتبقى الجزء الجنوبى بما فيه القدس موالياً لبیت داود اما الشمالى حول سامريا فقد توالى عليه حكام مختلفون واصبح مسرحاً للفتن وشهد القرن الثامن قبل الميلاد اربعة بيوت تتولى حكم الشمال وكان نظام

الحكم فى الجنوب اى فى بيت داود ان يحل الابن محل ابيه فحكم رحيعام وابيام والاساويهو وشافاط .. اما فى الشمال فقد تولى بريعام الحكم بعد سليمان ولما تولى ابنه ابعشانا داب قتل ثم تولى (زمرى) بعد قتل ايله ولكن (زمرى) لم يدم حكمه الا اياما فخلعه (عمرى) وتولى . مكانه ثم تولى آخاب .

وقد جرد الآشوريون جيشا على اسرائيل فى عهد شلمنصر الثالث الذى هزم الاسرائيلين عام ٨٥٣ ق . م فى موقعة كركر وهى الموقعة التى قضت على تاريخ اسرائيل السياسى ٩٢٧ - ٨٥٣ ق . م = ٧٤ سنة فقط ظل يحكم فيها اليهود فى المملكتين بعد انقسامها بعد وفاه سليمان حتى تم خضوعها للحكم الاشورى لكن الاشوريين فى عهد (سارجون الثانى) ضمو (اسرائيل) الى المنطقة الشمالية نهائيا عام ٧٢٠ أو ٧٢٢ ق . م فاندمجت فى تلك الدولة العربية ولما حل البابليون محل الاشوريين فى العراق ضمو مملكة يهوذا الى المنطقة الجنوبية عام ٥٨٥ أو ٥٨٦ ق . م وعادت فلسطين جزء من الدولة البابلية العربية وبذلك لم يدم عمر دولة بنى اسرائيل منذ عهد دواود حتى هزيمتهما فى عهد شلمنصر (١٠٠٠ - ٨٥٣ ق . م ١٤٧) مائه وسبع واربعين عاما فقط ، وهكذا فان الملك الاشورى (شلمنصر الثالث) قد وجد نقش ذكر فيه اسمه وانه حارب اسرائيل فى موقعة كركر عام ٨٥٣ ق . م وكان قد اراد ان يضم دمشق عام ٨٥٤ ق . م اى فى العام السابق لتلك الموقعة الى العراق وان سليمان قد بنى فى المقدس هيكلا لاقامه الطقوس الدينية وبناه على الطراز الكنعانى وامده بالخشب المستعمل فى جرام ملك صور الفنيقى وكان ابن سليمان قد رفض الاستجابة لتخفيض الضرائب عن شعبه فاستعمل الاسباط القسوه وكونوا مملكة فى الشمال تسمى اسرائيل مستعين عليهم بملك مصر جعلوا عاصمتها نابلس وقامت يهوذا فى الجنوب واستمرت الحروب بينهما فى منطقة نابلس والقدس وكانت الامبراطورية الاشورية قد اجبرت الدولتان على دفع الجزية ولما رفض ملك اسرائيل هوشع دفع الجزية بعد ذلك للاشوريين بتحريض من مصر فهاجمه شلمنصر الخامس وجاصر السامرة وقد كانت اصبحت عاصمة بعد نابلس شكيم وفتحها خليفته سرجون ٧٢١ ق . م وأسر الالاف واخذهم اسرى واحل مكانهم قوم اخرون وهكذا انتهت مملكة اسرائيل فى الشمال اما مملكة يهوذا فقد عاشت بعد زوال مملكة اسرائيل ١٣٥ سنة تدفع الجزية

للاشوريين ولما ضعف نقود الاشوريين وضع نفسه تحت رعايه مصر وعين ملك مصر (نخاو) الاسرائيلى ينحو ملكا ليهودا وانحاز الاخير الى مصر اثناء حربها مع البابليين فازال نيونختصر بوله يهوذا من الوجود واخذ اليهود اسرى الى بابل (٥٨٦ ق . م) .

هذا ولم تضم دولة داود وسليمان وحتى ما وصل اليه اليهود فى وقت من الاوقات كل فلسطين ولم يستغلوا سوى التلال الداخليه وبقيت منطقته واسعه يسكنها الفلسطينيون على الساحل الجنوبى الغربى من غزه الى يافا وكان يشغل الجزء الشرقى (الادوميون ، الامونيون، المؤابيين) وهذا ثابت فى الخريطة التى رسمها سميث Smith لمملكة داود التى نشرها فى كتاب الله وله شأن فى يد اسرائيل ص ٨٧ بين المنطقة الى كانت تحتلها مملكة داود من سكان البلاد الاصليين وانه لا يستطيع احد ان يقول ان ارض الميعاد كانت يوما فى قبضه العبرانيين تماما .

وهذه الدويله التى اقامها كل من داود وسليمان واسميناها دويله لانها لم تكن مستقلة يوما من الايام ولم تكن الا تابعا فى الواقع لاحدى الدول الكبرى المحيطة بها فمره تتبع اشور وبابل ومرة اخرى تتبع مصر ثم تتبع حتى صور وسوريا وكان داود يحكم فى اول الامر بصفته تابعا للفلسطين قبل ان يتمكن من بسط نفوذه على اراضى الكنعانيين لاسيما القدس (بيوس) وحتى فى عهد تكوين سلطه مستقلة اسميا فان داود وضع نفسه فى حمايه جرام ملك صور وكان ذلك من اسباب بقاء الملك لديه وابنه سليمان فى ظل السيادة الفينيقية ، بل ان سليمان ابنه كان تابعا للملك جرام ، وان سليمان لم يكن وهو فى اوج مجده الا ملكا صغير تابعا يحكم مدينه صغيره وكانت بولة من الهزال وسرعه الزوال يحدث انه لم تنتقض بضعة اعوام على وفاته حتى استولى شيشنق ملك مصر اول فراعنه الاسره الثانيه والعشرين على اورشليم ولم يخلف بنو اسرائيل اى اثر من اثار حضارية وليس هناك اى ثراء فى التاريخ العبرى والهيكل الذى بنى فى عهد سليمان فانه على ضالته لو اخذنا اطواله لا يمكن وضعه داخل كنيسة صغيرة من كنائس الضواحي وبناء عمال فينيقيون باخشاب الارز من لبنان وبناءه على طراز كنعانى حتى ان اسم هيكل مأخوذ من كنعان ولقد اعاد ملك الفرس اليهود الى القدس عام ٥٢٨ ق . م لانهم عملوا جواسيس له واستمروا تابعين حتى ازالهم تيتوس الرومانى عام ٧٠ ميلاديه اما صلة عرب فلسطين فهى دائمة إذ ان جميع القبائل التى

نزلت وسكنت وعاشت في فلسطين سواء اكانت كنعانية أو فنيقية أو أرامية أو بابلية أو اشورية أو كلدانية أو مصريه أو غيرها من القبائل الاخرى فهي عرييه ساميه ذات اصول تاريخيه قديمه في ارض كنعان وانه رغم قيام مملكة داود وابنه سليمان فإن ذلك لا ينفي انها مملكة غاضبه اغتصبت الحق العربي الكنعاني وغيره من الشعوب العربية لكي تقيم حكما استعماريًا على ارض لاحق له ان يكون صاحب سياده كذلك فان دخولهم عام ١١٤٨ ق . م في عهد يوشع بن نون الى هذه الارض واستمرارهم في الصراع الطويل مع اهل البلاد فان ذلك لم يعطى لهم اى حق في السكنى والجوار الا كالأجثين لأنه لا اساس ولا حقوق لهم ذلك لان جدهم الاكبر ابراهيم لم يكن إلا لاجئاً قادماً من كلدانيا وانه لم يكن الا غريباً وانه عندما ماتت ساره زوجته ام اسحق وجده يعقوب ابو الاسباط قد اشترى قطعة صغيرة من الارض كمقبره يدفن فيها زوجته ثم انه عندما اشتد الجوع والجذب انتقل اسرائيل (يعقوب) وابناؤه الاسباط الى مصر ليمضوا فيها فتره زمنية ثم يخرجوا منها في التيه في سيناء اربعين عاماً ثم انهم يحاولون ان يدخلوا ارض كنعان والاستيلاء عليها من اهلها الشرعيين من هنا لم تكن مملكة داود وسليمان في الفترة من (١٠٠٠ - ٩٢٧ ق . م) الا فتره احتلال وسيطرة ورغم دعوتهم ابناء الشعوب الاخرى للدخول في العقيدة اليهودية فإن ذلك يعطى الدليل على اذابتهم في الاجناس والقبائل والشعوب التي كانت تسكن كنعان وان العودة الاخيرة بعد مؤتمر بال في سويسرا عام ١٨٩٧ والدعوة الصهيونية لم تكن الا اغتصاب الحق الفلسطيني باسم الدين وداثماً فإن الدين لا وطن واحد له بل اوطان متعددة كما في الاسلام والمسيحية وايضاً في اليهودية ومن ثم لا يوجد أدنى حق تاريخي او انثربولوجي او اركيولوجي لليهود في وطن فلسطين وطن الكنعانيين العرب .

الفصل التاسع

”بنو اسرائيل في ظل الحكم الفارسي والروماني“

في عام ٥٣٨ هـ قبل الميلاد استولى الملك ” كير هوقورش “ ملك الفرس على بابل ولما كان سقوط الدولة الكلدانية تحت ايدى الفرس عام ٥٣٨ ق.م فقد اخذ اليهود يحتلون الوظائف العالية في الدولة الفارسية مما جعلوا عليه من التدنى والترخص في سبيل الهدف الذي ينشدونه وصارت (استير اليهودية) ملكه بفضل ابن عمها (مردخاي) وتسلطت استير الجميلة على الملك (احشوبرش) وبهدف تدعيم نفوذه في فلسطين اصدر امراً يسمح بعودة اليهود الى القدس ، لكن العودة كانت في عهد كيره اما (احشوبرش) فقد صلب وزيره ” صامان “ وبنيه العشرة لأنه كاد ان يفتك بمردخاي وعشيرته اليهودية ويكتشف امر (استير) وكان ان اعطى الملك اليهود مدينه فمدينه وان يجتمعوا ويقفوا لانفسهم ويهلكوا أو يقتلوا ويبدوا قوة كل شعب وكورة تصادفهم حتى الاطفال والنساء وان يسلبوا غنيمتهم فكان كثيراً من شعوب الارض تهودا لان رعب اليهود وقع عليهم اذ قتلوا من مبغضيههم اكثر من خمسة وخمسين الف (سفر استير) ، لكن رغم السماح الفارسي فان السواد الاعظم ليهود بابل لم يعد الى فلسطين رغم سماح كير لهم بذلك ويقول (اولستيد) انه ما كان لاحد ان يتوقع من اليهود ان يرحلوا عن بابل الخصبة الى تلال (يهودا) الجرداء في فلسطين .

ويقول مؤلف كتاب التاريخ القديم انه لا يجوز الاعتقاد باستحالة وجود يهود في شتى انحاء العالم المعروف غير اليهود المهجرين من يهوذا الى بابل ولقد استمر تشتت اليهود خلال فترة الحكم الفارسي رغم عدم معارضة السلطات لفكرة عودة اليهود الى فلسطين وكان التجار اليهود بصحبة اتباعهم من ابناء ملتهم يعضون اثر الجيوش الفارسية الغازية وقيمون في الاراضي المحتلة ريثما يستميلوا الجنود المرتزقة لتزويد الجيوش .

ومن الثابت تاريخياً ان العودة كانت في عهد الملك كير أو قورش وذلك بعد ان اخذ بابل كما سبق القول عام ٥٣٨ ق.م فسمح لليهود بالعودة الى فلسطين لكن شباب اليهود لم يتحمسوا للعودة لان الكثيرين منهم تاقلموا في التربة البابلية ، فترددوا في ترك حقولهم الخصبة وتجارتهم الرانجة ليعودا الى القفار الخربة في المدينة المقدسة . ومرت سنتان بعد مجئ قورش قبل ان تبدأ الفصيلة الاولى من اليهود المتحمسين وحلتها الطويلة التي استمرت ثلاثة شهور الى الارض التي خرج منها

اباؤهم قبل ذلك بمائة عام وتتابع الفصائل بفضل تشجيع قورش اكورش وسخائه وبفضل تنامي الوعي الدينى حتى بلغ عدد العائدين اثنين واربعين الف وكان ان رد الملك اليهم الادعية التى اخذت من معابدهم واطاف الى كنوز المعبد اليهودى فى القدس اموالاً من خزائنه الخاصة وقاد اليهود فى عودتهم اثناء حكم (داريوس) (٥٢١-٤٨٦ ق.م) يهودى اسمه " زر بابل " أو زيرو بابل ، وعقب العودة بنو مذبحة على موقع المعبد ولم يتموا بناء المعبد بسبب الحالة الاقتصادية وحاول اتمام البناء النبيان زكريا وحجاي .

لكن النبيان لم يتم الا عندما ظهر النبى (عزرا) الذى ساعده ملك فارس (ارتكبيس ارتحيشينى) (٤٦٥-٤٢٤ ق.م) الذى اباح لعزرا ان يأخذ معه الى اورشليم كل يهودى يريد العودة الى فلسطين وطالبه الملك (ارتكبيس) ان يكيف اليهودية حسب كتاب الشريعة الذى بيده فرحل عزرا ومعه ستة الاف يهودى بينهم نفر من الكهنة وللادين فغيروا العقيدة اليهودية التى كانت قائمة فى فلسطين وقتذاك وغذوها بالنبوءات اليهودية الجديدة التى ظهرت فى السبى واكتسبت الشريعة من الديانة الفارسية الايمان بالبعث والحساب وتداخلت الزادريشيتة مع اليهودية فى امور كثيرة لازالت بالتورا .

لذا اذا كان الفرس بعد ان هزموا بابل عام ٥٣٨ ق.م واحتلوها وممتلكاتها فى فلسطين فقد سمحوا لليهود بالعودة الى اورشليم بعد اكثر من نصف قرن من الاسر البابلى (٦٠ سنة) فإن فئة ضئيلة هى التى عادت وتقدر بنحو ٤٢ الف ولا تزيد عن خمسين الف وهذه الفئة لم تجد ترحيباً لأن فلسطين فى ذلك الوقت كان يسكن بها اسرى سرجون البابلى والذى جاء بهم من شتى انحاء الامبراطورية وكانوا قد وطنوا بها وسكنوا منطقة يهودية الجنوبية حيث لم يرتاح لعودتهم حتى اليهود المقيمون انفسهم اما الأغلبية المطلقة فقد بقيت فى العراق حيث تكونت مستعمرات هامة نمت حتى بلغت فى عهد المسيح مليوناً أو اكثر من المليون فى العصور التالية .

وقد امتد انتشار اليهودية من العراق شمالاً الى كردستان ، غير ان يهود العراق مع كل سكانه تعرضوا للابادة مع الطوفان المغولى (هولاكو) حيث هبط عددهم الى بضعة الاف فقط ، غير ان يهود العراق كانوا نواة الشتات شرقاً فمنهم انشطر يهود فارس الذين غادروا العراق لأول مرة فى عهد كسرى . ولكن هجرتهم الكبرى كانت فيما بعد وبالمثل كان يهود حيرات او هيرات فى افغانستان ويهود بخارى وسمرقند فى التركستان الشرقية وكذلك يقال ان يهود القوقاز الذين يردون مستعمراتهم المبعثرة الى العصر الاشورى وانها ترجع الى القرن الخامس الميلادى وليس

السادس قبل الميلاد ويقال انهم اتوا من فارس ومن هنا يمكن تتبع انتشار اليهود الى الشرق الاقصى بالهند والصين وغيرها من البلاد الاخرى وصولاً لليابان .

كان سبب تقدم اليابان في العصر الحديث وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية انهم عملوا على طرد كل يهودى من بلادهم بحيث يتعذر حالياً وجود اعداد من اليهود تقيم في اليابان وذلك مما دفعها للتقدم الاقتصادى والصناعى والتكنولوجى الهائل الذى دفع بها لكى تكون ثانياً دولة فى المضمار التكنولوجى بعد الولايات المتحدة الامريكية لان اليهود أس الداء فى كل بلد يقيمون فيها .

هذا واذا كان سقوط يهوذا واسرائيل على ايدى الاشوريين واصبح ما يطلق عليه الشتات البابلى والذى اتجه شرقاً الى العراق والاقاليم المجاورة فمن المحتمل ان بعض الهجرة اتجهت غرباً الى الشمال الافريقى (المغرب) حيث يدعى اليهود ممن يسكنون الجبال اليوم ويتكلمون البربرية ان اجدادهم تركوا فلسطين اليها قبل الاسر البابلى نفسه وانهم يسمون انفسهم البليشتيم Plishtim والكلمه تحريف واضح لفلسطين .

بل انه مما يذكر انه عندما اخذ الفرس يتهيئون لاجتياح مصر والسيطرة عليها استعانوا بيهود السبى في بابل وسمحوا لهم بدخول اورشليم واتاحوا لهم فى عهد دارا بناء السور والهيكل من جديد وهناك ازداد تفوذهم حتى عادوا الى ثورتهم كدأبهم كلما قويت شوكتهم وقد سجل التاريخ لهم قيامهم بحركة ابيدوا فيها وذلك عام ٥٢٠ ق.م فى السنة الثانية من حكم داريوس وهناك اقوال تذكر ان اليهود اقاموا فى بابل ونيوى حوالى سبعين عاماً على اعتبار ان السبى الاول كان عام ٧٢٢ ق.م والثانى كان عام ٥٨٦ ق.م .

وتذكر التوراة ان بنى اسرائيل عادوا الى بلادهم فى عهد الملك كورش ملك فارس وذلك فى الاصحاح الثانى من سفر عزرا والاصحاح السابع من سفر (نحميا) حيث ذكر اسماء العائدين واسماء رؤوس عائلات بنى اسرائيل واعدادهم واعداد كل عائله على حده . واعداد الخيل والحمير والجمال والغنم كل نوع بعده وكان معه من الانبياء (زر بابل ، يشوع ، نحميا ، سرايا ، زعاليا ، مردخاي ، بللشان ، مسفار ، يفواى ، رخوم) وبقية عدد رجال شعب اسرائيل .

وقد اتفقوا على من جاء على سبعة انبياء واختلفوا فى الباقي بينما يرى البعض ان عددهم احدى عشر رجلاً أو اثنى عشر رجلاً وهناك من يذكر ان هؤلاء الاسماء اسماء رؤساء العائلات والقبائل وكما ساعد على توطن اليهود فى فلسطين امتداد سلطان الفرس فى عهد قمبيز الى السيطرة على مصر وحكمها وكان لابد من اتخاذ اليهود عيوناً لهم فى المنطقة وقد ظلت مصر خاضعة لحكم الامبراطورية الفارسية من عام ٥٢٥ ق.م - ٤٠٤ ق.م أى فترة تزيد عن ثمانين عاماً .

وبالتالى كانت فلسطين ولايه فارسيه تحت حكم فارس واليهود بها رعايا ليس لهم ادنى سلطه دينيه أو سياسيه بل رعايا شأنهم شأن رعايا الامبراطوريه الواسعه عندما سمح لهم بالعودة على ان يكونوا جواسيس فى منطقه الشام ومصر .

وهكذا تؤكد كثير من المصادر ان ملوك فارس قد سمحوا ليهودا بالعودة الى فلسطين ليصبحوا عملاء للامبراطوريه الفارسيه لحماية مصالحها فى مصر وليكونوا صمام امان لضمان السيادة الفارسيه على مصر وقد كانت الفترة بين السبى البابلى الثانى ٥٨٦ ق.م وحتى العودة فى عهد الفرس عام ٥٣٨ . لم تزد عن اربعه وسبعين عاماً أى جبل واحد فقط بل اننا اذ اخذنا السبى الاول منذ ٧٢٢ ق.م أو ٧٢١ حتى العودة الى فلسطين فإن ذلك يكون ٢٠٤ مائتى عام واربع فإن تلك الفترة كافيه على ظهور اجيال بابليه لغه وثقافه وتقاليدها واجتماعياً واخذها الطابع الذى عاشت عليه طوال اربع أو ثلاث اجيال ان لم يكن اكثر . وفى تلك الفترة دعا انبياء بنى اسرائيل شعبهم الى الامتزاج والمصاهره ليزدادوا عدداً كما شجعوهم على المسالمة وحسن المعاشرة حتى يعيشوا فى رفايه وامن .

ولقد كانت تلك العودة التى تمثلت فى اعاده بناء الهيكل قد تعرضت للخطر مراراً فى الاجيال التاليه عن طريق الحروب الاهليه اليهوديه .

وقد كان اليهود ينظرون الى قورش ملك الفرس على انه المخلص الذى كانوا ينتظرونه ليعيد مملكة يهوذا ، لكن فى عام ٣٣٢ ق.م دخل الاسكندر المقدونى فلسطين واحتل القدس فخرج اليه اليهود فرحين داعين له ان يخلصهم من نير الفرس وطغيانهم جاحدين فضل قورش وارتحشيش . وهكذا نرى حين دب الضعف فى نهضة الفرس قضى الاسكندر الاكبر على دولتهم عام ٣٣٢ ق.م أو ٣٣٣ ق.م وكان غزو صور وغزوه مقضيا الى دخول اليهود تحت الحكم اليونانى واصبحوا من رعاياهم فى عهد الاسكندر وخلفائه البطالسه خاضعين لهم اكثر من قرنين من الزمان ولكنهم كانوا يستمتعون بالحرية الدينيه مقابل ما يدفعون من جزيه .

وهكذا نجد انه فى الفترة ما بين ٧٢٢-٣٣٢ ق.م ٤٩٠ ما يقرب من خمسة قرون من السيادة البابليه والفارسيه تبدأ بفتوح الاسكندر الاكبر وتستمر مع السلوقين والبطالسه ثم البيزنطيين وفى العصر الاغريقى فإن اليهود كانوا من الكثره بحيث لا يستطيع بلد واحد ان يحتويهم ولهذا فهم سيوطنون مختلف البلدان المزدهره فى آسيا واوربا ويعيشون فى الجزر كما يعيشون فى القارات . وفى العهد الرومانى قامت ثورة فى فلسطين عام ١٦٤ ق.م استولى فيها الثوار اليهود على

اورشليم وعرفت هذه الثورة بثورة المكابيين نسبة الى (مكابى) وهو لقب قائد الثورة وقد استطاع اخوه الاصغر من بعده وهو (سيمون مكابى) ان يحالف روما حتى نال من الامبراطور (ديمتريوس الثانى) اعترافاً باستقلال بلاد اليهود عام ١٤٢ ق.م. ولذلك فإذا كان بعض اليهود فى فلسطين قد قاوموا الصبغة الهيلينية بعنف وقاموا فى القرن الثانى قبل الميلاد بالثورة المكابيه المتعصبه التى انشأت دولة يهودية ضد الهيلينيه الاغريقيه فإن الكثير منهم انتشروا انتشاراً واسعاً بعيد المدى فى كل العالم البيزنطى واللهيى وكان كل ذلك حدث بعد وفاة الاسكندر عام ٣٢٢ ق.م حيث صارت فلسطين فى ايدى السلوقين السوريين وظلت مسرحاً للاضطرابات يتناولها السلوقيون السوريون والبطالسة وقد تأثرت البلاد بالحضارة الهلينية وهاجر بعض المثقفين الى الاسكندرية ودرسوا الفلسفة اليونانية وتم التزواج بين الفكر اليونانى والديانة اليهودية وتمتع اليهود بحرية مباشرة فى ممارسة طقوسهم الدينية حتى كان عصر (انطونيوس ابقانوس ١٧٥-١٦٤ ق.م) فحاول نشر الثقافة الهلينية بطريقة اثار اليهود فانتقم منهم اشد انتقام وحول المعبد اليهودى الى داراً لعبادة (زوس) كما حرم تقديس يوم السبت والاحتفال بالاعیاد ومنع الختان وحرم حيازة التوراة وجعل عذاب المخالفين الاعدام واقام كثيراً من المعابد الوثنية واجبر اليهود على تقديم القرابين لها ونتيجة هذا الامتهان العقائدى ثار الكاهن (متياس) والتف حوله كثيراً من اليهود ، لكن الحركة انتهت فى احد ايام السبت بقتل ذريع اليهود مما حدا بالحاخامات الى الاكتفاء بالدفاع عن النفس فى هذا اليوم .

وكان كل ذلك من اجل العبادة وحرية العقيدة اليهودية بعد ان حول الهيكل الى مكاناً لعبادة (زوس) وتجددت الثورات بقيادة ابناء (متياس) لتحرير العقيدة وكان اهمها تلك التى كانت بقيادة (يهوذا بن متياس) جوادسى المكابى فاحرز انتصاراً على الملك السلوقى وحرر القدس واستعاد المعبد عام ١٦٥ ق.م للعبادة اليهودية وحصل اليهود على الحرية الكاملة فى تأدية شعائرهم الدينية واستمر القتال حتى قتل يهوذا المكابى عام ١٦٠ ق.م وخلفه اخوه (يوناثان) وقتل عام ١٤٤ ق.م وجاء بعده اخوه سمعان واستطاع ان يكون رئيساً لكل الحاخامين عام ١٤٠ ق.م . ثم انحاز اليهود الى جانب روما القوية فى ذلك العهد القديم ولم يطل عمر هذه الدولة التى كانت رئاستها دينية وليس

سياسية سوى فى الفترة من ١٤٠-٦٣ ق.م ٧٧ سبعة وسبعين عاماً (لاحظ ان عمر دولهم قصيراً جداً عبر التاريخ الطويل) مما يعنى ان كثرة قيام كيانهم الدينى كان سبب كثرة الانبياء الذين ارسلوا لهم .

وكانت غزوة الرومان قد امتدت الى مئات السنين منذ احتلها (يومبى) عام ٦٣ ق.م فالقى مجمعهم وهيكلهم وهدم السور وفرض عليهم فى كل يوم ذبيحة امام الهيكل تكريماً للقيصر ، حتى جاء عهد هدريانوس (١١٧-١٢٨م) فضاق ذريعاً بثورات اليهود فيها واعتزم القضاء عليهم وتشتيتهم منها فدمر المدينة تدميراً كاملاً وحرث ارضها حرثاً وطردهم منها طرداً قاضياً للأبد وحطم هيكل سليمان للمرة الاخيرة .

وعلى انقاض المدينة القديمة التى زالت عن وجودها الصبغة اليهودية ابتنى الرومان مدينة جديدة اسموها ايلياء نسبة الى الامبراطور (ايليس هدريانوس) وعندما تولى قسطنطين عرش الاباطره عام ٣١٢ م . اصبح مؤسس الدولة البيزنطية فى القسطنطينيه عام ٣٣٠م اصبحت ايلياء مدينة بيزنطيه وبنت امه هيلانه بها كنيسه القيامة عام ٤٢٦ م .

وقد هاجر اليهود من فلسطين اثر السيطرة الرومانية وخاصة بعد فترة الانتفاضة التى قامت فى يهوذا ضد القهر الرمانى وعدم الاعتراف بالعبادة اليهودية وقمع الانتفاضة وتدمير الرومان لاورشليم وكانت قوة القمع الرومانى للقائمين بالانتفاضة وتدمير اورشليم احدى الحلقات فى سلسلة العذاب الذى منى به اليهود ومع قمع الانتفاضة فى يهوذا واضطهاد اليهود واستخدام العنف فى طرد اليهود، لكن للحقيقة والتاريخ فان وحشية الامبراطورية الرومانية لم تنصب على اليهود وحدهم بل على كل الشعوب ولاسيما شعوب الشرق التى قاومت الغزو والسيطرة الرومانية كما أن النضال ضد الطغيان الرومانى لم يتوقف على اليهود وحدهم بل التاريخ القديم قبل الميلاد وبعده بقليل يذكر اسماء شعوب اغرقت فى الدم واجناس ابيدت ومدن لم يعد لها وجود على وجه الارض .

وقد اعتنق العديد من شعوب العالم الديانة اليهودية بعد ان ذاب بقايا يهود بابل واسمور والفرس فى الكيانات الاخرى اثر هدم المعبد عام ٦٣ ق.م واليهود قبل ذلك التاريخ بل منذ عام ٥٨٦ ق.م السبى البابلى الثانى تفرقوا فى العديد من بلاد العالم وكانت توجد جاليات يهوديه تعيش فى مصر وبرقه وسوريا وما بين النهرين وايطاليا واليونان وان اليهود فى فلسطين قبل ظهور المسيحية لم يكن عددهم الا قليلاً لا يزيد عن عشرين الف نسمة بينما كان عددهم فى الامبراطورية

الرومانية الواسعة وحدها يقترب عن اربعة ملايين (اعداد مبالغ فيها) بمعنى ليس لهم حقوق فى فلسطين ، بل ان عدد اليهود بالاسكندرية فى العهد الرومانى كان يبلغ نحو ربع مليون نسمة أى حوالى ٤٠٪ من سكان الاسكندرية (يشكل اليهود حالياً ١٩٩٨ ٤٠٪ من سكان نيويورك العاصمة الامريكية إذ يصل عددهم الى ٢, ٥ مليون يهودى) .

ويشير كتاب تاريخ العالم القديم لمؤلفه لسكرا موزس ، ماكندريك ، الى ان صداما وقع بين الجاليات اليهودية والجاليه اليونانية فى الاسكندرية بسبب التنافس الاقتصادى وقد قتل فى هذه الثورة ٢٢٠ الف من السكان الاصليين ، لكن الامبراطور الرومانى كلاقدى ، اصدر قراراً يأمر فيه اليونانيين باحترام الحريات التى اعطاها الامبراطور (اوغسطينى) لليهود ويحذر اليهود فى نفس الوقت من استغلال الظروف لابتزاز الامتيازات .

وهكذا نرى فى فترة الحكم الرومانى عقد اليهود مع السلطات الرومانية صلحا منحوا بموجب حرية العبادة ، لكن بعد حريق روما اراد نيرون ان يمتص غضب الجماهير فالصق الاتهام بالمسيحين واليهود وانزل بهم اقصى الوان القتل والتعذيب والتشريد .

وهناك اقوال تذكر خضوع اليهود بنى اسرائيل وبقاياهم فى فلسطين لحكم العرب الانباط عام ٩٠ ق.م وظلت تابعة لعاصمتهم البتراء ، ثم غزاها الرومان واحتلوها فى اوائل القرن الاول الميلادى فى عهد القائد (يومبى) واصبحت فلسطين ولاية رومانية تحت السيادة المكابيه الشهيرة (جركانوس ، ثم انتيباس ، ثم هيروودس) وبعد وفاة هيروودس ألحقت فلسطين بروما مباشرة . واخذ الاباطره يعينون عليها ولاه رومانين وفى عهد اغسطس قيصر وقبل وفاة هيروودس ظهر المسيح .

وفى ذلك العهد وقعت لليهود احداثاً هامة حاسمة فى تاريخهم ففي عام ٢٧م تأمر رؤساء اليهود والكهنة وكان من بين الثورات العديدة التى قام بها اليهود تبرز ثورتان كان لها اثر كبير حيث كانت الثورة الاولى بين اعوام ٦٦ ، ٧٠ ميلادية وكانت الثورة الثانية بين اعوام ١٣٢ ، ١٣٤ ميلادية حيث كان اليهود فى عهد القائد (يومبى) يعاملون معاملة متميزة نظراً لكثرة الديانات فى الامبراطورية الرومانية حيث كان يترك لليهود ممارسة عبادتهم وطقوسهم الا فى الحالات التى يصر فيها بعض الاباطره على ان تكون العبادة لهم . ولكن اليهود لم يكونوا راضين الا عن عبادة

يهوه، وقد دبرت الثورة الاولى فى عهد الاميراطور (نيرون) فعهد الى قائده (قاسياسيان) باخمادها بكل قوة فقاد جيش جراراً يبلغ نحو خمسين الف مقاتل ، فدمر العديد من المدن الفلسطينية واخضع المناطق الريفية المحيطة بالمدن ثم تقدم لحصار اورشليم لكن نيرون مات فقام القائد تيطس وحاصر المدينة وشدد حصاره عليها ولم يرا اليهود بدا من الاستلام ولكنه كان شاقاً عليهم فقتلوا انفسهم ودخل تيطس القدس " اورشليم " منتصراً .

وفى ذلك يقول المؤرخ اليهودى الذى بالغ مبالغه كبيرة ولم تقبل عقلياً شأن مبالغة اليهود وهو المؤرخ ابوسيتفوس وصفاً لحادث استيلاء تيطس على اورشليم وقد جاء فى اقواله ان اليهود قرروا قتل انفسهم بانفسهم حتى لا يقعوا فى يد اعدائهم وينوا يقتلون نساءهم واولادهم ، ثم القوا اسلحتهم حول الاجساد المذبوحة واجروا بينهم القرعة لقتل الرجال واستمرت هذه العملية حتى قتل آخر واحد منهم نفسه وهذه الذبحه من المذابح المعروفة فى التاريخ (تيطس عام ٧٠ م) وقد ذهب فيها نحو مليون يهودى (اقوال مبالغه) ومن بقى أخذ اسيراً وعومل معاملة قاسية ايضاً وكانوا يواجهون الحيوانات المفترسة فى المدرجات ومنع اليهود من دخول اورشليم واستراحت روما منهم حيث كانت الدولة ترى فى ثورة اليهود عقبه قائله فكانت الابداه التى تلتها ابادات اخرى وهذا شأنهم فى كل عصر وتاريخ .

وهكذا اصبح اليهود بعد تحطيم الهيكل وطردهم من فلسطين مشتتين فى انحاء الارض ومن ثم كتب عليهم الفناء والنوبان فى خضم العالم المضطرب كما فنت ام كثيرة وهكذا اذا كان الرومان قد صبوا غضبهم على اليهود فان للفرس فضل كبير على الديانة اليهوديه لانهم منحوا اليهود حرية النشاط الدينى وشجعوهم على الاقامة فى فلسطين وفى بابل وسمحوا لهم بالانتشار فى شتى انحاء الامبراطورية الفارسية وامتدت الدعوة لليهودية من اورشليم الى انحاء الامبراطورية الواسعة فقامت بين اليهود من شتى انحاء الامبراطورية الواسعة وحده عامه شامله ولذا نجد النبى " ارميا " قد نصح بالزواج من الاجانب وكتب من اورشليم الى الاسرائيلين فى بابل وفارس وشتى انحاء الامبراطورية ان يتوكلوا هناك وان يبنوا البيوت ويفرسوا الجنات ويتزوجوا من بنات اهل

البلاد ويختلطوا بهم ويتكاثروا . وفى رسالة يقول فيها (هكذا قال الرب الجنود اله اسرائيل لكل السبى الذى سبيته من اورشليم الى بابل : ابنوا بيوتاً واسكنوا وخذوا نساء ولدوا بنين وبنات وخذوا لبنينكم نساء واعطوا بناتكم رجال منهم فيلدن بنين وبنات واستجاب القوم لدعوة " ارميا " وهكذا ذاب اليهود فى الشعوب التى سكنوا فيها وتهود شعب فى هذه البلاد من تزوج واعتنق اليهودية غير اليهود وبذلك يتنقى فكرة العودة للديار المقدسة اذا اصبح هؤلاء من اهل البلاد الاصليين.

وفى العهد الرومانى واجه اليهود مذابح عديدة لاسيما فى عهد الامبراطور " هادريان " وذلك فى الربع الاول من القرن الثانى الميلادى (١١٧-١٣٨م) حيث كان الامبراطور " هادريان " هو صاحب المذابح الشهيرة فى تاريخ اباداة اليهود نظراً لاعمالهم غير المقبولة لاسيما انه قد بدأ عهده بان كانت بينه وبينهم ود وسلام وكان قد اعطاهم حرية دينية واسعة رغم ضالة اعدادهم وقتلتها فى فلسطين بعد ان ذابوا فى انحاء الامبراطورية الرومانية بعد المذابح السابقة عام ٧٠م تيطس . لكن رغبة اليهود فى التوسع وعدم الخضوع لاوامر الامبراطور وقيامهم بالكثير من الدسائس وعقدهم المؤامرات السرية مما جعل الامبراطور يل الحكام يشعرون بالقلق فى كل بلد نزله اليهود ، لكن الامبراطور " هادريان " اراد ان يوحد الديانة والعبادة فى دولته بان يجعلها واحدة وكان يقصد من هذا التوحيد الدينى ان تجمعهما وحدة سياسية .

ومن ثم فقد كان قراره النهائى لابد من اباداة تامة وكاملة ومحو كل اثر لليهود واليهودية للابد ولذا فقد اصدر اوامره بتحريم قراءة التوراة وتحريم شعائر اليهودية بكل اشكالها لكن ازاء هذه القرارات الصارمة رفض اليهود وبقاياهم فى فلسطين هذه القرارات وقام الامبراطور امعاناً فى اذلال اليهود وحرماناً لهم من ممارسة شعائرهم دينياً وتأكيداً للوثنية ان يقام تمثال للاله جوبيتر Jupiter فى مكان الهيكل اليهودى فى اورشليم فقامت ثورة قادها " سيمون بن كوشيبا " Semea Ben Kochiba.

واستمرت هذه الثورة ثلاث سنوات بعد ان جمع اليهود العتاد والاسلحة وكونوا لانفسهم قوة حربية لكن فى عام ١٣٥م قام الامبراطور (هادريان) بتعين قائد جديد هو سيفروس sefarus لحرب اليهود وبادتهم لاسيما ان من بقى من الابادة الاولى عام ٧٠م على يد تيطس قد عمل على

ان يجعل سلاحه امامه فى بيته استعداداً لأية معركة قادمة وتم القضاء على جميع اليهود فى شتى انحاء فلسطين لأن حملة هادريان تعتبر من اعنف الحملات لاستئصال شأفة اليهود نهائياً لأن اسلافه قد اخطئوا فى السماح لليهود بممارسة نشاطهم الدينى وقرر ان تكون عقوبة ممارسة الشعائر الدينية الاعدام شتقاً وبهذا القرار كان اليهود يتساقطون بعد ان اصدر تعليماته بطاعة الدولة والقيام بالشعائر الوثنية وعبادة الاله جوبيتر . واجبر الرومان اليهود على القيام باعمال مخالفه للدين اليهودى ، بل انه امعناً فى ازالة معالم اليهودية غير الامبراطور اسم اورشليم .

فاتخذ لها اسما من اسم الاله جوبيتر وهو الياجويتر Aelia copitalina وحرّم على اليهود دخولها وكان اليهود فى فلسطين كلها قلة ضئيلة جداً حيث هاجر الآخرون الى اماكن شتى فى أنحاء الامبراطورية فنزحوا الى شمال افريقيه والى اسبانيا وعديد من البلاد الاوربية وبلاد ما بين النهرين حيث ذابوا فى هذه الاقطار وانقطعت كل صلة بينهم وبين فلسطين وكان من اثر الاضطهادات القاسية التى حدثت فى عهد هادريان ان اختفت الفرق اليهودية ومنها الفرقة اليهودية المسيحية التى كانت تعتبر المسيح بن مريم واحداً من انبياء بنى اسرائيل ولكن بعد موت هادريان عام ١٣٨م تولى الامبراطور انطونياس ييوس تودد اليه اليهود فقرر السماح لهم بممارسة الشعائر اليهودية ولكن ليس فى القدس (اورشليم ولكن فى الجليل) وحرّم عليهم دخول مدينة (الياجونير) اورشليم سابقاً والاكتفاء بالاقامة دون ان تكون لهم ادنى حقوق سياسية أو اجتماعية أو دينية شأنهم شأن الطوائف الأخرى التى تعيش فى نفس الامبراطورية كبرابره نظره الرومان الى الشعوب التى تخضع للحكم الرومانى .

وفى عام ٧٠ ميلادية حاول اليهود استغلال المركز الدينى الممنوح لهم فى القدس بعد عودتهم من الاسر البابلى لاغراض قومية وسياسية فزحف القائد الرومانى تيطس واخمد ثورتهم ودمر الهيكل مركز تجمعهم تحقيقاً لنبوءة المسيح ضدهم بخراب اورشليم ودمار الهيكل (انظر انجيل متى ٢٣: ٣٧-٣٩ ، ٢٤: ١-٢) .

وهكذا كان من اثر ثورة عام ٧٠ ميلادية ضد الرومان ان قام القائد الرومانى "تيتوس" هو تيطس بتدمير اورشليم وحرق الهيكل وبنى معبداً للاله " جوبيتر " وقتل عدداً كبيراً منهم وقضى

نهائياً على كل اثر لليهود بفلسطين وساق الالاف منهم الى الاسر وبيعوا فى سوق النخاسة كرقيق واختص " تيتوس " صديقه " فرونتو " بيهود اورشليم قاعمل فيهم الصلب والتعذيب كما ارسل الاقوياء منهم الى مصر ليعملوا فى مناجمها فى سيناء والصحراء الشرقية وجنوب مصر ، اما الاطفال والنساء فقد بيعوا فى مختلف اسواق الامبراطورية الرومانية حتى كانت امنية اليهودى ان يقع فى ايدي رحيمه بدلاً من ان يقع فى حلبة مصارعة الثيران ، كما انتشر الكثيرون فى بقاع الارض وبخاصة فى بلاد ما بين النهرين والجزيرة العربية (اليمن) ومصر وبرقه ويقدر (يوسيفورس) عدد من هلك من اليهود فى تلك الاحداث بمائه وسبعه وتسعين الف اما (تاستس) فيقدرهم بستمائة الف يهودى وهكذا كانت هذه المجزرة ابادة تامة لليهود مع بداية حكمهم لفلسطين

وحاول اليهود الثورة فى عهد الامبراطور (تراجان) عام ١١٦م تقريباً لكن ثورتهم باءت بالفشل وأخذ تراجان منهم بعد أن اصاب منهم قتلا وتعذيباً وارسل عدداً من الاسرى الى روما ليشكلوا مع من سبقوهم جالية يهودية فعملت فى التبشير ونشر اليهودية فى انحاء روما والمدن الاوربية الاخرى الواقعة تحت السيطرة الرومانية .

وجاء " هادريان " قاعلن عام ١٣٠م انه يعقزم بناء معبد لجوبيتر آله روما ، فى مكان الهيكل فى اورشليم واصدر عام ١٣١م مرسوماً يحرم الشريعة اليهودية علانية وحرم عطلة السبت والاحتفال بأى عيد يهودى أو اقامة اية طقوس يهودية عليه وفرض ضريبة شخصية كبيرة على كل اليهود ، لكن قامت ثورة يهودية عارمه وهى ما تعرف باسم ثورة (باركوشيا) التى استمرت ثلاث سنوات فدمر الرومان خلالها ٩٨٥ قرية ومدينة فى فلسطين بكل سكانها سواء اكانوا يهوداً أو غير يهود وذبحوا ثمانين الف يهودى وقتل قائد الثورة (باركوشيا) نفسه فى الثورة، ومن اثر قسوة اباطرة روما من امثال (نيرون ، تراجان ، هادريان) وشتت وذبح الالاف من اليهود ولم يرتفع صوت يهودى فى فلسطين بعد ذلك وتفرغ احبارهم الحاخامات لكتابة الكتب الدينية ورضوا بالمدله والهوان وكان التلمود البابلى والفلسطينى يتعارضان ولا ننكر ان هذه الغزوات قد تركت طابعها على حياة المجتمع فالبلاد قد اصبحت جزء من الحضارة الاراميه الهيلثيه والبيزنطيه حيث كان الناس يتكلمون الاراميه ويكتب المفكرون بالاغريقيه ولكنها كانت الحضارة القديمة التى انبثقت عنها

الحضارة العربية اللاحقه ، ولهذا فإن حياة الناس فى فلسطين والبلاد المجاورة وبقية ارض الشام وبلاد النهرين لم تكن الا امتداد للوضع العربى القديم وخاصة الكنعانيين فى فلسطين وهو مقومات الوطن العربى الكنعانى .

وهكذا كان الشتات الرومانى فى العصر الرومانى والوسيط هو الشتات الثالث المدمر فى تاريخ اليهود القديم انه الشتات الذى اخذهم بعيداً الى العالم الغربى فى اوربا الى اقصى الغرب وذلك فى حركة تستمر عبر العصور الوسطى حتى العصور الحديثة وقد بدأ هذا الشتات كما سبق القول مع الثورة اليهودية المكابيه لكنه اكتمل مع الفتح الرومانى لفلسطين الذى يكاد يتقارب مع بداية العصر المسيحى ولقد تواصلت ثورات بقايا اليهود من اجل ممارسة عقيدتهم اليهودية التى لم يكن مسموحاً بها علانيه والذين لم يكونوا إلا أقلية خبيثه جداً بين سكان فلسطين وكان رد الحكم الرومانى هو تخريب اورشليم والهيكل وبإبادة تامة فى مذبحة عام ٧٠م الفاصلة فى حياة اليهود والامبراطور " تيتوس " الذى اباد اغلبهم محلياً وفر منها اقلهم الى مصر وسوريا غير ان بقايا اليهود عادوا الى الثورة عام ١٣٥م . حيث قوبلوا بمذبحة نهائية (هادريان) ختمت الى الابد مصير اليهود فى فلسطين فبعد تدمير اورشليم والهيكل مرة اخرى صفيت بقايا اليهود بالابادة والهجرة فعن الابادة الاولى عام ٧٠م يقول يوسفوس Josephus ان ١,٣٥٠ مليون وثلثمائة وخمسين الف ، قتلوا فى المعارك التى يعدها كما يقال ان ٩٠٠,٠٠٠ تسعمائة الف اخرين اسروا أو بيعوا كالرقيق كما مات منهم الالاف غيرهم من المجاعات والابوءه والمذابح .

ويعلق منتجتون ، وهو جغرافى يهودى لا يخفى تعصبه بأن هذه الارقام مبالغ فيها وانها خرافيه لان الادله التاريخية واشارات التوراة نفسها تضع تعداد اليهود لا تتجاوز ثلاثة ارباع المليون كحد اعلى ومن الناحية الاخرى فإن البعض يقدر ان عدد من ابيد من اليهود فى هذه الثورة لا يقل عن ٦٠٠ الف يهودى وحتى الذى تبقى تكلفت الهجرة القهرية بتصفيته ، فقد حرم الرومان على اليهود دخول القدس نهائياً وطردهم من فلسطين الى اجزاء الامبراطورية الواسعة وكان هذا هو التاريخ الذى انتهت فيه والى الابد علاقة اليهود بفلسطين سكانيا ودينياً بل وسياسياً انه الخروج النهائى والابدى والاخير فى العصر الرومانى كذلك فقد ضل وطرد كل اليهود من قبرص

وحتى ندرك مدى ضالة ما تبقى من اليهود يعد هذه المذابح والمطاردات يكفي ان نذكر ان عدد يهود الخروج الاخير قد قدر بنحو اربعين الف يهودى .

اما من تبقى بعد هذا وذاك من يهود فلسطين فشرذام ضئيلة ازدادت تناقصاً فيما بعد بتحول بعض افرادها الى المسيحية ولعل اهم تلك البقايا السامريون الذين تحولوا الى قوقه قزميه مقلقه فى نابلس (Schechem) القديمة حتى انها لاتزيد اليوم عن مائه أو مائتى فرد وفى بداية القرن التاسع عشر لم يكن عدد اليهود فى فلسطين كلها لا يزيد عن خمسة الاف نسمة .

والملاحظ ان تحولاً جذرياً طرأ على اليهود بعد هذه الابداء الشاملة والتشريد فتاريخهم قبل عصر التوراة وبعدها تاريخ دموى حربى كله الغزو والعدوان ، اما بعد مجازر الاشوريين والبابليين ثم الرومان فقد تحول اليهودى فجأة الى شخصية مستضعفه خائفه تعيش ذليله .

وفى العصر الاغريقى كانت مصر فى ذاك الزمن مركزاً عظيماً للثقافة الاغريقية ولم يستطع اليهود تجنب تأثير هذا العامل فقد انصرفوا الى اللغة اليونانية واستبدال الاسماء العبرية بأخرى يونانية وكانت تصدر هنا باللغة اليونانية مؤلفات تدعو الى التوراة وأخرى تمزج بين تعاليم التوراة والافكار الفلسفية السائدة محلياً ومنها اليونانية والاغريقية .

ويولد المسيح عليه السلام فى ايام " هيرودس " الملك وعلى جبل صهيون اذاع المسيح موعظته وتحققت نبوءة اشعيا فى هذه الموعظة لأنه من صهيوت يخرج الشريعة ومن اورشليم كلمة الرب ، وفى هذه الفترة عادت فلسطين كتعانيه عربية تستقبل هجرات العرب من سوريا ومن الجزيرة العربية واصبحت البقية الباقية من اسرائيل وهم يهودا وتحققت نبوءات المسيح بخراب اورشليم ودمار الهيكل ذلك لأنه بعد اعلان (دقلديانوس) ٢٨٢-٣٠٥ م . اتخاذ الامبراطورية الرومانية الديانة المسيحية ديناً رسمياً للبلاد واصبحت القدس عاصمة مسيحية واصبحت اليهودية بدعه واعتناقها جريمة ، ولقى اليهود من الاضطهاد على يد المسيحيين ما لم يلاقوه فى كل العصور وبخاصه بعد ان انتشرت المسيحية فى اوربا وفى القرن الرابع الميلادى عقد صلح بين الكنيسة والدولة الرومانية نص على اعتبار اليهودية العدو الاول للمسيحية عقائدياً وسياسياً فصدرت مجموعة القوانين المعروفة باسم قوانين (قسطنطين وصدر القرار التالى فى ١٨ اكتوبر عام ٣١٥ م) وهذا نصه :

" ليعلم اليهود عامة انه بعد صدور هذا القانون يعاقب كل يهودى يتعرض ليهودى آخر ترك ملته الى المسيحية بالاعدام حرقاً هو ومن يعاونه أو يحرضه ويعاقب بنفس العقوبة كل مسيحى منحرف أو أى فرد من افراد الشعب يعتنق اليهودية الدنيئة " وجاء " جيستبان " فحرم عليهم اقامة الصلوات وقراءة الكتاب المقدس باللغة العبريه وطالبهم باستخدام ترجمه يونانيه وتتابع القوانين القيصريه بانزال العقوبة بهم وظل هذا حالهم حتى ظهر الملك الفارسى (خسرو الثانى) وانقض على املاك الروم وسقطت فى يده اورشليم فما كان من اليهود إلا ان اشتركوا مع الفرس فى التنكيل بالمسيحين وخربوا الديره والكنايس فى كل مكان خضع لسيطرة الفرس واجبروا عدداً كبيراً من المسيحين على اعتناق اليهودية ثم عاد اليهود وخانوا الفرس ، مما دفع القائد الفارسى الى التنكيل بهم وسبى عدد كبير منهم وارسلهم الى فارس .

وبعد ذلك اخذ اليهود يتوددون الى القيصر (هيرقليدس) فاستجاب لهم رغبة فى الانتقام من الفرس ولما انتصر الروم بقيادة (هيرقليدس) على الفرس واستعاد اورشليم ثار المسيحين من اليهود ونكلوا باليهود شر تنكيل وفى عام ٤٣٩م صدر تشريع ينص على انه لا يجوز لليهودى ان يتقلد مناصب أو يحمل انواع شرف كما لايجوز تعيينه فى عمل يتصل بالادارة أو الدفاع عن اليهود ، واصبح (يزدجر الثانى الفارسى) عام ٤٣٨م ، فى العراق جلادا لليهود بامر من الامبراطور وبتحريض من مزدك ، قاضطهم واغلاق معابدهم وطاردهم .

وهكذا ظل اليهود طيلة فترات التاريخ يلاقون الاضطهاد والقسوة ولم يتنفسوا الصعداء إلا فى ظل الإسلام ولقد انتقم منهم الرومان فى القرن الرابع الميلادى بسبب غدرهم بالسيد المسيح وحرمت المدينة عليهم وصار مكان الهيكل قمامه تجمع فيها القاذورات من المدينة ومن خارجها .

الفصل العاشر

"عروبة فلسطين منذ اربعة الاف عام قبل الميلاد"

ان فلسطين عربية منذ ظهور العنصر العربى بها فى العصر البرونزى (خمسة الاف عام قبل الميلاد) وان العاصمة للعرب اليبوسين (ييوس) الذين هم جزء من الكنعانيين مدينة تاريخية قديمة وقد ورد اولى ذكر لها فى النصوص المصرية فى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد كما ورد اسم المدينة (ييوس) فى رسائل تل العمارنه المصرية فى مركز ديرمواس محافظة المنيا بصعيد مصر والتي يرجع تاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وقد كان اليبوسيون الذين هم فرع من العرب الكنعانيين هم اقدم سكانها وهم قبائل عربية كنعانية كانت على عهد ملكهم تسمى (ييوس) ووردت بهذا الاسم فى العهد القديم اربع مرات وكلها تؤكد جميعها عروبة فلسطين والقدس منذ اقدم الازمنة قبل الميلاد بعدة قرون .

وجاء فى العهد القديم سفر القضاة الاصحاح ١٩ فقرة ١٠ ، فلم يرد الرجل أى بيت، بل قام وذهب وجاء الى مقابل " ييوس " وهى اورشليم ، وفيما هم عند ييوس والنهار قد انحدر جداً ، قال الغلام لسيدته تعال نميل الى مدينة اليبوسين هذه ونبيت فيها فقال له سيده لا نميل الى مدينة غريبه حيث لا احد من بنى اسرائيل هنا (سفر القضاة الاصحاح ١٩/١١-١٢) وذهب داود وكل اسرائيل الى اورشليم اى ييوس وهناك اليبوسيون سكان الارض (اخبار الايام الاول ٤/١١) وقال سكان ييوس لداود لا تدخل هنا فاخذ داود حصن صهيون وهى مدينة داود .

واليبوسيون كما اسلفنا اقوام عرب ينتمون الى اسم قبيلة كنعانية سكنت ييوس والجبال التى حولها قبل ايام يشوع بايام طويله ونظراً لقوتهم لم يستطيع داود القضاء عليهم أوطردهم من ييوس بل وقد اشترى داود عليه السلام بياره من اروحه اليبوس حيث بنى سليمان من بعده الهيكل، لكن سليمان هو الذى اخضع اليبوسين وضرب عليهم تسخير العبودية وفرض عليهم الجزية ودخل بعض اليبوسين فى اليهودية الى ما بعد الرجوع من السبى البابلى .

اذن فأول من سكنها هم العرب اليبوسيون حيث ظلوا يقيمون بها ومنهم من سبوا الى بابل ثم عادوا مع انتهاء السبى فصار عليهم ما يصير على بنى اسرائيل وهو ما يدحض منذ هذا التاريخ البعيد ادعاء النقاء العرقى العنصرى ويبطل فكرة نقاء الجنس اليهودى .

ونقرر هنا حقيقة علمية وهى ان اسم (اورشاليم) والمدينة المقدسة والمدينة وصهيون قد وردت جميعها فقط ضمن اسفار الانبياء الاوائل " يشوع ، القضاة ، صموئيل الاول والثانى ، الملوك الاول والثانى والانبياء الاواخر ، اشعيا ، ارميا ، حزاقيا " وغيرهم وكذا وردت ضمن المكتوبات التى تشتمل على اسفار المزامير والامثال وايوب حتى سفر اخبار الايام وهذه الاسفار جميعها تعرض تاريخ انبياء بنى اسرائيل الذين ارسلوا بعد موسى وجميع هذه الاسفار تحتل فى قدسيته الدينية المرتبة الثانية بعد القسم الاول وهو (التوراة) التى تشتمل على الاسفار الخمسة التى نزلت على موسى عليه السلام فى جبل سيناء وكتبها بنفسه ومن هنا تأتى قدسيته ولم ترد كلمة فلسطين أو اورشليم فى متن هذه الاسفار الخمسة بل وردت كلمة (اليبوس) نسبة الى ييوس المدينة التى من المؤكد انها لم تعرف باسم آخر حتى هذا الوقت حيث وردت بهذا المعنى فى سفر التكوين والاصحاح (١٠ / فقرة ١٦) وكذلك الاصحاح (٢١ / ١٥) من نفس السفر وردت صريحه فى سفر الخروج الاصحاح (٣ فقرة ١٧) وفيها قيل الآتى :

اصعدكم من مذلة مصر الى ارض الكنعانيين واليبوسين الى ارض تفيض لبناً وعسلاً ووردت بنفس الصراحة فى سفر العدد (٢٩ / ١٢) وهذا يعطى الدليل على انهم غاصبون للارض الكنعانية والحقيقة وردت هذه الاسماء المستندة الى ييوس والتى عرفت بعد ذلك فى سفر يشوع بأنها هى القدس واليبوسيون هى اورشليم (يشوع ٢٨ / ١٨) ويعطى صفة القدسية للمدينة من ناحية ويؤكد وجودها العربى قبل الاسماء اليهودية جميعها ولو استعرضنا تاريخ مدينة القدس سوف نقف على حقيقة عروبتها وعلى مدى اهمية تعميق جانب الفكر العلمى المتعمق لتأكيد هذه الحقيقة التاريخية ان القدس سوف تظل منفردة بمكانتها الروحية والتاريخية والحضارية بما تتضمنه من آثار وتراث للديانات السماوية ولما بعثته ونشرته فى العالم من القيم الخيره ولقد استأثرت المدينة بهذه المكانة عبر التاريخ وتعرضت منذ تأسيسها على يد الكنعانيين العرب فى عام ١٨٠٠ ق.م . الى الكثير من الغزوات .

وهكذا فإن جميع المصادر التاريخية بما فيها بعض كتب اليهود تؤكد ان فلسطين والقدس لم تكن عبر تاريخها الطويل الممتد من ظهور الشعب العربى الكنعانى فى العصر البرونزى طوال خمسة الاف سنة (٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد) على يد اليبوسين وهم كنعانيون رحلوا من الجزيرة العربية ولا يمتون بصله للعبيرانيين وحتى احتلها الاسرائيليون حتى عام ١٩٦٧ ميلادية وكانت وما

زالت عربية واسلامية الهوية وحتى فى الفترة التى يدعى فيها الاسرائيليون اقامة ما يسمى امبراطورية داود وسليمان (١٠٠٠-٩٢٧ ق.م) فإنها لم تستمر سوى ثلاثة وسبعين سنة فقط حيث بدأت عام (١٠٠٠) وانتهت عام ٩٢٧ ق.م) وخلال هذه الفترة كان اليهود اقلية بين سكان فلسطين الاصليين الذين كانوا يضمون كنعانيين واشوريين وحيثيين واموريين وقرزيين وصوريين ويبوسيين كما يعترف العهد القديم بهذه الحقيقة فى سفر القضاة فيذكر ان بنى بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان ييوس حتى اليوم أو حتى فترة السبى البابلى فى القرن السادس قبل الميلاد ٥٨٦ ق.م وهو ما يؤكد ان اليهود دخلوا ارض كنعان (فلسطين) بالتسلل والحلول السلمى التدريجى وسكنوا مع سكان البلاد الاصليين وذلك فى عهد ابراهيم وابناؤه ولو كان لهم قدرة على طرد السكان الاصليين لما ترددوا فى ذلك ويؤكد حقيقة صغر عمر ما يسمى بمملكة داود وسليمان وان المملكة المتحدة لداود وسليمان استمرت فى حياتها اقل من ثلاثة ارباع القرن فقط .

وتقول قصة بناء الهيكل لقد شرع سليمان فى بناء وتشيد الهيكل بعد اربع سنوات من توليه الحكم ٩٦٠ ق.م وتم تدميره بالكامل عام ٥٨٦ ق.م ولم يبق منه حجر واحد وان الهيكل لم يزد عن ١١٢x٧٥ قدم طوًلاً وفى العرض على ٣٢,٥ قدم ، اما اخبار ما يتعلق بالفترة التالية وما يسمى بمملكة اسرائيل وعاصمتها شكيم ، والثانية فى الجنوب وتسمى (مملكة يهوذا) وعاصمتها اورشليم فقد تم القضاء على مملكة اسرائيل من قبل الاشوريين عام ٧٢٠ أو ٧٢٢ ق.م والذين قاموا بقتل وتشريد اليهود الى مناطق متعددة فى الامبراطورية الاشورية .

اما مملكة يهوذا فقد تم القضاء عليها ايضاً عام ٥٨٦ ق.م من قبل الاشوريين ايضاً من قبل (نبوخذ نصر) ملك الكلدانيين الذى هدم الهيكل واقتاد ٧٠ سبعين الف من سكانها اسرى الى بابل وقد استمرت فترة السبى البابلى الى عام ٥٣٩ ق.م عندما احتل (قورش) ملك فارس مدينة بابل وسمح لنصف الاسرى اليهود بالعودة الى اورشليم وبقي النصف الآخر فى العراق واستمرت الحقبة الفارسية حتى عام ٣٣٢ ق.م عندما احتل الاسكندر الاكبر معظم مناطق الشرق الاوسط واستمرت هذه المرحلة حتى عام ٦٣ ق.م عندما احتل القائد (بومباي) سوريا وفلسطين وتعاقبت المراحل التاريخية على فلسطين والقدس بعد ذلك فكانت الحقبة الرومانية (٦٣ م الى ٣٢٤ م) حينما استولى الامبراطور هادريان على فلسطين والقدس عام ٢٣٥ م . ودمرها وبدا اسمها الى (ايليا) أو (كايبولينا) ثم جاءت الحقبة البيزنطية من ٣٢٤ الى ٦٣٦ م حيث اعاد الامبراطور البيزنطى اسمها

القديس أورشليم وظلوا كذلك تحت السيطرة الرومانية يعاملون كعبيد حتى كان دخول الاسلام الى فلسطين عام ٦٣٦ م .

وهكذا نرى بعد هذا العرض الموجز كيف ان فلسطين كانت عربية كنعانية ييوسيه منذ خمسة الاف عام قبل الميلاد وقبل قدوم ابراهيم عليه السلام الجد الاعلى ليهود التوراة الذين لم يعد لهم وجود فى العصر الحديث طبقاً لما جاء فى الفصل الاول من هذه الدراسة وذلك بمضى خمسة الاف عام والعصر البرونزى مجئ الكنعانيين ٥٠٠٠ خمسة الاف سنة قبل الميلاد وقدوم ابراهيم من اور فى كلدانيا فى شمال العراق الى فلسطين عام ١٨٠٠ أو ١٨٠٥ ق.م.

ومن هنا فلا بد من العودة التاريخية للوراء حيث التاريخ القديم ليتأكد القارئ الكريم من عروبة فلسطين من قديم الزمن قبل الاسرائيلين بثلاثة قرون أو اكثر وما كان الاسرائيلين إلا دخلاء مفتصبوا اراضى الكنعانيين العرب واحتلوها لفترة قصيرة كما سبق القول وتقول انه قد استقر الرأى العلمى على حقيقة ثابتة هى أن الحضارة المصرية الفرعونية القديمة وتليها حضارة ما بين الرافدين أو حضارة العراق القديم على انهما اقدم الحضارات القديمة فى العالم بجانب الثلاثية الصينية منذ فجر التاريخ ومن المعروف ان هاتين الحضارتين كما جاء فى الفصول السابقة كانتا تلتقيان فى سوريا الكبرى (بلاد الشام) وبصفة خاصة فلسطين التى كانت تخضع للنفوذ المصرى القديم عبر فترات التاريخ المختلفة وكما هو ثابت فإن التأثير المصرى فى فلسطين وجنوب سوريا كان له التأثير القوى والواضح والفعال فى تلك الاجزاء .

ومن هنا كانت هجرة ابراهيم ومن بعده حفيده يعقوب بن اسحق والاسباط الاثنى عشر الى مصر ومن الثابت تاريخياً وانثربولوجياً ان جميع شعوب الشرق القديم كانت على صلة دائمة بعضها ببعض وكانت التجارة قد عرفت طريقها بين هذه الشعوب ، كما اخذت الهجرات تتوالى الى هذه الاماكن حيث النقطة الممتدة من النيل غرباً الى بلاد ما بين النهرين شرقاً وذلك منذ الاف من السنين فى جنوب شرق البحر الابيض المتوسط حيث ترك انحسار البحر البليوسينى ارضاً جافة تمتد من الاطلس الى الخليج حيث شقت فى تلك المنطقة انهار النيل والعاصى والفرات ودجله بمجاريها وتكونت وديانها لتقوم اقدم حضارات النهرين واشوريا تجمع بينهما وحدة جيولوجية وطبيعية ولاشك ان السهول والوديان الممتدة من ليبيا غرباً الى ايران شرقاً قد تجمعت بظروف

متشابهه حيث أصبحت هذه المناطق سكناً لاهالى الشرق القديم ولذلك فإن تاريخ الشرق القديم يدرس مبكراً بضع الاف من السنين عن ذلك التاريخ فى اية منطقة اخرى .

وقد ظلت الظروف موافيه فى وادى النيل والفرات وما بينهما من بلاد ولذلك نشأت اول حضارتين رئيسيتين بين اهل مصر وكلدنيا ولقد وجدت آثار تعود الى مصر وفلسطين فى تاريخ سابق لعام اربعة الاف قبل الميلاد ومن جهة اخرى فكل شئ يدل على أن فكرة تسرب عناصر من آسيا وشبه الجزيرة العربية الى مصر قد تم فى ذلك التاريخ وانهم عبروا الى فلسطين ثم سيناء و ثم الى مصر اخيراً .

ومن هنا فان فكرة امتزاج المصريين باهل الشام وبلاد ما بين النهرين تسلطت على عقول الا ثرين وهم يستعرضون عصور ما قبل التاريخ وان شعباً قدم من الشرق قبل عام ٣١٠٠ ق.م واستقر فى وادى النيل قادماً من الشرق بعد خروجهم من الجزيرة العربية وانهم عبروا وادى النيل وعلموا المصريين فن البناء بالطوب وادخلوا الكتابه والاختام الاسطوانيه على الاجر وعملوا فى استخدام الذهب والنحاس والبرونز وتتشابه انواع معينة من الاسلحة والمباني فى بلدة نقاده بصعيد مصر وبلدة تيللون فيما بين النهرين وان كل ذلك يعود فى الاصل الى قوم اسيوين .

وقد اجاب غالبية علماء التاريخ القديم بأن البابليين العرب الذين كانوا يعاصرون قيام الاسرة الاولى فى مصر قد ظهوروا فجأة فى اواسط ما بين النهرين خلال الف الرابعة قبل الميلاد .

ومن ثم فقد صارت مصر مركز الحضارة فى العالم القديم كما انها ترتبط فى نفس الوقت بين شاطئى شمال افريقيا وشبه الجزيرة العربية وآسيا الصغرى وقد ذكر (كوليين ماكفيدى) فى كتاب اطلس التاريخ الافريقى ان المصريين القدماء لم يستخدموا الزراعة فى انتاج الحبوب إلا بعد أن استوردوها من الخارج وذلك من شعوب الشرق العربى ، وانه من حوالى خمسة الاف سنة قبل الميلاد انتقل هذا الاسلوب الجديد للزراعة من وادى الاردن الى وادى النيل أى من فلسطين الى مصر أى من المنطقة التى نسميها مثلث الحضارة القديمة أى بابل وسوريا واليمن ومصر .

ومن ثم نجد الشعير والذرة والقمح والثران والماعز والخراف توجد على الفطره فى غرب آسيا فمن تلك المنطقة انتقلت الى الشرق العربى على التوالي مع حضارات بابل واليمن ومصر .

وقد خلص رجال الآثار والتاريخ القديم عن الشرق العربى القديم أن بلاد الشام ومصر وشمال افريقيه مرتبط بجنوب غرب آسيا وجنوب البحر المتوسط بالارض والجنس وان سكانها

تربط بينهم مجموعة صلات وان الصلات استمرت مضطرده بين مصر وفلسطين واليمن وغرب الجزيرة وان التمازج والتزاوج والاختلاط بين هذه المناطق كان بصفه مستمرة وان العرب كانوا منتشرين فى برزخ السويس وشبه جزيرة سيناء متجاورين ومتراپطين بين فلسطين ومصر وهم اسيويون صميمون .

وقد اثبتت فبور (ابيدوس فى سوهاج بصعيد مصر) والتي تعود الى العصر النيوليتى أن صلات تجارية متبادلة كانت قائمة بين مصر وفلسطين وقد ثبت ان صلات مباشرة أو غير مباشرة بين الدلتا وشمال سوريا بل فى فلسطين وكل مناطق جنوب الشام كانت قائمة فى بداية العصر التاريخى مع الكنعانيين واليبوسين والاراميون وغيرهم من الشعوب العربية الكثيرة العدد التى حفلت بها تلك المنطقة الواقعة بين مصر وبلاد الرافدين حيث كانت منطقة جذب سكانى لكل الموجات التى تخرج من الجزيرة العربية .

ولتأكيد الدور المصرى منذ اقدم العصور فى تلك المناطق فقد اقام المصريون فى وادى طميلات وهو الطريق الجنوبى عبر سيناء الى فلسطين نقطاً محصنه للحراسة ودفع غارات البدو الذين كانت تدفعهم الظروف الاقتصادية وحياة البداوه للنزوح الى مصر طلباً للمعيشه (ابراهيم ويوسف واخوته ويعقوب والدهم) وغيرها من الهجرات الكثيرة ومنها الغزوه المعروفه فى التاريخ القديم بالغزو الهكسوسى الذى بدأ فى الاسرة الثانية عشرة وانتهى على يد "اح موسى" فى بداية الاسرة الثامنة عشر ، ولقد اقام المصريون معابد لعبادة الآله سبتوا Septu اله الشرق وكانت تماثيل الاله المصرى تعتبر الى جانب الاله المحلية فى الشرق العربى الاسيوى ، وكان الفراعنه المصريون يعبدون فى سيناء الاله التى كانت تعتبر إله الشرق الموجوده نقطة الوصل بين مصر وفلسطين فكانت هذه الوحدة الروحية تدعياً للوحدة السياسية ويتضح من قراءة حجر بالريمو Palermo عاصمة صقيله ، وصول اربعين سقينه محمله باشجار الارز الذى يحتاج اليه المصريون قادمة من لبنان فى عهد الملك ستفر فى الاسرة الرابعة بناء الاهرام وهذا يعطى الدليل القوى بقيام صلات تجارية مع المناطق الآسيوية التى تقع الى الشرق والشمال من سيناء ومن الثابت علمياً ان هناك وحدة ملحوظه بين العناصر الانثربولوجيه لاقوام فلسطين وما بين النهرين الذين يسمون عرب كنعانيين وفنيقيين وعمورين وكلدانيين واشوريين كما ان هذه الوحدة ملحوظه ايضاً فى لغاتهم .

وحوالى منتصف الالف الثانى قبل الميلاد كانت هجرة الكنعانيين الذين حلوا غرب الشام

وفلسطين قبل ٣٥٠٠ ق.م وكذلك أيضاً الفينيقيين اول من نشر في العالم نظاماً خاصاً للكتابة بالحروف الهجائية بعد اخذها من اللغة الهيروغليفية وطورها وكان ذلك ما بين ٢٥٠٠-١٨٠٠ ق.م . وكذلك تسرب الاراميون السريان في فلسطين وشمال سهل البقاع الواقع بين جبل لبنان الشرقي والغربي وكذلك حوالي ٢٥٠٠ ق.م نزل الانباط الارض الواقعة الى الشمال الشرقي من شبه جزيرة سيناء . ومن الآثار المصرية تبدأ معرفتنا في أواخر الألف الرابع (٤٠٠٠) قبل الميلاد لأهل فلسطين وما بين النهرين حيث يتبين بوضوح صورة العرب الذين من اصل سامي بحث والذين يسكنون الواحات والصحاري العربية سواء شبه جزيرة سيناء أو على الضفة اليمنى من النيل وجبال سيناء أو المنطقة الجرداء بين مصر وفلسطين وكذلك ظهرت العناصر العربية القوية على شاطئ السهل الفلسطيني الذي يسمى اذ ذاك (شبلح) Shephelah وفي منخفض نهر الاردن والعاصى بسوريا كانت تسكن اقوام من العرب الساميين الذين كانوا يسكنون شاطئ فلسطين وسوريا والى هؤلاء القوم ينتمى الكنعانيون الذين لم يظهر اسمهم بقوة الا في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد كما يؤكد ذلك المؤرخ (مايرو) Mayer وكذلك العموريون الذين انتشروا حتى دخلوا الى كلدان في عصر مبكر وقد سمي هؤلاء باسم العرب منذ القرن الحادي والثلاثين ٢١٠٠ قبل الميلاد .

ومنذ ذلك التاريخ لوحظت الوحدة اللغوية التي ربطت بين لغات تلك القبائل فقد كانت تعود في اصلها الصميم الى اللهجات التي تحدث بها عرب شبه الجزيرة العربية وتحدث بها الكنعانيون والبابليون والاشوريون والاراميون ، بل ان البدو العرب دفعوا في عصور قديمة قطعان ماشيتهم نحو مصر وقادوا قوافلهم عبر سيناء وصحراء مصر الشرقية وذلك طيلة الاف السنين وكذلك وجدت صلات بحرية تتأني من ان السفن المصرية قبل نهاية الألف (٤٠٠٠) الرابعة قبل الميلاد كانت تتردد على شاطئ البحر المتوسط الفلسطيني والفينيقي والذين كانوا يسكنون من حيفا جنوباً الى صور شمالاً .

ومن ثم فان سكان هذه المنطقة لم يعرف عنهم شئ الا من الآثار المصرية والكلدانية ولم يبدأ تاريخهم الا مع الفينيقيين في الشمال والفلسطينيين في الجنوب حوالي ١٦٠٠ ق.م ولم يطلق اسم فلسطين على هذا الجزء من الشرق القديم الا بعد ان قدمت قبائل عربية باسم بالسيتا أو فلسطينا

وكان قدومهم من شمال غرب الجزيرة العربية وقد سيطروا على الشاطئ الفلسطيني من غزه جنوباً ثم اتجهوا للداخل .

وهكذا فان هذه المنطقة قد سكنتها اقوام عربية بل الاقوام العربية الاولى القادمة من شبه الجزيرة العربية . وهذا الرأي هو الرأي العلمى السليم الذى استقر عليه المؤرخين والاثريين ورجال الانثربولوجيا حيث ان الجزيرة العربية تعتبر الموطن بل الوطن الاول والاصلى للعرب الساميين الذين خرجوا منها فى الاتجاهات المجاورة للمنطقة .

وقد ذهب المؤرخون الى وجود السلالة الجنسية العربية السامية فى هذه المنطقة الممتدة من المحيط الاطلسى غرباً الى الخليج العربى شرقاً ولاسيما ان هناك اتفاق ان هجرة عربية خرجت من شبه الجزيرة حوالى ٢٥٠٠ ق.م أى بعد الالف الاول عام على الهجرة الاولى وان هذه الهجرة الثانية هى التى احلت محل العموريين والكنعانيين والفنيقيين فى سوريا وسواحل البحر الابيض الشرقية ، وان علماء اللغات فى تاريخ الشرق القديم لاحظوا وجه الشبه بين لغات الاسيويين العرب الساميين الذين كانوا على صلة مستمرة بمصر منذ فجر التاريخ . ولاجدال فى ان الكنعانيين من القبائل العربية الكبيرة والقوية التى سكنت فلسطين واستوطنتها منذ ٢٥٠٠ ق.م وانها صبغت تلك الديار بالصبغة العربية التامة وان هذه القبائل قد انصهرت مع من سبقها من قبائل عربية مهاجرة من شبه الجزيرة العربية ومن بلاد الرافدين ، حيث كانوا يشكلون غالبية السكان اضافة الى اخوانهم الفنيقيين الذين سكنوا الى الشمال قليلاً من فلسطين وبالتحديد فى الساحل السورى للبنان وان ظهور الجفاف فى شبه الجزيرة العربية تغرى اليه الهجرة العربية السامية التى اندفعت منذ منتصف الالف الرابعة قبل الميلاد أى حوالى (٢٥٠٠ قبل الميلاد) لاسيما قد ذهب كثير من العلماء والجيولوجيين الى أن منطقة نجد فى شرق الجزيرة العربية هى منبع الهجرات العربية السامية وأن منطقة البحرين هى منبع هجرة الفنيقيين وغيرهم من القبائل العربية الى تلك المناطق من بلاد الشام .

ويذهب مؤرخون اخرون الى ان شبه الجزيرة العربية هى المنبع الذى تدفقت منه الهجرات العربية الى تلك المناطق فى فلسطين ولبنان وسوريا ولقد تم ضم فلسطين وبلاد الساحل تحت حكم الاسرة العربية الاكادية التى خرجت من مدينة اكاد ونجحت فى مد سيطرتها ونفوذها ، واستطاع " سارجون " الاكادى حوالى عام ٢٨٥٠ ق.م أن يؤسس مملكة فى مناطق كثيرة من شبه الجزيرة

العربية كمدن سومر ، وآكاد ووسط الفرات وشاطئ سوريا حيث كان الوصول الى شاطئ البحر الابيض المتوسط سهلاً ميسوراً ولا يتردد علماء تاريخ الشرق العربي القديم بان سارجون الملك الاكادي العربي قد ضم سوريا وفلسطين الى دولته لفترة طويلة وقد دلت اللوح التي عثر عليها في تل العمارنة مركز بيرمواس بمحافظة المنيا بصعيد مصر ، على ان الملك سارجون وصل الى لبنان وغزا بلاد العرب العامورين وتابع احفاده سياسته في ضم البلاد العربية تحت لواء وحدة سياسية حوالى عام ٢٧٦٨ قبل الميلاد .

فمن هنا فمما لا شك فيه ان هناك دولة عربية سامية ضمت في الثلث الاول من الالف الثالثة ٢٧٧٥ قبل الميلاد كل بلاد الهلال الخصيب بما فيه فلسطين وان كل تلك الاراضى المطله على سواحل البحر الابيض المتوسط كانت تسكنها اقوام عربية سامية امتزجت مع عناصر اثمر عنها ظهور الكنعانيين ولقد كان امتداد الدولة التي انشأها سارجون الى اراضى الكنعانيين سبباً في سياسة الامتزاج مع العرب القادمين من بلاد ما وراء النهرين .

وقد ظل الكنعانيون والعامورين طيلة خمسة قرون يختلطون مع غيرهم من القبائل العربية مما ادى الى قيام امبراطورية عربية سامية .

وفي عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد استعادت الامبراطورية العربية حدود الدولة الاكادية فامتد حكم البابليين الى كنعان في فلسطين ودمشق وبلاد اكاد ولقد كان لهذه الفترة من تاريخ العرب اهمية خاصة في الوحدة العربية في ظل حكم (حمورابى) لاسيما ان حمورابى كان ملكاً على بابل عام ٢٠٠٠ الفين قبل الميلاد . وقد كشفت الابحاث الاثرية الحديثة ان حضارة كنعان كانت تمتد من غزه جنوباً الى راس شمخ شمالاً (اغاريق شمالاً) وان اللغة والديانة والحضارة كانت واحدة في هذه البقاع ، وقد اقام ابراهيم بن ازر (تارج) عليه السلام وجد العرب في الطرف الجنوبي من بلاد فلسطين وله دلالة كبيرة في اصل العرب ويتبين لنا في الفصول السابقة عن قصة ابراهيم وكيف قدم الى فلسطين ويقطع بذلك كيف تحرك جنوباً بانتقاله مع ابنه اسماعيل وزوجته هاجر الى الجزيرة العربية حيث مكة المكرمة وبناء البيت العتيق (الكعبة) وذلك كما جاء في القرآن الكريم في سورة آل عمران وكذلك ما ورد في سورة البقرة أيضاً . وهناك اجماع في اراء المؤرخين على انه بعد ان تم بناء البيت الحرام عاد ابراهيم الى فلسطين ليقوم مع زوجته ساره وابنها اسحق واقام اسماعيل في مكة وازداد عدد العرب بقوم قبائل جرهم العربية لتسكن بجوار زمزم والكعبة . ولقد

أجاب بعض الذين انكبوا على دراسة تاريخ وحياة سيدنا ابراهيم على هذا بقولهم ربما كان من المفاجآت عند بعض الناس ان يقول لهم ان ابراهيم كان عربياً وأنه كان يتكلم اللغة العربية ولكنه ليس بالبدايه انه كان يتكلم اللغة العربية التي نتكلم ونكتب بها اليوم .

انما اللغة العربية الحالية تعود الى القرن الرابع قبل الميلاد عندما حل العرب الكنعانيون والاراميون على فلسطين ، واما اللغة العربية المقصوده فهي لغة الاقوام التي كانت تعيش فى شبه الجزيرة العربية وتهاجر منها فى تلك الحقبة ولقد كانت لغة واحده من اليمن الى مشارف العراق والشام وتخوم فلسطين وسيناء التي قدم منها الى فلسطين .

ولقد كانت كنعان (فلسطين) اثناء حكم ملوك الدولة الحديثة فى الاسرة الثامنة عشره تحت حكم الفراعنه وان الصلات السياسية والتجارية مع الاسيويين سلكت طرقاً عده منها الطريق البحرى الذى يصل بين الدلتا وميناء جبيل على شاطئ البحر الابيض المتوسط الشرقى مروراً بفلسطين .

ومن هذه الموانئ الشرقية التي شهدت فيما بعد عظمة الفنيقيين وتقدمهم التجارى والحضارى وتعاونهم مع الكنعانيين حيث كان يصدر الخشب الارز من لبنان كما كانت منتجات الاراضى الداخليه ومنها طريق القوافل الماره بغزه وشاطئ فلسطين وكانت سوريا على صلات مستمرة بمصر الفرعونييه حوالى منتصف عهد الملك (سنوسرت الاول ١٩٥٠ قبل الميلاد) وبعد فترة من الزمن كانت سياسة مصر التي املت على المصريين سياسة كان يجب تنفيذها وهى انشاء امراطورية فى الشرق العربى تضم فلسطين وسوريا وجنوب غرب آسيا وكانت تلك هى رسالة الاسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠-١٢٢١ ق.م) والتي امتدت بها الدولة المصرية الى فرع الهلال الخصيب شرقاً حيث كانت معركة " مجدو " حيث امتدت حدود مصر من الفرات شرقاً الى برزخ السويس وتمت فيها الوحدة المصرية السورية حيث كانت فلسطين جزء من سوريا الكبرى فقام المصريون بتحقيق المشروع الضخم وهو انشاء وحدة تضم الشرق الادنى كله وهو ما يشمل العالم العربى فى ذلك الوقت والذي تعود اصوله الى شعب الجزيرة العربية المهاجر الى هذه الانحاء وتحققت وحدة مصر مع اقطار الشرق العربى طوال حكم الاسرة الثامنة عشرة والتي بدأت بحكم

اح - موسى ودخل فى طاعة هذه الدولة اهل دولة معين التي كانت تقوم فى جنوب غرب شبه الجزيرة العربية وحدث ان اجتاز المصريون فى ١٩ ابريل ١٤٧٩ ق.م صحراء مصر الشرقيه وسيناء

ووصلوا الى غزة ثم انطلقوا الى مجسر حيث وصلوا شمالاً الى شواطئ الفرات وكذلك وادي نهر العاصى فى قلب لبنان وشملت الوحدة المراكز الاستراتيجية التى تتحكم فى الهلال الخصيب .

وهكذا تمت وحدة عربية كانت فلسطين قلب هذه الوحدة طوال مائة عام (١٤٦٠ - ١٣٦٠ ق.م) وذلك فى عهد ستمس الثالث وذلك استجابة لبواع طبيعية تربط بين شعوب هذا الشرق .

وفى عهد امنحسب الثالث وفى بداية عام (١٢٨٠ - ١٢٦٣ ق.م) فكر امنحسب الثالث فى ان يجعل فلسطين وسوريا ولايتين تابعتين لمصر وقد جعل ملوك مصر على توثيق عربى الوحدة مع حكام ذلك الجزء من الشرق العربى تدخيماً للروابط السياسية وتدعيم المصالح التجارية لاسيما ان رسائل تل العمارنة تشير الى رؤساء المدن العربية الاسيوية وان هؤلاء الامراء لم يكونوا مصريين بل كانوا ممثلين للاسر العربية السامية الحاكمة فى المنطقة ، وان الوحدة كانت بين مصر وكنعان وسوريا وان هذه الشعوب كانت جميعها ملتقية فى الحضارة المصرية .

وهكذا فإن وحدة الشرق العربى فى عام ١٥٠٠ ق.م أصبحت حقيقة تاريخية وانها كانت نوعاً من التعاون بين الدول وان يصبح العالم العربى وحدة متماسكة متواصلة لم يكن هناك غير الشعب العربى الذى كان يسكن تلك المناطق منذ خروجه من الجزيرة العربية منذ اربعة الاف سنة قبل الميلاد فى شكل موجات بشرية تدفع بها شبه الجزيرة العربية على اطرافها شرقاً وغرباً واستطاعت ان تضيغ هذه الديار بالصيف العربى والتى كانت فلسطين قلبها العربى امتداداً شمالاً الى سوريا وغرباً عبر سيناء الى برزخ السويس وصولاً الى مصر وشمال افريقيا حيث بلاد المغرب العربى التى كانت تسكنها قبائل عربية من البربر .

وبذلك يتأكد تاريخياً دون الدخول فى تفاصيل انثروبولوجية أو اركيولوجية ان فلسطين عربية منذ ذلك الزمن البعيد وان القدس مدينة قديمة يرجع تاريخها الى ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد وربما خمسة الاف حيث كان يعيش فيها اليبوسيون الكنعانيون ولذلك سميت خلال هذا التاريخ الطويل بعدة اسماء اقدمها اورساليم (Urusalim) وهى كلمة قديمة اطلقها عليها اقدم سكانها العرب الكنعانيون (اليبوسيون) وهؤلاء اليبوسيون قبيلة عربية من أشهر عشائر العرب الكنعانيين عاشت فى فجر التاريخ فى جزيرة العرب ثم رحلوا الى فلسطين واسسوا هذه المدينة واتخذوها عاصمة لهم طوال ثلاث الاف سنة قبل الميلاد وقبل قدوم القبائل الغازية الرحل التى لا وطن لها ولا مكان حيث كانت القبائل الاسرائيلية تهاجم اصحاب الارض الاصليين لكى تقيم بجوارهم واستوطنوا بها

ودعيت بهذا الاسم نسبة الى زعيمها (ييوس) وتتكون من مقطعين " اورو " وتعنى مدينة وسالم (تعنى السلام) وقد حرقها الاكاديون الاشوريون اورسالم وهم شعب عربى سامى مثل الكنعانيين استوطنوا واسط ما بين النهرين واسسوا فيها دولة قوية استمرت نحو قرنين (٢٤٠٠-٢٢٠٠ قبل الميلاد) ويرى احد الباحثين وهو (فيليب حتى) فى كتابه تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ترجمه كمال الباز طبع بيروت ١٩٥٩ ج١ صفحة ٧٢ ان اسم اورسالم مشتق من الكلمة الكنعانية ياورشاليم بمعنى د ع سالم يؤسس وسالم هو اسم السلام عند الكنعانيين وقد عرفت بيت المقدس باسماء اخرى فى تاريخها الطويل مدينة ييوس ، وهو الاسم الكنعانى العربى الذى اطلق على هذه المدينة المقدسة عندما كان يحكمها الملك الكنعانى اليبوس الملقب اب الملوك .

كذلك يذكر ان عاهل مصر امنحيب الثالث الذى حقق للشرق العربى وحدته قد انشأ فى فلسطين ربما فى مكان القدس مدينة خيبابى مما يدل على ان اخناتون قد تبين له ان شعوب الشرق العربى كانت تعمل الى تحقيق مصالحها السياسية والتجارية ، وانه حاول حقا ان ينفذ انشاء امبراطورية عربية واسعة وكان فى ذلك يمتاز عن الحاكمين العربيين الاكادى والبابلى سارجون وحمورابى . اللذين لم يدركا ما ادركه اخناتون من ضرورة قيام امبراطورية فى الشرق العربى كانت فلسطين جزء وسطا بل حلقة الوصل والربط فى هذه الامبراطورية بل كانت صلة الربط بين مصر واجزاء العالم العربى الشرقى ولقد حدث ان قامت وحدة عربية فى عهد حكم (سبتى الاول) ١٢١٩ ق.م حيث ضم قلاع فلسطين (كنعان) ووصل الى حوران شمالاً وضم موانئ شرق البحر المتوسط لتكون قواعد بحرية تمكنه من ضم سوريا باكملها وفى عام ١٢٩٥ ق.م انتصر رمسيس الثانى فى موقعة قادش وتحقق أمل مصر فى تحقيق وحدة تضم اقطار الشرق العربى ..

وقد دامت وحدة الشرق العربى نحو قرنين ونصف (١٥٠٠-١٢٥٠ ق.م) حيث حدث اندماج بين المصريين وسكان تلك المناطق وانتقل العديد من سكانها الى مصر وسكنوا بها واندمجوا وذابوا فى المجتمع المصرى مشكلين تيارات هجرة عربية سامية بشرية حيث ازدادت حركة هجرة هذه العناصر مروراً بفلسطين فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

ومنذ منتصف القرن الثالث عشر قبل الميلاد ساد الاضطراب مصر ولكن العنصر العربى كان يضى طابعه فى اثناء تلك الاضطراب فقد تولى الحكم فى مصر احد الامراء الكنعانيين كما تمكن بعض البابليين من بناء مدينة على مقربه من معفيس العاصمة القديمة المصرية جيث كانت

طبيه هي العاصمة في الدولة الحديثة الاسرة (١٨، ١٩) اسموها بابل وقد ساعدت عوامل خارجية على اضعاف النفوذ المصري في فلسطين في تلك الفترة في نهاية الاسرة الثامنة عشرة لاسيما عند ظهور العناصر الآرية غير السامية العربية .

وقد تولى الكنعانيون والبابليون حكم بعض المناطق في مصر لكنه انتهى في بداية حكم رمسيس الثالث (١٢٠٠-١١٦٩ ق.م) حيث كان أحد ملوك مصر العظام وقد استطاع هذا الحاكم ان يحافظ على عروبة الوطن العربي لاسيما عندما تبين ظهور هجرات الشعوب الاوربية (شعوب البحر الابيض المتوسط) وربما الغازية من جزر أو بحر ايجه وكريت حيث سارع الاسطول المصري الى سوريا ورابط في الموانئ السورية كما سارعت الجيوش المصرية الى وقف الزحف الاجنبي الاوربي وانقذت مصر اراضي فلسطين وسوريا ولبنان وكاثت تسمى سوريا الكبرى ، من هذا الغزو وصدت بالقوة هجوم اقوام البحر كما كان يسمى الاوربيون اذ ذاك الى جزرهم في اليونان وايطاليا وكانت نتيجة هذه الحملة المصرية التي كانت عام (١١٩٢ ق.م) ان اعيدت وحدة اراضي كنعان التي كانت فلسطين (ارض شبلح وزاهي) للتوحد مع مصر قبل نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وفي ورقة البردي المعروفة باسم (بردي هاريس) اشار الى وجود المعابد المصرية في اراضي زاهي بكنعان حيث اقام رمسيس الثالث معبدا لاله آمون في فلسطين ثم بعد ذلك استقرت في فلسطين قبيلة بولسيتو العربية Pulestiu التي اتخذ منها اسم فلسطين في ارض شبلح وفي المنطقة الساحلية كغزه وسميت منذ ذلك الوقت باسم فيليستيا Philistia التي جاء منها اسم فلسطين ، فهل بعد كل هذا السرد التاريخي منذ الالف الرابع قبل الميلاد وان لم يكن الالف الخامس قبل الميلاد وصولاً الى الالف الثاني قبل الميلاد مروراً بحركة القبائل العربية المهاجرة والمستقره في فلسطين والمرتبطه ارتباطاً وثيقاً في شكل وحدة الشرق العربي مع مصر أو مع سوريا حيث كانت فلسطين هي بوابة مصر الشرقية وان فلسطين منذ الالف الثاني قبل الميلاد بل من قديم الزمن تأخذ اسمها من القبيلة العربية Pulestin أو Philistia وان لفظ (شاسو) الذي يطلقه المصريون على البدو هم العرب الذين كانوا يسكنون (شو) وهي الصحراء التي تقع بين مصر وفلسطين في حدود مصر الشرقية وهم الذين علموا المصريين استخدام الجمال وركبوها في النقل من سيناء الى داخل مصر يأتي من ينكر عروبة فلسطين الكنعانية منذ خمسة الاف سنة قبل الميلاد .

وقد ظلت فلسطين في قلب الاحداث العربية لاسيما بعد ان كانت تنقل البضائع من منتجات

الفنيقيين الصناعيه فى صور وصيدا وبيروت وجبيل حيث انتقل مركز القوة والنقل من الشرق العربى الى قوه عربيه جديدة غير مصر هم الفنيقيون وهم عرب ساميون هاجروا مع اخوانهم الكنعانيين لكن فى فترة زمنية لاحقه من الخليج العربى جنوب شرق الجزيرة العربيه الى شمالها الغربى وكانت مصر فى ذلك الوقت تواجه خطر تسلات ليبيا فى العام الحادى عشر لحكم رمسيس الثالث لاسيما وقد استقرت هذه الهجرات فى غرب الدلتا باعتبار انهم مواطنين مصريين ونجحت هذه الشعوب فى تكوين الاسرة الثانية والعشرين الفرعونه تحت حكم (شيشينق ونخاو) حيث تم اندماج الليبيين فى القوميه المصريه تحت حكم وحدة الجنس والثقافة .

وفى ذلك الوقت عاد العرب اهل شمال الجزيرة العربيه يحملون رساله تحقيق وحدة الشرق العربى فى شمال سوريا واستقر الفنيقيون العرب على الساحل وفى الداخل كان بدر الصحراء الاراميون العرب الذين تبادلوا الصلات مع المصريين وتجمعوا فى المدن وانشأوا حكومات تبادلت علاقات دبلوماسيه مع الدول المحيطه واصبحت قواعد البحريه الساميه كصور وصيدا وجبيل موانئ تجارية لهم .

وفى الالف قبل الميلاد (تاريخ قيام مملكة داود فى اورشاليم) استطاع الفنيقيون بواسطه تبسيط اللغه الهيروغليفيه ان ينشؤا ابجديه للكتابه . وفى داخل البلاد استطاع الاراميون العرب ان يبسطوا سيطرتهم وتكونت ثلاث دول عربيه هى (دمشق ، زوىا ، حما) وان تلك الدول الثلاث استطاعت ان توقف تقدم الاشوريون طيله ثلاث قرون وقد اقتبس الاراميون من الفنيقين ابجديه حروفهم ثم انتشرت اللغه الاراميه فيما بعد فى سائر اقطار الشرق العربى وحلت محل اللغه الهيروغليفيه المصريه وغيرها من اللغات الاخرى حيث استطاع الاراميون والفنيقيون العرب منذ القرن السابع قبل الميلاد (٧٠٠ ق.م) ان ينتزعوا السيادة التجاريه وعملوا على تنفيذ خطه تحقيق وحدة الشرق العربى حيث انشأوا دولة تجارية عربيه فى شرق البحر المتوسط .

وهنا نضع الدليل القوى البارز على عربيه فلسطين منذ الازمنه القديمه حيث انه فى جنوب سوريا كانت المنطقه الساحليه فى ايدى الفلسطينيين أى ابناء القبيله العربيه فيلستيا الذين استقروا وكانوا قبائل عربيه ساميه وليسوا شعوب بحر متوسط قادمين من بحر اريجه كما حاول ان يصور ذلك بعض الباحثين الاوربيين الذين يريدون ان يعيدوا كل شئ الى اوربا المهم ان تلك القبائل استست خمس مدن فلسطينيه بعد الاستقرار النهائى اهمها غزه فى الساحل وكذلك اشدود فى الداخل حيث

كان الكنعانيون والعاموريون العرب اذ ذاك لازالوا يحكمون تلك الاراضى الفلسطينية كما ان الفلسطينيين تقدموا حوالى (١١٠٠ ق.م) الى شواطئ الاردن واخضعوا الشعوب التى كانت تسكن تلك المناطق وكان الكنعانيون كما سبق القول قد اتخذوا القدس عاصمة سياسية ودينية لهم قبل وصول داود إليها بعدة الاف من السنين ، ولكن ششئق الاول ملك مصر الليبى الاصل (الأسرة الثانية والعشرين) اعاد القدس الى السيادة المصرية عام ٩٢٥ ق.م ، وساهم فى تمزيق بعض القبائل التى تسكن بالقرب من المدينة وكان ملوك بابل فى نينوى العاصمة البابلية فى بلاد ما بين النهرين قد استعادوا الارض التى تقع بين نهر الفرات ونهر العاصى والتى تتحكم فى طرق الهلال الخصيب ثم ضموا تلك الموانئ التى كانت تخضع للفنيين وتم ضم دمشق فى عام (٢٧٢٢ ق.م) .

ومن ثم عادت الى الاشوريين الذين استطاعوا بقيادة اسرحدون (اشور راضى الدين) عام ٦٦٨ ق.م. ان يضموا الدلتا كما استطاعوا بقيادة اشور يانييال عام ٦٦٨ ق.م. أى بعد ثلاث سنوات ان يضموا مدينة طيبه وبذلك تحققت وحدة الشرق العربى بما فيها فلسطين طبعاً ، لانه ليس من المعقول ان تسقط دمشق ومصر بدون ان تكون مدن فلسطين وكل اجزاء البلاد قد وقعت تحت الحكم الآشورى ولكن الهجرات العربيه الساميه كانت لاتزال تتدفق من الجزيرة العربيه نحو حدود الدولة الآشورية العربيه لاسيما بعد ان سيطر البابليون العرب الذين كانوا يسمون سابقاً بالكلدانيين وسميت منذ ذلك الوقت كلديا وسقطت نينوى عام (٦٠٦ ق.م) وبذلك انتهى الوجود الآشورى البابلى وحل الكلدانيون فى السيطرة على العالم العربى طوال ثلاثة ارباع القرن (٦٠٦ - ٥٢٩ ق.م) محمل الاشوريين واستعادت بعد نحو الف عام مكانتها كعاصمة للعالم العربى السامى واستطاع ملكها العربى (بختنصر الثانى) ان يحطم مدينة القدس التى كانت عربيه قديمه لكن استقرت بها بعض القبائل المهاجرة بلا وطن ولا مأوى عام ٥٩٦ ق.م وان يتم تهجير ونقل هؤلاء الدخلاء الى بابل ليحل مكانها شعوب اخرى فى القدس من كل انحاء الامبراطورية وفى بابل ذابت هذه العناصر الدخيله فى شتى اقطار الارض القديمة بها بل واصبحوا جزء من شعوبها ولم يعد الطابع العقائدى مظهراً على وجودهم .

وهكذا وضع بختنصر الثانى حداً نهائياً لهذا الوجود الغاصب الذى لم يكن الا عابراً للديار العربيه ولم يكن له وطن فى مصر أو فلسطين أو مكان يستقر فيه وتلك طبيعة القبائل البدويه التى هزمها بختنصر فى مدن فلسطين المختلفه ورحيلها الى المدن البابلية المختلفه ، لكن الذى ينظر الى

أفعال بختنصر وتاريخ البابليين والآشوريين يدرك مدى قدرة هذه الشعوب العربية التي بلغت فيهم العبقريّة إلى حد بعيد حيث أدركوا خطر هذه العناصر فكانت تصفيها نهائياً من فلسطين .

ومن ثم ساد الاستقرار أنحاء هذه الإمبراطورية لاسيما أن آشور العربية قد بلغت في خلال النصف الأول من القرن السابع قبل الميلاد أوج عظمتها فاندفعت غرباً نحو فينيقية وبلاد الكنعانيين وهناك ركبوا البحر ووصلوا إلى مصر ثم جاءت بعدها بابل العربية لتمارس دورها الإمبراطوري نحو ثلاثة أرباع القرن (٧٥ سنة) كانت في تلك الفترة قوة عالميه مرهوبة الجانب ثم لعبت بابل دوراً هاماً بارزاً في عهد بطلها " نيوخونصر " و " بختنصر " لكن القوة العربية عبر تاريخها الطويل لم يقدر لها الاستمرار في حكم تلك الديار حيث خرجت القوة الفارسية الآرية بقيادة الإمبراطور (قورش ، أو كير) قادماً من وراء الخليج عام (٥٣٩ ق.م) ليسقط بابل وتجتاح القوات الفارسية في الأراضي العربيّة مسيطرة على بلاد الرافدين وسوريا الكبرى ومصر وسقطت بالطبع فلسطين وبذلك دامت وحدة الشرق العربيّ الثانيه قرناً وربع قرن من الزمان (٦٦٨ - ٥٣٩ ق.م) عندما غزا الفرس الشرق العربيّ وصولاً إلى مصر في عهد قمبيز . وبذلك انهارت الوحدة العربية .

ومن ثم يتضح لنا كيف أن أول إنسان تحرك على أرض فلسطين منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد حيث العصر البرونزي واستقر بها منذ عصور ما قبل التاريخ ، بل منذ العصر الحجري القديم وربما أوائل العصر الحجري الحديث كان إنساناً عربياً كنعانياً ييوسياً ثم آرامياً فنيقياً قادماً في حركة الهجرة الواسعة التي تخرج من الجزيرة العربية بل أن حركة الهجره هذه بدون مبالغه تعود إلى عصور سحيقه ، فإن صلات السلالة والدم مرتبطه مع شمال الجزيرة العربية وفلسطين إلى عصور قديمه منذ العصور الجيولوجيه القديمه بل أن الحركة كانت سهله ميسره جداً في حركة الأفراد والجماعات التي كانت تتجول في تلك المناطق عندما تلتقى بلاد العرب بفلسطين وشبه جزيرة سيناء حيث كان لقاء العرب دائماً وأن تلك الهجرات كما جاء في عنوان هذا الفصل في الدراسة " عربيه فلسطين منذ اربعة الاف سنة قبل الميلاد) ، حيث كانت منطقة الجزيرة العربية يسكانها خزان هائل كانت تدفع بسكانها بقوة إلى خارجها فكان ذلك يؤدي إلى خروج العرب من جزيرتهم في شكل هجرات أو موجات متعاقبه فكانت الهجرة إلى فلسطين وبلاد الشام وبابل حيث اختلط هؤلاء العرب وسكنوا تلك المناطق وصبغوها بالصبغه العربية منذ الأزمنه القديمه وظل الكيان العربي في مراحل التاريخيه معتداً حافظاً لفلسطين عروبته وشخصيتها مع أبناء عمومته

الاشوريين والبابليين والكلدانيين والمصريين والفنيقيين والاراميون والتدمريون وغيرهم من القبائل الاخرى حيث كانت السلالة الفلسطينية الكنعانية هي القبيلة العربية التي انطلقت لتسكن هذه الديار حتى استطاعت القبيلة العربية Phlistia التي جاء منها اسم فلسطين والتي هي فرع من الكنعانيين ان تكون لها الغلبة وكان ظهور هذا الاسم بشكله الحالي منذ عهد رمسيس الثانى (١٢٦٩-١٢٠٠ ق.م) وكانت هذه القبيلة قد استقرت فى غزه واشدود وكونت لها مدن هامة لعبت دوراً فى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومارست نشاطها السياسى والثقافى والاجتماعى والحضارى وشاركت الممالك العربية فى الشمال حيث سوريا وفى الجنوب الغربى مصر وارتبطت ارتباطاً عضوياً مع تلك الديار فى شكل وحدة عربية ظلت قائمة عبر السنوات الطويلة فرغم القضاء على هذه الوحدة العربية تحت ضربات الفرس فى النصف الاول من القرن السادس قبل الميلاد فان الشعب ظل عربياً تحت قيادة فارسيه.

وبهذا نكون قد القينا الضوء على عروبة فلسطين قبل الميلاد حيث كانت تلك القبائل والمدن والحكومات عربييه صرفه فى صورة مسميات قديمة كالفرعانه والكنعانيين والبابليين والاشوريين والفنيقيين والعموريين وغيرهم والجميع كانوا عرباً .

لقد كان العرب الكنعانيون اليبوسيون اول من استقر على ارض فلسطين وذلك منذ حوالى خمسة الاف سنة قبل الميلاد وظل استقرارهم ونفوذهم السياسى والحضارى والثقافى ممتداً طوال تلك الفترة سواء استقر ابراهيم الخليل ومن بعده ابناءؤه إلا انهم كانوا عبارة عن جماعة من الغرباء لم تكن لهم ايه قوة سياسية أو اقتصادية بل انهم كانوا يعيشون فى ظل سيطر كنعانية عربيه حتى عام ١٠٠٠ قبل الميلاد لكن قبل تلك الفترة فقد بسط الفرعانه المصريون نفوذهم منذ عهد الدولة القديمة وذلك قبل القرن الثامن عشر قبل الميلاد عندما ظهر الهكسوس البدو الغزاه الذين بسطوا نفوذهم السياسى على تلك البلاد الفلسطينية منذ عام ١٧١٠ ق.م وهو زمن دخول يعقوب (اسرائيل) الى مصر وظلوا بها حوالى ٢٣٠ سنة يمارسون نفوذهم على مصر وفلسطين حتى تم طردهم من مصر عام ١٤٨٠ ق.م عندما تم طردهم من مصر وكذلك من فلسطين حيث بسط المصريون الفرعانه العرب نفوذهم على فلسطين طوال اكثر من مائة وثلاثين عاماً وهى فترة قوة الدولة المصرية فى

عصر الدولة الحديثة وهي الدولة الثامنة عشر ١٤٨٠-١٢٥٠ ق.م ثم خضعت فلسطين لحكم الحيثيين لفترة زمنية قصيرة عندما قاد رمسيس الثالث القوات المصرية لتتور معركة قادش بينه وبين الحيثيين ليتم طرد الحيثيين شمالاً بعد ان احتلوا هذه الاراضى لفترة تمتد الى ستين عاماً (١٢٥٠-١٢٩٠ ق.م) حتى كانت فلسطين تحت الحكم المصرى لفترة ثالثة امتدت الى اكثر من مائة وست وثلاثين عاماً (١٢٩٠-١١٥٤ ق.م)

ثم بعد ذلك خضعت فلسطين لفترة من الفوضى والصراع بين الكنعانيين والفلسطينيين وبنى اسرائيل حيث طال امد الصراع لفترة امتدت من (١١٥٤-١٠٠٠ ق.م) وهي فترة تصل الى مائة واربع وخمسون عاماً حتى ظهر داود وابنه سليمان لكى يقيما كياناً سياسياً يهودياً اسرائيلياً على حساب الحق العربى الكنعانى الفلسطينى لكن ذلك لم يدم الى اكثر من ثلاثة وسبعين عاماً كما ورد فى صلب الدراسة ثم انقسمت هذه المملكة الى قسمين هى اسرائيل فى الشمال وظلت من عام (٩٢٧-٧٢٢ ق.م) وكذلك مملكة يهوذا فى الجنوب (٩٢٧-٥٨٦ ق.م) وبذلك زعم خضوع هاتين المملكتين للنفوذ الاشورى والمصرى باعتبار ان السيادة الاعلى كانت لمصر وسوريا الا انه يمكن القول ان فترة الحكم الاسرائيلى تجاوزاً قد دامت منذ حكم داود ١٠٠٠ الى نهاية الدولة اليهودية الجنوبية عام ٥٨٦ ق.م فان اطول فترة تكون هى اربعمائة واربعه عشر عاماً (١٠٠٠-٥٨٦-٤١٤ ق.م) ثم كانت دولة بابل فى فلسطين وهى (٥٨٦-٥٣٨ ق.م) ثم الحكم الفارسى (٥٣٨-٣٣٣ ق.م) وبذلك استقر الحكم الفارسى ما يقرب من مائتى عام .

ثم خضعت البلاد للحكم اليونانى والبطلسى ثم بعدهم السلوقيون فى سوريا وذلك من (٣٣٣-١٤٢ ق.م) أى ما يقرب من مائتى عام .

ثم ظلت فلسطين تخضع للحكم الخارجى سواء الحكم الرومانى ثم الفارسى ثم روما البيزنطيه حتى جاء العرب المسلمون عام ٦٣٦ ميلاديه وظل الحال عربياً اسلامياً فيما عدا الاحتلال الصليبي (١٠٩٩-١٢٩١) وكذلك دام الوجود العربى الاسلامى حتى عام ١٩٤٨ م.

” الفصل الحادى عشر ”

” فلسطين فى ظل الإسلام ”

قبل انتقال الرسول محمد بن عبد الله الى الرفيق الاعلى امر صلى الله عليه وسلم بتجهيز جيوش المسلمين ووضعها تحت قيادة اسامه بن زيد لانه احس ان الخطر على الدولة الاسلامية الناشئة قادم من الروم بالشام وبيتنا جيوش المسلمين تستعد للمسيره ابتدى صلى الله عليه وسلم شكواه التى قبضه الله عز وجل فيها ” وحمل عبء الجهاد والفتح بعده ابو بكر الصديق لتحقيق مبدأ عالمية الاسلام واكمل ما كان يراه الرسول صلى الله عليه وسلم ضرورياً فأمر الجيوش باستئناف المسير وكان بعد قضى ابو بكر الصديق على حركة الردة قد اخذ بتوجيه الجيوش الى الشام والعراق وكانت قد اوضحت غزوات مؤته ٨هـ / ٦٢٩م . وتبوك ٩هـ / ٦٣٠م وحملة اسامه بن زيد ١١هـ / ٦٣٢م اهميه وخطورة قواعد الروم الحربية عند الاطراف الجنوبية لبلاد الشام لذا تحتم عليه ان يزيل هذه القواعد ليحمى أمن الجزيرة الداخلى وينشر الاسلام فى هذه الارحاء من بلاد الشام. فأرسل أبا عبيدة عامر بن الجراح وعمرو بن العاص الى حمص وولاية امره الجيوش ويزيد بن ابي سفيان وبصحبته اخيه معاوية الى دمشق وعمرو بن العاص الى فلسطين وشرحبيل بن حسنه لواءى الاردن . وكان المسلمون قد تمكنوا من دخول دمشق بعد انتصار المسلمين فى معركة اليرموك فى رجب ١٥هـ / ٦٣٦م .

ومن ثم بعد اتمام فتح دمشق ومعركة اليرموك جمع ابو عبيده الجراح قائد الجيوش واستشارهم فى امر القتال والتحرك واستشاره امير المؤمنين عمر بن الخطاب فكانت الموافقه على فتح القدس فأمر عمر بن الخطاب بالزحف اليها وهكذا تقدمت جيوش المسلمين نحو القدس وصارت الحرب على مشارفها وأرسل لهم أبو عبيدة بن الجراح انذار تستلمه سكان القدس ولكن البطريرك صفرونيوس Sophronius الذى طلب تسليم المدينة فى حضور خليفة المسلمين ويدخلوا فيما دخل فيه اهل الشام وكتب أبو عبيده الى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب بذلك فقرر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخروج الى القدس .

وحين اقبل على القدس خرج أبو عبيده لاستقباله وامر عمر بان يبلغوا البطريرك بقدمه ففعل أبو عبيده وعند ذلك خرج البطريرك (صفرونيوس) أو صفرون واستقبلهم بالحفاوه والاكرام وتم النقاش فى شأن المعاهدة والتسليم ثم اخذ عمر بن الخطاب قرطاسا وكتب لهم وثيقه أمانهم

كما طلبوا وعلى الوثيقة التي عرفت فيما بعد بالعهد العمرية . وهذا نصها .

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الآمان اعطاهم اماناً لانفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم . سقيمها وبريئها وسائر ملتها . انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شئ من اموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطى اهل المدائن وعليهم ان تزجوا عنها الروم واللصون ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن اقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصليبهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من اهل الارض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى اهله فإنه لا يؤخذ منهم شئ حتى تحصي حصادهم .. وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمه رسوله وذمه الخلفاء وذمه المؤمنين اذا اعطوا الذى عليهم من الجزية .

شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن ابي سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشر . وهكذا تسلم عمر بن الخطاب كل فلسطين بعد استسلام بيت المقدس وهكذا فإن ما يعطينا فى العهد العمرية طلب بطريرك النصارى عدم سكنى المدينة المقدسة معهم احد من اليهود حيث لم تكن فى المدينة اية اعداد يهوديه عند الفتح الاسلامى .

وتذكر المصادر التاريخية ان عدد اليهود الذين كانوا فى فلسطين عام ١٥هـ / ٦٣٦م عندما حرر العرب اخوانهم سكان فلسطين من الكنعانيين والاراميين والتدمرين وغيرهم من الشعوب العربية فى فلسطين من سيطرة الروم عليهم وعندما قدم عمر بن الخطاب الخليفة الراشد الثانى ليتسلم مفتاح بيت المقدس ويعطى عهده للاخوه النصارى كان عدد اليهود ثلاثة أسر (اثنى عشر شخصاً) وقد تم طردهم من القدس الى خارج المدينة بل الى خارج فلسطين بناء على طلب البطريرك صفرونيوس Sophronius وازال خليفة المسلمين عمر بن الخطاب بيده ما تراكم على الصخره من قنابرات (زيل الطيور) وكان قد وجد على الصخره زبلا كثيراً مما طرحته الروم غيظاً لبني اسرائيل فبسط رداءه وجعل يكنس ذلك الزبل وجعل المسلمون يكنسون معه الزبل ومضى نحو محراب داود فصلى فيه ثم قرأ سورة (ص) وسجد وتبع المسلمون بالنظافه مساجد الانبياء واحداً واحداً ابتداء من ابراهيم الى آخر من دفن منهم فى فلسطين وبيت المقدس فأعادوا بناءها وحافظوا على قدسيتها وطهروها تطهيراً .

ومما هو جدير بالملاحظة ان اهل القدس قد اعرّبوا للخليفة ابن الخطاب عن رغبتهم فى الايساكنهم بالمدينة أى من اليهود وقد استجاب عمر الى هذه الرغبة مما يثبت ان القدس لم تكن كما لم تكن فلسطين يهودية أو لم يكن لليهود فى فلسطين سوى طائفة قليلة جداً عديمة الأهمية بالنسبة لسكان فلسطين من العرب المسيحيين حيث كانت المسيحية هى السائدة ولا يوجد أى اثر لليهود أو اليهودية فى بلاد الشام كلها .

وقد رحب اهل الذمة من النصارى بالفتح الاسلامى وذلك خلاصاً لهم من الاضطهاد الرومانى والفارسى ومن الصراع الدينى والطائفى ولنمتعهم بالحرية الدينية فى ظل الاسلام لاسيما ان الكنيسة الرومانية كانت تزكى روح العداوة والبغضاء فى نفوس اتباعها من المسيحيين اذ تعلن انه قد كتب على قتله الرب ان يعيشوا عيشه تشرّد ويحيوا حياة ارتحال لا يستقر لهم قرار .

وعندما طرد اليهود من الاراضى الفلسطينية تشرّدوا وتفرّقوا فى مختلف انحاء العالم واختلطوا بسكان البلاد التى رحلوا اليها ثم اخذوا يدعون الى دينهم المستضعفين من اهل تلك البلاد الى الدخول فى دينهم . وانه منذ عام ١٥هـ / ٦٣٦م دخلت فلسطين والقدس فى نطاق الدولة العربية والخلافة الاسلاميه والفتح الاسلامى يثبت انه لم تقم لبنى اسرائيل قائمة فى فلسطين منذ تفاهم الامبراطور " هادريان " عام ١٣٥م . وشتت شملهم فى كل انحاء الامبراطورية وكان من اثر الفتح الاسلامى ان تدفقت على فلسطين القبائل العربية من كل مكان لتمتزج مع اخوة العربيه فى فلسطين قبل الاسلام من ابناء الكنعانيين والاراميين والفنيقيين والاشوريين والمصريين والبابليين وهكذا ظلت منذ الفتح الاسلامى بلداً عربياً اسلامياً خالصاً لشعبه ولغته وعقيدته . وظلت فلسطين خلال العصور الاسلاميه جزء من الدول العربيه الاسلاميه .

وقد ظلت فلسطين عربيه اسلاميه منذ الفتح الاسلامى وان كانت عربيتها معروفة منذ اربعة الاف عام قبل الميلاد ولكن زال الوجود اليهودى من فلسطين نهائياً منذ عام ١٣٥م ميلاديه وظلت اسلاميه منذ ٦٣٦م حتى ١٩٤٨م عندما تم اغتصاب فلسطين فى العصر الحديث وتم اقامة الدوله اليهوديه فى ١٥ مايو ١٩٤٨ اللهم الا تلك الفترة الصليبيه التى لم تدم طويلاً حيث تم احتلال القدس واجزاء من فلسطين منذ عام ١٠٩٩ الى ١١٨٧ ميلاديه عندما حرر صلاح الدين الايوبى القدس فى اكتوبر ١١٨٧م اثر معركة حطين وعاد الوجه العربى الاسلامى حتى دخول اللورد الانجليزى اللبى فلسطين عام ١٩١٧ لكنها كانت اسلاميه عربيه ومع ذلك فقد سجل التاريخ بان اليهود لم يكن لهم شأن يذكر فى فلسطين فنجد انه فى القرن الثالث عشر الميلادى وبالتحديد عام ١٢٦٧م كان فى مدينة القدس (اخوان اثنان) وفى القرن الرابع عشر (١٣٢٧م) توطنت فيها طائفة صغيرة

تشتغل بالصباغة وخلال القرن الخامس عشر والسادس عشر تراوح عددهم في كل فلسطين ما بين ٢٥٠ الى ١٥٠٠ فرد ولعل ذلك يرجع الى استمرار الاخذ باتفاقية عمر بن الخطاب والبطريك صفرونيوس ، التي نصت على حماية الاماكن المقدسة اسلاميه ومسيحيه وعدم دخول اليهود الى مدينة القدس .

ومع نهاية القرن الثامن عشر وبالتحديد ١٧٩٩م عندما توجه نابليون بوناپرت الى بلاد الشام كان اليهود في كل فلسطين اقل من ١٨٠٠ شخص وقد بلغ عدد اليهود في فلسطين عام ١٨٨٠ حوالي عشرين الف يهودي من مجموع السكان البالغ عددهم اكثر من نصف مليون وعقب المذابح الروسية بلغ عدد اليهود في فلسطين بين عامي ١٨٨٣ / ١٩١٧ اربعين الف يهودي وبسبب سياسة هتلر النازيه المناهضة لليهود بلغ عدد اليهود في فلسطين عام ١٩٤٥ ٢٥٠ الف وعشية انشاء دولة اسرائيل عام ١٩٤٧ كان عددهم نصف مليون نسمة من مجموع سكان فلسطين البالغ عددهم مليون، ٢٥٠ الف .

وقد كشفت الرابطة الاسرائيلية لحقوق الانسان ان اكثر من ٢٠٠ الف منزل عربي قد نسف في اسرائيل والضفة الغربية وغزه في الفترة من ١٩٦٧/٦/١١م الى ١٩٦٩/١١/١٥م وذلك يثبت عدم وجود اغلبية يهوديه في فلسطين حتى عندما قامت دولتهم ومع التحليل التاريخي فإن ذلك ينفي أي صلة أو رابطة أو تاريخ بفلسطين بل هم شعب بلا وطن معين لهم اذ ان تفرق اليهود في انحاء الارض يدل على انه ليس لهم وطن محدد حتى اواخر القرن الخامس عشر كان معظم طوائف اليهود يعيشون في البلاد الاسلامية ومنها اسبانيا التي كانت بلداً اسلامياً حتى عام ١٤٩٢ ميلاديه.

وقد بلغ عدد اليهود في العالم في القرن الثامن عشر مليونين ونصف مليون كان يقطن منهم في غربي آسيا مليون يهودي بما فيهم يهود تركيا وشمال افريقيا ويسكن مليون آخر في روسيا وبولونيا وشرق اوربا والنصف الاخر موزع في غربها وجنوبها ثم تمت حركة الهجرة الواسعة الى امريكا .

ولقد استمرت فلسطين في عروبتها وبقيت تشترك مع العالم العربي والاسلامي طوال تاريخها الطويل وذلك منذ فتحها القائد المسلم عمرو بن العاص عام ١٥هـ / ٦٣٦م من عهد عمر بن الخطاب الذي كما سبق القول اعطى الامان لسكان القدس وفلسطين وقد طلب منه بطريرك المدينة اخلاء القدس وعدم دخول اليهود اليها فاستجاب له باخلاء القدس من اليهود ثم سميت المدينة في العصور التالية بيت المقدس حيث اصبحت ملاذا لاهل التقوى وحفظة القرآن الكريم لاسيما وان

ذكرها جاء في القرآن الكريم في سورة الإسراء . وقيام الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان ببناء المسجد الأقصى وقيده الصخره عام ٧٤هـ / ٦٩٥م واستكمل بناؤه في عهد الوليد بن عبدالملك عام ٨٦هـ / ٧٠٧م واستمرت سيطرة المسلمين على القدس وفلسطين حتى عام ١٠٩٥م عندما طلب الامبراطور البيزنطي (اكسيوس) من البابا (ادريان الثاني) ان يساعده ضد المسلمين الذين اصبحوا يهددون القسطنطينية كما يهددون حسب قوله الاقباط في القدس وبدأ في اعداد جيوش الصليبيين الذين سارعوا الى تلبية دعوة رهبان البابا (الحملة الصليبية الاولى ، تأليف جوناثان برسلي سميث وترجمة فتحى الشاعر . القاهرة ١٩٩٢م وقد قامت هذه القوات بالمذابح الضخمة ضد اليهود الموجودين في اوربا خصوصاً تجماعتهم حول نهر الراين وذلك بسبب مؤامرتهم وفسادهم المستمر في المجتمعات الاوربية عبر التاريخ ووجودهم فيها (ص ٥٥-٦٦- المرجع السابق) .

ولقد كان شعار الجيوش الصليبية في هذه المذابح (لقد خرجنا في زحف طويل لقتال اعدائنا المسلمين في الشرق ولكن امام اعيننا الان اسوأ اعداء الله وهم اليهود فعلينا بآبادة هؤلاء اليهود اولاً قبل المسلمين وعندما دخل الصليبيون القدس ولجأ اليهود فيها الى معبدهم الرئيسى اضرم الصليبيون النار فيهم واحرقوهم داخل معبدهم . ومات كل اليهود في المعبد حرقاً . وقد انتهت الحقبة الصليبية عندما تحررت القدس على يد صلاح الدين الايوبي عام ١١٨٧م وحتى عام ١١٩٢م اوقف الملك الافضل بن صلاح الدين الايوبي الاراضى المجاورة للجانب الغربى من المسجد الأقصى على الحجاج المغاربة وتم لهم بناء ما عرف حتى اليوم بحى المغاربة الذى هدمه الاسرائيليون مؤخراً عندما دخلوا القدس عام ١٩٦٧ .

ثم جاءت الحقبة المملوكية في الفترة من ١٢٥٠-١٥١٧م وتلتها الحقبة العثمانية ١٥١٧-١٩١٨م وفي ظل ضعف الدولة العثمانية وتحكم يهود الدوئما أو الدوئمة ، في مقدراتها اخذ اليهود يتسللون الى فلسطين والقدس العربيه بصفه خاصة بعد طردهم من اوربا واقاموا بالقرب من باب المغاربة ومع تزايد شعورهم بالقوة اختاروا جزء من الجدار الغربى للمسجد واطلقوا عليه حائط المبكى ، وكان طوله ١٥٦ قدماً وارتفاعه ٥٦ قدماً وزعموا انه من بقايا جدار هيكل سليمان الذى تم تدميره على يد نيوخذ نصر ، ملك بابل عام ٥٨٦ق.م وللأسف لم يعر المسلمون هذا الامر اهتماماً ولم يقنطوا لخطورته الا في مرحلة الانتداب البريطانى (١٩١٨-١٩٤٨م) عندما قويت شوكة اليهود وحاولوا الاستيلاء على الحائط الذى هو جزء من جدار المسجد الأقصى بالقوة عام ١٩٣٩م واضطر المسلمون للدفاع عنه بارواحهم ونشبت ثورة عارمة في جميع انحاء فلسطين مما دعا الحكومة البريطانية منذ عام ١٩٢٠م الى طلب تشكيل لجنة دولية لبحث ملكية الحائط وقد تشكلت بالفعل لجنة

دوليه برئاسة وزير خارجية السويد (ليليل لوفجرين) والتي قررت بعد ما اجرتة هذه اللجنة من تحقيقات ملكيه المسلمين لحائط المبكى وما جاورها من اماكن وانه جزء لا يتجزأ من المسجد الاقصى كما اقرت فى تقريرها الصادر فى ديسمبر ١٩٣٠ م . ان المسلمين يطلقون على هذا الحائط (اسم البراق) ويعتبرونه من اماكنهم المقدسة وانهم سمحوا لليهود بمزاولة شعائرتهم عنده على سبيل التسامح وبدلاً من ان يحفظ اليهود هذا الجميل للمسلمين ولكنهم عمدوا بعد استيلائهم على القدس فى ٥ يونيو ١٩٦٧م الى ازالة حى المغاربة وكان يضم ١٣٥ منزلاً ومسجدين وعدداً من المدارس والمباني الاثرية ليقيموا فيها ساحة واسعة تتسع لصلواتهم وتتوالى مؤامراتهم على المسجد الاقصى ما بين اقتحام المتطرفين اليهود له بالقوة بموجب حكم من المحكمة الاسرائيلية العليا الى حرمان المسلمين من الصلاة فيه فترات طويلة الى حفريات عميقة اسفله لهدمه من اساسه ومن قبل محاولة حرقه .

وتلك فى لمح بسيطة بل موجزه ومختصره عن فلسطين تحت الحكم الاسلامى دون التوسع فى تفاصيل وذلك لان البحث الذى يهدف الى بيان الوضع التاريخى لفلسطين دون الدخول فى الفترة الاسلاميه من الفتح الاسلامى فى ١٥هـ / ٩٣٦م ذلك لان الذى يعيننا فى هذه الدراسة هو الفترة السابقه قبل الاسلام لكى تتضح الصورة واضحه جليه امام القارئ لكى يعرف عبر خمسة الاف سنه متواصله كيف ان فلسطين كانت منذ ان وطاعتها اقدام القبائل العربيه الكنعانيه اليبوسيه المهاجره من الجزيرة العربيه وما يتبعها من هجرات عربيه متلاحقه من الفنيقيين والاراميين والمدنيين وغيرهم من الشعوب العربيه التى استطاعت ان تصبغ هذه الديار الفلسطينيه بالصبغه العربيه بعيداً عن دور هذه القبائل العبريه الاسرائيليه اليهوديه التى لم يدم لها الاستقرار الا لفترات بسيطه لم تدم فى مجموعها طوال هذه الفترة الزمنيه الطويله عن ثلاثمائة أو اربعمائة سنه متقطعه فى حين ان القبائل الكنعانيه كانت تقيم اقامه دائمه وطويله ومتصله وان الفتره الوحيده التى يمكن ان يطلق عليها فترة السيادة الاسرائيليه هى الفترة من (١٠٠٠-٩٢٧ ق.م) وهى فترة لا تزيد عن ثلاثه وسبعين عاماً هى فترة حكم داود وابنه سليمان وكانت فترة قهر واخضاع وسيطرة على الشعوب العربيه ولم تدم الا فترة احتلال لديار عربيه وشعب عربى شأنها شأن كل الغزوات الخارجيه التى سيطرت على ارض لم يكن لها حق تاريخى فى السكنى بها او اداره شئونها السياسيه .

وبذلك نقف عند هذه الفترة لتكون نهاية هذا البحث بهذه الصفحات القلائل عن فلسطين تحت الحكم الاسلامى من ١٥هـ / ٦٣٦م - ١٩٤٨م .

الفصل الثانى عشر

الارهاب والعدوان الاسرائيلى الصهيونى ضد

الشعب الفلسطينى

لقد اعتمدت اسرائيل الارهاب كاسلوب عمل ووظيفة حسب حاجتها واوجدت له المبررات بل انها ابتكرت منه انواعاً جديدة لتضيق بذلك صفحات سوداء جديدة لتاريخ البشرية من خلال ممارسة الارهاب ضد العرب على مدى خمسين عاماً لاسيما ان ارض فلسطين التى وفد إليها يهود اوربا وبصفه خاصة اوربا الشرقيه الذين هم من اصل يهود الخزر المغول الاتراك الذين لاصله لهم بيهود التوراة الذين ذابوا عبر التاريخ . وذلك لاقامة دولة على ارض الميعاد المزعوم فبدأ هؤلاء فى تشكيل جماعات الارهاب لارهاب العرب من اهل فلسطين وقتلهم او ارهاب ما قبل نشأة الدولة الذى بدأ منذ الثلاثينات على يد الارهابين من امثال " جابوتشكى " وبن جوريون فظهرت عصابات (ارجون) وزفاى دليومى وشستيرن واجودان اسرائيل التى قامت بالعديد من المذابح ضد العرب واغتالت العديد من الشخصيات ، وكذلك اعتمدت اسرائيل الارهاب كسياسة ضد العرب لمنعهم من الاستعانة بالخبرات العلميه واجهاض اية مشروعات تكنولوجيه فكانت حملات الاغتيال الاسرائيليه ضد العلماء الالمان العاملين فى برنامج الصواريخ المصريه فى الستينات وقيامها باغتيال العلماء العرب فى المجالات النوويه مثل الدكتور يحيى المشد والدكتورة سميرة موسى ، وغيرهم فى مختلف الاقطار العربيه الذين اغتيلوا على يد الموساد .

ومن هنا فإننا نلاحظ خلال نصف قرن من الزمان كيف مارست اسرائيل التى تدعى انها واجهة الديمقراطيه الوحيدة فى الشرق الاوسط كل انواع الارهاب ضد الفلسطينيين والعرب وحقائق المذابح وتدمير القرى وقتل الاسرى واغتصاب الحقوق واحتلال الاراضى علامات بارزه فى سجل تاريخ اسرائيل الاسود والظروف المترديه والاضاع المتفجرة التى تعاني منها المنطقة حالياً من صنع بنيامين نيتانياهو رئيس الوزراء الاسرائيلى المتطرف خير شاهد على حالة الارهاب التى تمارسها اسرائيل ، ومن ثم فان احتفال اسرائيل بذكرى مرور خمسين عاماً على تأسيسها هو فى حقيقة الامر ادانه لاعمالها الارهابيه التى مارستها ضد العرب والفلسطينيين خلال خمسين عاماً والتاريخ اكبر شاهد على ذلك وذلك ما نشاهده فى الصفحات التالیه حيث اننا امام ظاهرة فريده

لابداع شيطاني ابتليت به المنطقة العربية قام على ارض شعب عربي فلسطيني مسالم ونمي وترعرع واصبح نموذجاً لدولة ارهايبه تحتفل يوم ١٥ مايو بمرور خمسين عاماً على الارهاب الاسرائيلي الذي يستخدم منطق القوة انطلاقاً من دعم امريكي اوربي ليس لارهاب الفلسطينيين فقط ولكن كل العرب ولكن ذلك لن يدوم طويلاً لأن الزمن في صالحنا وهو زماننا مهما طالت حالة الارهاب ولو استمر الارهاب لقرنين او ثلاثة قرون من الزمان فإن الزمان ينتهي والمستقبل قادم لصالح العرب الفلسطينيين .

وهكذا قامت اسرائيل قبل قيامها عام ١٩٤٨م بالعديد من الاعمال الارهابية العدوانية ضد الشعب الفلسطيني صاحب الارض والتاريخ والحضارة والوطن وذلك لاغتصاب فلسطين من اصحابها الشرعيين وذلك عملاً منها لزرع الرعب والفرع والارهاب لاجبار الشعب الفلسطيني على ترك ارضه والرحيل بعيداً عنها حتى تستطيع اسرائيل ان تحقق اهدافها الكبرى في اقامة اسرائيل الكبرى انطلاقاً من فكرة صهيونية تلمودية توارثته خاطئه لكن الارهاب كان صورة واضحة منذ امد بعيد بل واستمرت هذه الاعمال الوحشية بصورة مستمرة طوال الاعوام التالية انطلاقاً من فكرة استخدام القوة والبطش لجعل العرب يرتدعون عن فكرة اقامة دولة فلسطينية وفي الاعمال التالية والمستمرة عبر اكثر من خمسين عاماً هي عمر اسرائيل تعطى الدليل القاطع والقوى على عدوانية الشعوب الاسرائيلية ضد الحق العربي وسوف نقدم في هذا الفصل القصير جداً احصائيات للعمليات الارهابية التي قامت بها قوات الارهاب الاسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية المجاورة من عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٩٦م لكي نضع امام القارئ صورة واضحة وجلية عن المذابح الاجرامية البشعة التي ارتكبتها قوات العدو الاسرائيلي بصورة بشعة من المجازر وتلك هي صورة الارهاب الاسرائيلي .

ونجد انه في ١٢/١٢/١٩٤٧م قامت المنظمات الارهابية الصهيونية بالهجوم الغادر على احد مراكز حيفا وقتلت ١٢ فلسطينياً ، وفي ١٣/١٢/١٩٤٧م شنت المنظمات الصهيونية الارهابية هجوماً عنيفاً وبربرياً على مدينة القدس ويافا وقرية العباسية بجوار مدينة اللد وقتلت ١٨ فلسطينياً واصابت ٦٠ شخصاً بجراح بالغه مات منهم بعض الاعداد بعد ذلك ، وفي ٢٩/١٢/١٩٤٧م شنت المنظمات الارهابية الصهيونية هجوماً بالقنابل على باب الشام احد ابواب مدينة القدس ادى الى مقتل ١١ فرداً وجرح ٢٢ شخصاً ، وفي ٢٤/٢/١٩٤٨م هاجمت عصابات البالماخ والهاجاناه (الهاجاناه) قرية كفر الحسينيه وقتلت ٢١ فلسطينياً قروياً اثناء عودتهم من اعمالهم الى قريتهم وفي ٢٧/٣/١٩٤٨م قتلت العصابات الارهابية الصهيونية في هجوم شنته على قطار بالقرب من (بنيامينا) وقتلت ٢٤ فلسطينياً واصابت ٢١ فلسطينياً بجراح خطيره وفي ٢١/٣/١٩٤٨م فجرت

عصابات شتيرن الصهيونية قطار القاهرة - حيفا وقتلت ٤٠ فلسطينياً وجرحت ما يزيد عن ٦٣ فلسطينياً ، وفي ١٩٤٨/٤/٩م شنت عصابات الارجون الارهابية هجوماً على قرية ديرياسين بالقرب من القدس فقتلت كل سكان القرية جميعاً إلا اعداداً قليلة فرت هاربة من القرية وكان معظم القتلى من النساء والاطفال .

وفي ١٩٤٨/٤/١٢م هاجمت عصابات البالماخ الارهابية الصهيونية المتعصبه قرية (قالونيا) وقتلت ١٤ فلسطينياً وفي نفس الوقت واليوم قامت بالهجوم على مدينة حيفا واحتلت المنازل والشوارع ومباني الخدمات العامة وقتلت ٥٢ فلسطينياً واصابت ٢٠٢ فرداً باصابات بالغة وتعرض النساء والاطفال والشيوخ والعجزه الفلسطينيون لهجوم غادر من طرف العصابات الصهيونية الارهابية اثناء ترحيلهم من قراهم ومدنهم الى مدينة عكا بعد القيام بهدم هذه القرى وقتلوا منهم ١٠٣ فلسطينياً واصابوا اكثر من ٢٠٠ فرد بجراح مختلفة وخطيره ، وفي ١٩٤٨/٤/١٥م هاجمت العصابات الصهيونية الارهابية قرية (الصرفند) بمدافع الهاون وقتلت ١٦ فلسطينياً واصابت ١٣ بجراح خطيره وبالفه توفى بعضاً منهم فيما بعد واُضيف الى جملة القتلى .

وفي ١٩٤٨/١٠/٢٨م فقد المئات العديده من الفلسطينيين حياتهم في مذبحة (النوايمت) التي تقع غرب مدينة الخليل وقد نفذ هذه المذبحة الارهابي "موشيه ديان" وزير دفاع اسرائيل في حرب ١٩٦٧، ١٩٧٣م ، وفي ١٩٤٨/١٠/٢٩م اقتحمت المصفحات الاسرائيليه مسجد الدرويش وقتلت ٧٧ فلسطينياً كانوا يؤدون الصلاة في المسجد . وفي ١٩٤٨/١٢/٢١م قتلت العصابات الاسرائيليه الارهابيه ٦٠ فلسطينياً من النساء والاطفال في مذبحة (بلد الشيخ) وفي ١٩٥٢/١/١١م شنت القوات الاسرائيليه عدة هجمات على قرية (بيت الجلاء) بالقرب من القدس وقتلت ١٣ فلسطينياً من بينهم ٤ اطفال وامرأتان وفي ١٩٥٢/١٢/٣م احتل الجنود الاسرائيليون بلدة خان يونس وقتلت ٢٧ فلسطينياً ، وفي ١٩٥٣/١٠/١٥، ١٤م قتل جنود الفرقه ١٠١ باوامر من الارهابي "ديفيد بن جورديون" رئيس وزراء اسرائيل وقتلوا ٦٩ فلسطينياً في قرية "قبينا" وفي ١٩٥٤/٣/٢٩، ٢٨م هجم الجنود الاسرائيليون على قرية "نخيل" وقتلوا ٩ فلسطينين وجرحوا ١١ فرداً آخرين ، وفي ١٩٥٤/١٢/١١م هاجمت القوات الاسرائيليه بلدة "قايطى" وقتلوا ١٥ فلسطينياً وفي ١٩٥٦/٤/٢٥م هاجمت اسرائيل مدينة غزه بمدافع الهاون وقتلت ٥٦ فلسطينياً وجرحت ما يقرب أو يزيد عن ١٠٣ فرداً وفي ١٩٥٦/١٠/٢٩م حدثت مذبحة كفر قاسم وفيها قتل الارهابيون الصهاينه اكثر من ٤٩ فلسطينياً من بينهم ١٢ امرأة وكان "شيمون بيرز" رئيس وزراء اسرائيل السابق قبل "بنيامين نيتياهو" وقتها وزيراً للدفاع ، وفي ١٩٥٨/١٠/١٣م قامت وحدة كوماندوز

قبوامها ٥٠٠ جندي بقيادة " اريل شارون " وزير البنية التحتية الحاليه فى اسرائيل (١٩٩٨ م)
 بالهجوم على قرية " قبيتا " فقتلت ٦٧ فلسطينيا وجرحت ٧٥ فرداً وهدمت ٤٨ منزلاً . وفى نفس
 الليله احرق الارهابيون الصهاينه قريتين فلسطينيتين ، وفى ١٠/١٢/١٩٦٢ ضربت اسرائيل معسكر
 اللاجئين الفلسطينيين فى بلدة الكرامه فى الاردن فقتلت ١٤ فلسطينياً وجرحت ٢٨ فرداً آخرين ،
 وفى ١٣/١٢/١٩٦٦ م هاجمت القوات الاسرائيلية قرية " السامى " وهدمت ١٢٥ مبنى فى القرية من
 بينها مسجد القرية الكبير ومدرسه وقتلت ١٨ فلسطينياً واصابت ١٣٢ بجراح بالغه وخطيرة وفى
 ١٥/٢/١٩٨٦ م قذفت الطائرات الاسرائيلية ١٥ قرية ومعسكرات اللاجئين الفلسطينيين على طول نهر
 الاردن بقنابل النابالم المحرمة دولياً فقتلت ٥٦ فلسطينياً وجرحت ٨٢ واضطر اكثر من سبعين الف
 شخص ٧٠.٠٠٠ الف للفرار من هذه القرى الهجرة الجماعية الى عمان العاصمة ، وفى
 ٤/٨/١٩٦٨ م قذفت الطائرات الاسرائيلية مدينة (اريد) الاردنية وقتلت ٣٠ شخصاً وجرحت اكثر من
 ٥٩ فرد آخرين ، وفى ١٢/٢/١٩٧٠ هاجمت الطائرات الاسرائيلية مصنع ابوزعبل بالقاهرة فقتلت
 ٧٢ عاملاً وفى ٨/٤/١٩٧٠ م قذفت الطائرات الاسرائيلية بالقنابل مدرسة بحر البقر الابتدائية فقتلت
 ٤٦ طفلاً ، وفى ٢٩/١٠/١٩٧٦ م استشهد ٣٩ فلسطينياً فى هجوم العصابات الصهيونية على كفر
 قاسم ، وفى ١٦/٩/١٩٨٢ م حاصرت القوات الاسرائيلية معسكرات اللاجئين فى صبرا وشاتيلا
 وقامت بمذبحة كبيرة قتل فيها ما يقرب من الف شخص ٩٩١ لاجئاً فلسطينياً ، وفى ٢٦/٦/١٩٨٣ م
 اقتحم المستوطنون الاسرائيليون الجامعة الاسلاميه فى مدينة الخليل واطلقوا النار بشكل عشوائى
 أدى الى مصرع ٣ طلاب ، وجرح ٢٢ طالباً فلسطينياً وفى ١٢/٤/١٩٩٩ م قتل الجنود الاسرائيليون
 ٢٣ طالباً فلسطينياً فى ساحة المسجد الاقصى وهم يؤتون الصلاة وفى ١٣/١٠/١٩٩٠ م اطلق جنود
 الشرطة الاسرائيلية النار على المسلمين الذين حاولوا منع اسرائيل من هدم المسجد الاقصى فاذى
 ذلك الى مذبحة قتل فيها ٣٤ فلسطينياً وجرح اكثر من ٨٠٠ شخص فلسطينى ، وفى ٢٥/٢/١٩٩٤ م
 حدثت مذبحة الحرم الابراهيمى فى مدينة الخليل عندما فتح احد الاسرائيلين النار على المسلمين
 الذين كانوا يؤتون صلاة الفجر فى شهر رمضان المعظم فقتل ٤٢ فلسطينياً وجرح اكثر من ٧٠
 شخصاً مصلياً والى قام بهذه المذبحة هو ضابط سابق فى الجيش الاسرائيلى هو (جولدشتاين) .
 وفى ابريل ١٩٩٦ م حدثت مذبحة ثانا فى جنوب لبنان عندما قامت قوات الاحتلال
 الاسرائيلى فى عهد حكم شيمون بيريز (داعية السلام الاكبر كما يقولون) بقرب مقر الامم المتحدة
 الذى لجأ اليه سكان المنطقة مما ادى الى مصرع اكثر من ١٠٨ فرداً معظمهم من العجائز والنساء
 والاطفال وكان هؤلاء من المدنيين كبار أو صغار الذين لجؤوا الى معسكر قوة الامم المتحدة للاحتماء

من ضربات حبله عناقيد الغضب الايهيائليه لقد استشهد تحت وابل القاذفات الاسرائيليه . ولقد ذكرت "لارامارلو" مراسلة مجلة " تايم الامريكى " فى بيروت والتي كانت من اوائل الذين وصلوا الى موقع المذبحة وقالت فى تقريرها (وجدت جثث القتلى مكسبه فوق بعضها وتحت الاغطيه التى القاها جنود قوة السلام فوق اشلاء الضحايا) .

وهكذا شهد شاهد من اهلها . عن فظاعة المذبحة المراسله الامريكىه والجريمه تمت بايد اسرائيليه وقاذفات امريكىه الصنع وبعد الحادث المأساوى استخدمت امريكا واشنطن نفوذها حتى لا يواجه الامن اتهاما لاسرائيل التى واصلت حملة عناقيد الغضب ١٦ يوماً . توقف دكت خلالها بيوتاً واصابت قرى الجنوب اللبناى .

وسلسل الارهاب اكثربكثير من هذه البيانات السابقه ولكن ذلك الحصر ماهو الا نسيبه قليله جداً من الاعمال الارهابيه التى قامت بها اسرائيل ولا زالت تقوم بها يومياً بصفه مستمره ومتصله بالعدوان على الجنوب اللبناى ولا زالت غارات الطائرات تدك المدن والقرى الجنوبيه بالقنابل والمدافع المستمره يومياً مما جعل الحياه فى جنوب لبنان جحيماً لا يطاق منعاً لانطلاق رجال المقاومه اللبنايه لتحرير هذا الجزء من الاراضى اللبنايه التى لازالت تخضع للاحتلال الاسرائيلى اضافه الى هضبة الجولان السوريه ، ان مسلسل الارهاب والبطش والفدر الاسرائيلى لازال مستمراً رغم توقيع بعض اتفاقيات ما يسمى بسلام الحكومات منذ عام ١٩٧٩م الا ان اسرائيل لازالت ترعى الارهاب ومحاولة اغتيال خالد مشعل فى الاردن والتجسس على البعثه الايرانيه فى برن فى سويسرا واغتيال العديد من الافراد والشخصيات المصريه (يجبى المشد) وغيره من الفلسطينيين والعرب "يجبى عياش" والكثيرين الذين قامت اسرائيل باعمال ارهابيه ضدهم ولاسيما ان الارهاب الاسرائيلى يجد لذه ومتعه فى اراقه دماء العرب وسياسه نيتانياهاو عنوان الحقيقه الارهابيه على ان اسرائيل دولة قامت على الارهاب كما قال ذلك الدكتور "نومتىك شوفاليه" استاذ تاريخ العالم العربى والاسلامى بجامعة السوربون فى فرنسا بان الارهاب اليهودى فى الثلاثينات من هذا القرن هو الذى سمح بانشاء دولة اسرائيل كما انه كما جاء فى اقوال مناحم بيغن رئيس وزراء اسرائيل الاسبق بانه لولا مذبحة ديرباسين لما قامت اسرائيل وكيف ان مذبحة دير ياسين قد اسهمت مع غيرها من المجازر البشعه فى تفريغ فلسطين من العرب .

وهكذا يثبت للرأى العام العربى والاسلامى بل والاسلامى ان اسرائيل دولة ارهابيه غادره والذين يطالعون كتاب " اسرائيل الى زوال " للدكتور / عبدالفتاح الغنيمى يدركون الاعمال الارهابيه التى قام بها الاسرائيليون ضد الشعوب العربيه المجاوره اضافه الى الشعب الفلسطينى صاحب الارض والتاريخ والحق الشرعى فى الميراث الحضارى العربى القديم حيث ان الشعب

الفلسطينى لا يقتصر على القبائل العربية فالستيا Pulestiu بل اختلط مع الكنعانيين اليبوسيين والاراميون وغيرهم من شعوب العرب التى قدمت الى فلسطين بعد السبى البابلى الاول فى عهد نبوخذ نصر وغيرهم من ملوك البابليين أو الاشوريين الذين احلوا شعوب عربية من شتى انحاء الامبراطورية الواسعة محل بقايا اليهود الذين تم نفيهم وتشريدهم من فلسطين .

وهكذا يكون الوجه عربياً منذ حقب طويلة مما لا يدع ادنى مجال بالقول بان لليهود أو الاسرائيليين أو العبرانيين أو الصهيونيين ادنى حقوق تاريخيه فى فلسطين بل حقوقهم التاريخيه فى بلاد الخزر فى شمال غرب روسيا الاتحاديه فى المنطقه الواقعه ما بين بحر الاورال وبحر قزوين حيث سكن يهود الخزر ثم فى جميع مناطق شرق اوربا حيث المجر وبولندا والنمسا وبلغاريا ورومانيا حيث يهود الخزر القادمين من روسيا وتلك الشعوب ذات طبيعه ارهابيه عدوانيه .

وقد قامت السلطات الاسرائيليه بالاعمال التاليه ايضاً :

فى ٥/١١/١٩٤٨م اجبر اهالى قرية " اركبت " فى الجليل الغربى على النزوح عن ديارهم كما انه فى ١٥/١١/١٩٤٨م اجبر اهالى " كفر بيرعام " على النزوح عن ديارهم وفى ٤/٢/١٩٤٩م تم بالقوه طرد غالبية اهالى كفر عنان . اما ديارهم فقد هدمتها القوات الاسرائيليه وسويت بالارض ، وفى ٢٨/٢/١٩٤٩م القت القوات الاسرائيليه فى كفر " باسر القبض " على ٧٠٠ لاجئ عربى من اهالى القرى الاخرى وتم ترحيلهم بالقوة خارج الحدود ، وفى ٢٤/١/١٩٥٠م اجلت القوات الاسرائيليه بالعنف اهالى قرية القابسيه ، وفى ٧/١/١٩٥١م طردت القوات الاسرائيليه بالعنف ٢٠٠٠ من العرب امثال مدينة بحدل عسقلون .

وفى الفترة من ١/٢ الى ١٠/٢/١٩٥١م ارغمت السلطات الاسرائيليه السكان العرب اهالى ١٢ قرية فى وادى عرابه على الهجره من اراضيهم ، وفى ١٧/١١/١٩٥١م هدمت القوات الاسرائيليه قرية " البونيشات " وطردت سكانها .

وفى نوفمبر ١٩٥١م ثم طرد الاهالى من قرية " ام الفرج " ثم قام الجيش الاسرائيلى بهدم منازلها . وفى ٢٩/١/١٩٥٦م دبرت القوات الاسرائيليه مذبحه " كفر قاسم " وذلك باطلاق الرصاص على رجال ونساء واطفال القرية العربيه .

وذلك قليل من كثير مما قامت به اسرائيل ضد العرب فى فلسطين ثم جاءت اتفاقيات السلام لتعترف بالارهاب الاسرائيلى لتكون له دولة فى فلسطين على حساب الحق العربى وليس دولة عاديه شأنها شأن الاقطار العربيه ولكن دولة لها قوة التأثير والقوة والسيادة والسيطرة على مقاليد الامور فى منطقة الشرق العربى .

الخاتمة

ان الذين يطالعون هذه الفصول الاثني عشره التى هى تشتمل كل هذه الدراسة برويه وتانى يجدون فى النهايه عند الدخول الى الخاتمة اننا قد عملنا بكل الجهد على ان تكون الخاتمة هى عصارة كل هذه الفصول وذلك لكى نضع امام القارئ الكريم صورة موجزه ايجازاً موضوعياً بهذه الصورة لكى تكون الصورة واضحة وجليه بعيداً عن التفاصيل التى ربما يمل من طول قراءتها القارئ المتعجل ومن هنا فان الذى يكون على عجاله من مطالعة كل هذه الصفحات ان يلجأ الى هذه الخاتمة .

والتى تقول فيها انه ليس هناك سلالة جنسيه نقيه Pure Race فى العالم المعاصر انما شعوب تم بينها الاختلاط بدرجات مختلفه ومن هنا فإن القول بوحدة الجنس الاسرائيلى أو العبرى أو اليهودى قول باطل دحضته دراسات وابحاث عده وذلك منذ العصور القديمه منذ ظهور ابراهيم عليه السلام فى أور Uร فى كلدانيا فى شمال العراق حيث اختلطوا بالكلدانيين والسومريين قبل قدومهم الى ارض فلسطين حيث الكنعانيين وغيرهم من الشعوب الساميه .

ومن هنا فإن اليهود انما هم عدة اجناس مختلفه يشكلون فى فلسطين المحتله اكثر من اربعة وسبعين جنساً وقوميه وما يقرب من اربعة وسبعين لغة وهذا ينفى كل النفى ادنى صله لهم بالحق التاريخى بفلسطين لان يهود ابراهيم واسحق ويعقوب والاسباط وموسى وهارون وداود وسليمان قد ذابوا وانصهروا واختلطوا بالشعوب التى عاشوا فيها وان اليهود الحاليين هم من بين الشعوب التى قدموا منها وليس لهم ادنى صله بفلسطين ولا بالساميين القدامى لاسيما ان اليهود خلال تاريخهم الطويل ١٨٠٠ ق.م عبور لابراهيم الى فلسطين قد حملوا كثيراً من الدماء الاجنبيه وقد اثبتت الدراسات الانثربولوجيه ذلك وهذه حقيقه واضحه امامنا فى شعوب اسرائيل الحاليه (١٩٩٨) وكذلك فان الدراسات السيروولوجيه اثبتت ان اليهود فيما بينهم تفاوت كبير فى الدم مما تبقى تجانس الاصل . وذلك بعد ان توزع اليهود فى مختلف القارات لتصبح اليهوديه مجرد توزيع فى مختلف انحاء العالم لاسيما ان تيار النوبيان كان اقوى بما فرض نفسه وذلك منذ عصور مصر واشور وبابل وفارس والهكسوس والفلسطينيين والكنعانيين والاراميون والادميون فما بالناس بالعصور

الوسطى والعصور الحديثه ليس هناك شعب يهودى بل ديانته يهوديه وان ٩٥٪ من يهود اسرائيل ليسوا من بنى اسرائيل والقول بغير ذلك هو مغالطه لحقائق التاريخ والانثربولوجيا وقد ساعد ذلك التضليل الصهيونى ما تقول به الصهيويينه ان جميع اليهود فى جميع انحاء العالم هم من نسل بنى اسرائيل ولكن الحقيقه ان اليهود بعد فتره الشتات وما اكثر ما تعرضوا للشتات فى فترات مختلفه لاسيما العصر البابلى والاشورى والرومانى لذا بشروا باليهوديه بين مختلف الشعوب وتم نشر اليهوديه فى روسيا وشرق اوربا والعالم الجديد ومن هنا فان اليهود الذين اعتنقوا الدين اليهودى لم يكونوا من سكان فلسطين فقد قضى على بنى اسرائيل كسلاله جنسيه منذ عصور قديمه لاسيما بعد الاسر البابلى حيث جاءت عناصر من شتى انحاء الامبراطوريه لتسكن فلسطين بعد ان تم اجلاء جميع اليهود من هذه الاراضى كذلك فان عوامل الامتصاص كان لها اثر كبير فى الاقطار الواسعه حيث ان الدم غير اليهودى قد امتصه اليهود فى شتى انحاء العالم لاسيما انه فى جميع العصور قد انضم اليهم اشخاص من اجناس شتى وان هؤلاء المتهودين جاؤا من جميع انحاء العالم لكى يسلبوا الشعب الفلسطينى حقه التاريخى والحضارى فى ارضه فلسطين .

ومن هنا يتضح القول بانه ليس هناك ادنى صله تاريخيه أو سلاليه أو عرقيه أو جنسيه أو انثربولوجيه أو چينيه بين سكان فلسطين القدامى منذ خمسة الاف سنه وبين العبرانيين الذين جاؤا الى هذه الاراضى عابرين وعاشوا فترة ورحلوا ولم تكن لهم ادنى صله مستمره أو متصله بفلسطين لاسيما ان الكنعانيين قد سكنوا فلسطين هم اليبوسيين منذ اربعة الاف سنه وبالتحديد من اكثر من ٢٥٠٠ سنه قبل قدوم ابراهيم عليه السلام الى ارض كنعان كما تذكر ذلك التوراه وان هذه البلاد فى حوالى ١٨٠٠ ق.م كانت امله بالكنعانيين وكانت تدعى ارض كنعان وقد جاورهم فى فلسطين بعض القبائل العربيه الاخرى كالفنيقيين والازامين والعمورين وقد استقروا فى فلسطين واقاموا بها حضاره كذلك رحل بعض الكنعانيين الى الساحل اللبنانى ومن الثابت علمياً ان هناك وحدة انثربولوجيه لاقوام فلسطين وبلاد ما بين النهرين الذين يسمون عرب وكنعانيين وفنيقيين وعمورين وكلدانيين واشوريين وبابليين وقد اختلطوا فيما بينهم بعد ان قدمت اليهم تيارات هجره بشريه من الجزيره العربيه وان هذه القبائل قد سكنت فلسطين منذ فجر التاريخ وبذلك تقول التوراه ولقد لعب اليبوسيون العرب دوراً هاماً فى فلسطين لانهم قبائل عربيه وضعت نفسها تحت الحكم المصرى فى عهد تحتمس الاول ١٥٠٠ ق.م لكى يوفر لها الحمايه من العبرانيين الغرباء .

وكذلك خضعت ييوس لفراعنه مصر فى عهد تحتمس الثالث عام ١٤٧٩ حيث اقام عليها حاكماً مصرياً وقامت مصر بحماية بلاد الكنعانيين فى فلسطين من القبائل المغيره كذلك كانت فلسطين الكنعانيين تحت سيادة امنحيب الثالث الفرعون المصرى عام ١٤١٣ واخناتون الذى اصبحت ييوس اهم ممتلكاته عام ١٣٧٥ ق.م ثم الملك توت عنخ امون ١٣١٥ ق.م وسينى الاول ١٣١٤ ق.م ورمسيس الثانى دخل فلسطين عام ١٢٩٤ ق.م .

وهكذا نرى كيف ان الكيان الكنعانى الفلسطينى كان يخضع للنفوذ المصرى العربى قبل ان تظهر مملكه داود او سليمان التى ظهرت منذ عام ١٠٠٠-٩٢٧ ق.م بعدة قرون وكذلك قبل دخول يشوع بعد موسى الى كنعان وقبل ان يستطيع شاول توحيد العناصر العبرانيه .

كذلك فان ابراهيم وقومه ٢١٨ فرداً كانوا غرباء فى فلسطين عندما عبروا نهر الفرات والاردن ليقيموا ضيوفاً على سكانها العرب وان فلسطين كانت لا تزال ارض كنعان وملكاً للعرب الكنعانيين القدامى حتى استطاع داود ان يفتح "ييوس" اورشليم عام ١٠٠٠ ق.م لكن غالبية السكان كانت من الكنعانيين ومعهم القبائل العربيه الاخرى وان السيادة اليهوديه لم تدم الا اقل من ثلاثه وسبعين عام وظل الكنعانيين يعيشون فى فلسطين وان كانت بعض الاعداد منهم قد اعتنقت اليهوديه ومعهم قبائل الادوميون وانشأ الكنعانيون حضاره راقيه فى فلسطين قبل قدوم الفلسطينيين والاسرائيليين .

وقد ظهر الكنعانيون كقوه كبيره فى فلسطين فى عصر الدوله الحديثه (٣١٩٧-٢٧٧٨ ق.م) ونشروا بها ثقافتهم ومؤسساتهم وكان ذلك حوالى اربعة الاف سنه قبل الميلاد وقد شملت بلادهم كل فلسطين وبلاد الاردن وانها وصلت فى اعوام (٢٨٠٠-٢٦٠٠ ق.م) الى سوريا وفلسطين والكنعانيون هم اول من سكن ارض كنعان فى فلسطين وكذلك استطاع الاراميون فى الداخل خلف مراعى لبنان ان يبسطوا سيطرتهم وكذلك الفنيقيين سكان الساحل وذلك قبل عدة قرون على ظهور العبرانيين وقد ثبت انه فى الالف الرابعه قبل الميلاد انه كانت هناك علاقات تجاريه متبادله بين مصر وفلسطين الكنعانيين فأتى كان العبرانيين الذين يريدون السيطرة على ارض فلسطين فى هذا التاريخ المبكر بل اكثر من ذلك فان هناك شعوباً عربيه كثيره ظهرت وغزت فلسطين منذ امد طويله قبل الميلاد . وبذلك تكون هذه القبائل العربيه قد هاجرت الى فلسطين منذ عصور قديمه قبل ظهور

العبرانيين كشعوب بدائية لم يكن لها حق الإقامة الا عبوراً لهذه الفترة القصيرة في فلسطين عبر التاريخ الطويل الممتد من العصور القديمة ما قبل التاريخ .

ومن ثم فلا بد من الحديث عن بداية هجرة ابراهيم عليه السلام باعتبار ان العبرانيين والاسرائيليين واليهود ينتسبون جميعاً الى ابراهيم الذي قام حوالي ١٨٠٥ ق.م مهاجراً وجماعته من مدينة اور الكلدانية في العراق الى ارض كنعان واتوا الى حران وسكنوا هناك ثم تركها نظراً لسوء الحالة الاقتصادية الى مصر كما تقول التوراه وهناك اقوال ترجح ان الهجرة كانت حوالي ١٧٥٠ ق.م ثم عاد الى فلسطين غريباً وسكن ونصب خيامه في البداية بين بيت ايل وعامى ومات ابراهيم ودفن في مغاره المكفيله في حبرون (الخليل) في ارض لم تكن ملكاً له بل اشتراها من اليبوسيون الذين قبلوا على مضض ثمن هذه الارض وكما لجأ ابراهيم الى مصر فإن من ذريته نوح يعقوب (اسرائيل) وابناؤه الاسباط الاحد عشر بعد ان كان قد سبقهم الى مصر ابنه يوسف ثم بعد فترة جاء اخوة بنيامين مع اخوته لكي يقيم فترة قبل قدوم ابيه واخوته وذلك عندما اشتد القحط بارض كنعان فجاء هؤلاء الى مصر لأن الجوع كان شديداً في الارض وجاء يعقوب ونسله وتناسلوا في ارض (جاسان) بالصحراء الشرقية وقد قيل ان مدة مكوثهم كانت ٤٣٠ (اربعمائة وثلاثين عاماً والبعض الآخر قال ٢١٥ مائتي وخمسة عشر عاماً ومهما يكن الاختلاف في التاريخ ذلك لأن لاوى الجد الأكبر لموسى قد دخل مصر مع ابيه واخوته ومن هنا فإن هناك اربعة اجيال فقط هي التي عاشت في مصر وهي (موسى بن عمران بن فهيمات بن لاوى بن يعقوب) وقد يكون عمر الفرد طويلاً في ذلك الوقت اذ اخذنا في المقارنة ان ابراهيم عليه السلام قد مات وعمره اكثر من مائة عام بعدة اعوام .

وبهذا فإنه يمكن القول ان اسرائيل (يعقوب) واهله وابناؤه نزلوا مصر ضيوفاً بسبب الجوع الذي كان في الارض وظلوا في مصر حتى رحلوا عنها في ركاب موسى عليه السلام وخلال وجود بني اسرائيل في مصر ربطوا مصالحهم بوجود حكام مصر من الهكسوس المستعمرين (٢٠٩٨ - ١٥٨٧ ق.م) وتعاونوا مع المستعمر فلما انتصر المصريون على الهكسوس نقم الحكم الوطنى عليهم ، ومن ثم فإن طرد الهكسوس كان لابد ان يخلى الساحة امام اقتصاص مصرى عنيف من الاسرائيليين حيث ساعدوا الهكسوس الدخلاء وساهموا في احلال الكوارث التي لم تنسى من ذاكرة

المصريين ورغم طول الفترة ما بين طرد الهكسوس وخروج الاسرائيليين من مصر بصحبة موسى النبي الا ان هناك دلائل عديدة على ان ذكرى الهكسوس ظلت عالقة في اذهان المصريين وقد اختلف المؤرخون في تحديد خروج بني اسرائيل عن مصر وان كانت اغلب الآراء تأخذ بأن الخروج كان في عهد منفتاح (١٢٣٤ - ١٢٢٥ ق.م) وقد حاول موسى ان يقود بني اسرائيل الى ارض كنعان ولكنه عانى كثيراً منهم وتمردوا عليه حتى تاهوا في البريه في صحراء سيناء اربعين عاماً وفنى جيل موسى عن آخره وكان موسى عارفاً بطبيعة الشعب الاسرائيلي وتمردهم وكان بنوا اسرائيل عند خروجهم لا يريدون ان يلفتوا اليهم الانتظار ولكن رجال فرعون عرفوا بقرار بني اسرائيل فكانت المطاردة والقصة معروفة للجميع كما جاء في القرآن الكريم ولكن بني اسرائيل جحَنوا نعمة الله وآياته البينات فلم يستجيبوا لدعوة موسى وخالفوا امره خوفاً من اهل كنعان العنيفة ولكن موسى اراد ان يخفف عنهم الهمم وان ييث في قلوبهم الامن والامل في الوصول الى ارض كنعان بدلاً من العيش في الصحراء وفي سيناء بعد ان انقذهم الله من ايدي المصريين وانهم كانوا عند خروجهم خمسة الاف وخمسون فرداً وهو القول الصحيح لانهم عند دخولهم كانوا اعداد قليلة لا تزيد عن خمسة وسبعين فرداً أو ربما سبعمائة وخمسين فرداً .

ولهذا كان على بني اسرائيل لكي يستقروا في ارض كنعان التي رفضوا دخولها ان يحاربوا الكنعانيين وذلك بعد ان قويت شوكة بني اسرائيل بقيادة (يشوع) الذي كان خادماً أو ملازماً وألت اليه القيادة ودخلت بني اسرائيل الارض التي وعدهم الرب اياها تحت قيادة يشوع بن نون والذي قاد عشائر بني اسرائيل الاثني عشر سبطاً وبدأت اول حرب خاضتها جماعة من اسرائيل منذ ان وجدت وانقض الاسرائيليين الجوع على جماعة مستقرة في المدن والمزارع وأصحاب حضارة في كنعان وقتل الاسرائيليون من الكنعانيين اعداداً كثيرة وسبوا من بقي من نسائهم وجرت دماء القتلى انهاراً ودمروا اريحا واحرقوا المدن الأخرى وقتلوا ملوكها واستخدموا امضى وسائل العنف والقتل والابادة في القضاء على سكان المدن الخمس الرئيسية في البلاد .

ويرى المؤرخون أن طبيعة هذه الانتصارات لم تكن بسبب قوة اليهود وشجاعتهم بل بسبب ما اصاب البلاد من تمزق وفوضى وانقسام في صفوف الكنعانيين وقد صار الاسرائيليين كقطع الذئب التي دفعها الجوع الى الاقتراب من المدن وقد كان اليهود في زمن شاؤول اخلاطاً من عصابت جامحة كانوا قبائل صغيرة بدوية تقوم خيامها على الغزو والغنيمة وانهاب القرى .

وهكذا استقر الاسرائيليون فى القرى التى دخلوها وانتشروا فى البلاد التى حولها واستطاع يشوع بن نون ان يهزم ملوك الكنعانيين الخمس شر هزيمة ثم اسر حكام المدن وقتلهم ومثل بجثثهم وان بنى اسرائيل قتلوا كل نفس فى هذه المدن الخمس ولم يبق فيها اى بشر ويلاحظ انه فى عهد يشوع فإن اثر موسى فيهم كان محدوداً ومن ثم فإنهم خضعوا لتقاليد مجتمع جديد وعبدوا الاله البعل الاله الكنعانيين واتخذوا اللغة الكنعانية لغة لهم وورثوا عن الكنعانيين اسس الثقافة واخذوا بتقاليد عبادة الاله (تموز) الذى كان الكنعانيين يعبدونه كغيرهم من اقوام الشرق الاوسط القديم . وهكذا ذاق بنى اسرائيل طعم حياة المدنية وعاشوا فى ظل حكم القبائل طوال فترة يشوع وحتى بعد وفاته بفترة طويلة فى ظل روساء القبائل الذين اطلق على فترة حكمهم حكم القضاء ، وظلوا متنازعين فيما بينهم ومن ثم سهل للكنعانيين الفلسطينيين والتحكم فيهم سياسياً واقتصادياً وحضارياً فترة طويلة حتى قدم رئيسهم القاضى صموئيل الثانى الذى استطاع ان يختار لهم ملكاً يوحد صفوفهم وكان ذلك الملك هو الملك شاول الذى حكم طوال عام ١٠٢٠-١٠٠٤ ق.م وكان معروفاً بالقوة والشدة وضرب عرض الحائط برأى رجال الدين الذين وقفوا ضده وانحازوا الى حق داود ، فيما بعد وقاد جيوشه لقتال بعض اعداء بنى اسرائيل الذين كانوا يبسطون نفوذهم على ارض فلسطين ، وفى ذلك الوقت لم يكن الاسرائيلين يسيطرون الا على جزء بسيط من الضفة الغربية (الهضبة الوسطى) وانهزم الاسرائيلين وهربوا من امام الفلسطينيين واشتدت الحرب على شاول وبنيه قد ماتوا تركوا المدن وهربوا فجاء الفلسطينيون وسكنوا فيها وظلت بعد ذلك ارض كنعان بين شد وجذب من قبل الفريقين حتى عام ١٠٠٠ ق.م عندما جاء داود وهزم الفلسطينيين وتقدم للاستيلاء على الدويلات الصغيرة الواقعة الى الشرق من فلسطين ومنها (ايوم ، مؤاب ، عمون ، جلفاد) بعد ان ساعد رجال الدين داود على تولى الحكم .

وهكذا نرى كيف انه بعد اقامة دائمة ومستمرة للكنعانيين دامت خمسة عشر قرناً (١٥٠٠ سنة) استطاع بنى اسرائيل التغلب على البلاد واقاموا حكماً اسرائيلياً سياسياً واقتصادياً دام ثلاثة وسبعين عاماً مستمرة هى فترة حكم داود وابنه سليمان (١٠٠٠-٩٢٧ ق.م) وذلك بعد صراع طويل مع الكنعانيين اصحاب البلد الشرعيين منذ هروبهم من مصر عام ١٢٤٢ ق.م أى دام ما يقرب من ٢٥٠ مائتى وخمسين عاماً كانت مليئة بحوادث الصراع الذى قام بين الكنعانيين والاسرائيليين فى

تلك البلاد وان الصراع الذي استبسل فيه الكنعانين دفاعاً عن بلادهم لكن نتيجة الاعمال الوحشية الضارية التي اباحوها لانفسهم لم يمنع اهل البلاد الكنعانين وغيرهم من الشعوب العربية الاخرى الا ان تكون من متمسكة بارضها واستمروا في حياتهم القومية يعيشون في مدنهم وقراهم بعد ان هدأت حالة الحرب والدمار الى فرضها القتال .

ويذكر العهد القديم ان بنى اسرائيل عندما دخلوا فلسطين (ارض كنعان) ساكنوا اهلها وتشير التوراة الى القبائل العربية ومنازلها وكان داود قد سيطر على زمام بنى اسرائيل عام ١٠٠٧ ق.م عندما مات اشيال بن شاول ودخل في صراع مع الفلسطينيين حتى تم له النصر عليهم عام ١٠٠٠ ق.م . وكذلك على جميع القبائل داخل نطاق فلسطين وجعلهم يدفعون الجزية وهكذا يتولى داود الامر بعد ان كان يحمل درع شاول وكان اول الامر يحكم بصفته تابعاً للفلسطينيين واحتل القدس ييوس وجعلها عاصمة مملكته بعد مقاومة عنيفة مع اليبوسيين واجبر البلاد المجاورة على دفع الخراج واختلط الاسرائيليون بالقبائل الاخرى وتزوجوا منهم وزوجوا بناتهم لابناء هذه القبائل وخاصة الاداميون ومن ثم انصهر اليهود الاسرائيليون في الشعوب التي كانت تسكن فلسطين ودخل بعض الكنعانين الديانة اليهودية الموسوية) .

وجاء بعده ابنه سليمان ليحكم (٩٦٠-٩٢٧ ق.م) وتم بناء الهيكل الذي كان ابوه داود قد بدأ في اقامته واستطاع توسيع مملكة اسرائيل وامتدت من مدينة دان (احد الاسباط الاثني عشر) الى بئر سبع في الجنوب واتخذت من ييوس عاصمة لها بعد ان تحولت الى اورشليم . واستفاد الاسرائيلين من حضارة كنعان وغيرها من الحضارات العربية واشتغلوا بالزراعة وتعلموا الفنون وصناعة الحديد وغيره من الصناعات الاخرى وتأثروا حضارياً واقتصادياً وزراعياً واستفادوا مما وصلت إليه كنعان من حضارة هي اعلى كثيراً مما كان عليه بنى اسرائيل قبل دخولهم كنعان والاستيلاء على الحكم في البلاد وكان قد حدث تغير عظيم منذ أن أصبح سليمان وقبله داود ملكين على فلسطين وبدأ عهد جديد في الادارة والتنظيم وبدوا يشتغلون بالتجارة وان كانت التجارة في عهد سليمان في ايدي الفنيقيين وتطلع سليمان الى حياة فاخرة مقلداً المصريين والكنعانيين والفنيقيين وتحول الاسرائيلين للأخذ بالاساليب الحضارية حيث كانت الصناعة في كنعان متقدمة تقدماً كبيراً . وهكذا تكون فترة حكم داود وابنه سليمان التي دامت ثلاثة وسبعين عاماً (١٠٠٠-٩٢٧ ق.م)

قد شهدت توحيد بنى اسرائيل وتوسيع ارجاء المملكة ودخول شعوب وقبائل عديدة فى الكيان الاسرائيلى وبعضاً من هذه الشعوب قد اعتنق الدين اليهودى لاسيما ان الدولة المسيطرة على هذه الشعوب وهذه الاراضى تتخذ الدين اليهودى (الموسوى) عقيدة لها .

وبعد وفاة سليمان عام ٩٢٧ ق.م انقسمت المملكة الى دولتين صغيرتين احدهما شمالية وتسمى اسرائيل والاخرى جنوبية وتسمى يهوذا . وكانت المملكة الشمالية تضم الاسباط العشرة وهم نسل (روبين ، شمعون ، لاوى ، يساكر ، زبلون ، جاد ، اشير ، يوسف ، دان ، نفتالى) وقد استمرت المملكتان على هذا الانقسام بعد ان استقل (بريعام) من سبط افرايم عن (رحيعام بن سليمان) بعد ان استمررا فى صراع دام خمس سنوات (٩٢٧-٩٢٢ ق.م) واصبحت الدولتان متحاربتين متعادين وظل الحال حتى قضى سرجون الاشورى الاكادى عام ٧٢١ ق.م على المملكة الشمالية وقضى بنوخنصر على المملكة الجنوبية عام ٥٨٦ ق.م وبذلك زالت الى الابد دولة اليهود فى فلسطين بعد حياة يغلب عليها الطابع الدموى العنيف . وكان بنخنصر قد دمر الهيكل واسر جميع من بقى من اليهود من سكانها وارسلهم الى ارض بابل واشور واحل محلهم سكان اخرين فى (يهوذا) جزء من املاك الدولة البابلية وبذلك قضى على استقلال العبرانيين قضاءً مبرماً منذ عام ٥٨٦ ق.م حتى عام ١٩٤٨م قيام دولة اسرائيل القائمة فى العصر الحديث على حساب الحق الفلسطينى .

وقد ظلت هذه الارض تخضع لحكم البابليين حتى قام الفرس عام ٥٣٨ ق.م بالاستيلاء على بابل واصبحت بابل واملاكها جزء من املاك الدولة الفارسية منذ عهد الامبراطور كيراوقورث وقد ساعد الفرس اليهود على العودة الى فلسطين كسكان وشعوب وليس ككيان سياسى ولكن ليمارسوا عقائدهم الدينية وذلك بعد ان كانوا قد قضوا اكثر من نصف قرن فى الاسر البابلى وكان سبب العودة ان الفرس فكروا فى احتلال مصر والسيطرة عليها فاستعانوا بيهود الشتات البابلى ليكونوا عوناً لهم بل وجواسيس على مصر والاقطار المجاورة . ولقد كانت تلك العودة الفارسية التى تمثلت فى استعادة بناء الهيكل قد تعرضت للخطر مراراً فى الاجيال التالية عن طريق الحرب الاهلية اليهودية والخلاف العقائدى .

وجاء القرن الرابع وبالتحديد فى عام ٣٢٢ ق.م عندما دخل الاسكندر المقدونى فلسطين واحتل القدس وطرد الفرس وهكذا نجد انه منذ عام ٧٢٢-٣٢٣ قرابة خمسة قرون من السيادة الفارسية البابلية حتى فتوح الاسكندر الاكبر ثم بعد ذلك خضعت لحكم السلوقيين السوريين والبطالسه المصريين ثم البيزنطيين والاغريق والرومان فقد تششت اليهود الذين اعتنقوا هذه الديانة بين اهل البلاد الاصليين وعاشوا مواطنين لا ينظرون الى فلسطين وطناً لهم .

وفى فلسطين قاوم بقايا الاعداد الصغيرة من اليهود الحضاره الهلينييه وقاموا فى القرن الثانى الميلادى بالثورة المكابيه وكانت هذه الثورة عندما وضع الامبراطور الرومانى تيمثال الاله جوبيتر الى قلب الهيكل وانتقم من اليهود اشد الانتقام وحول الهيكل اليهودى الى دار لعبادة الاله زاوس . وجعل عذاب المخالفين الاعدام لكن لم تكن هناك اية سيادة سياسية يهودية وان كانت هناك فى فترات تاريخية قد استطاعوا اقامة كيان دينى ١٤٠-٦٣ م ، لاسيما بعد أن خضعوا للسيادة الرومانية وتعاونوا معها لكن القائد الرومانى يومبى ، عام ٦٣ م الغى تجمعهم وهيكلهم ، وكانت فترة هارديان الامبراطور الرومانى (١١٧-١٣٨ م) هى فترة اباداة تامه شامله لجميع اليهود فى فلسطين فضاق ذرعاً بثوراتهم واعتزم القضاء عليهم طرداً وابادة وحطم هيكل سليمان للمرة الأخيرة وعلى انقاض المدينة القديمة التى زالت عن وجودها الصبغة اليهودية ابنتى الرومان مدينة جديدة اسموها (ايليا) نسبة الى الامبراطور وعندما تولى الامبراطور قسطنطين عرش الاباطرة عام ٣١٢ م اصبحت ايليا مدينة بيزنطيه وقامت امة الامبراطوره ميلانه عام ٤٢٦ م ببناء كنيسة القيامة وهاجر اليهود جميعاً من فلسطين من بقى منهم حياً ، وللحقيقه والتاريخ فإن وحشية الامبراطورية الرومانيه لم تنصب على اليهود وحدهم بل على كل شعوب الشرق التى قاومت الغزو والسيطرة الرومانية .

وهناك اقوال تذكر خضوع اليهود بنى اسرائيل وبقاياهم فى فلسطين لحكم العرب النبط (الانباط) عام (٩٠ ق.م) وظلوا تابعين لغاصمتهم البتراء حتى غزاها الرومان واحتلوها فى اوائل القرن الاول الميلادى ، واستمرت الاوضاع منذ عام ٤٢٦ ق.م الى عام ٦٣٦ م عندما قدم العرب المسلمون الى فلسطين لتحرير اخوانهم عرب الشام من الاحتلال الرومانى فكان الفتح الاسلامى للبلاد عام ١٥هـ/٦٣٦ م ولكن كانت هناك ضرورة بحثيه علميه تقتضى بعد هذا العرض التاريخى منذ

عام ١٨٠٥ ق.م - الى ٤٢٦ م تاريخ بناء كنيسة القيامة ان تعود الى الورااء قليلاً لكي نؤكد في فصل مستقل عن عروبة فلسطين منذ اربعة الاف عام لكي يتأكد القارئ رغم كل هذه الاحداث فإن الوجه العربى القديم قد ظل هو الوجه الاشمل والاعم في فلسطين وان كانت هناك بقايا يهودية إلا انها لم تكن تشكل الا قطرة في محيط عربى او بالأحرى بقعة سوداء في ثوب ابيض وهكذا كان فصل عروبة فلسطين منذ اربعة الاف عام قبل الميلاد وكيف ان الفرشه العريضة من السكان سواء عند دخول ابراهيم وقومه الى ارض كنعان وخروج حفيدة يعقوب (اسرائيل) واهله الاسباط واتباعهم الى مصر عام ١٧٠٠ ق.م ثم استقرارهم لاربعة اجيال في ارض جاشان من اقليم الشرقية الحالية ثم الخروج من مصر على يد موسى بن عمران (عمرام) عام ١٢٤٢ ق.م ثم التيه في صحراء سيناء طوال اربعين عاماً ثم قيام يشوع بن نون بقيادة بنى اسرائيل والدخول الى كنعان ارض العرب وقتاله سكان المدن بجموع من الجياع تسللوا الى الاراضى ليقيموا فيها فترة زمنية امتدت ما يقرب من مائتى عام وهى من ١٢٠٠-١٠٢٠ ق.م عندما ولى صموئيل الثانى كبير القضاة شاول ملكاً على اسرائيل وفى كل هذه الاحوال كانت كنعان لا زالت فى ايدى اصحابها سياسياً وحضارياً وثقافياً واجتماعياً .

ولم تكن الشعوب الاسرائيلية منذ دخولها ارض كنعان عام ١١٤٨ ق.م إلا شعوباً فلسطينية بجوار شعوب عربية كثيرة ومتعددة العشائر حتى جاء داود عام ١٠٠٠ ق.م ليقيم مملكة اسرائيليه والتفاصيل فى صلب البحث وفى الصفحات السابقه لكن الوجه كان عربياً متصلاً منذ العهد البرونزى (٥٠٠ ق.م) وصولاً الى الهجرات العربية المتتالية فى كل الفترات التاريخية وحتى فى ظل النفوذ البابلى والاشورى والفارسى واليونانى والرومانى والبيزنطى كان الوجه العربى هو الغالب على الحياه فى فلسطين .

الى ان جاء الفتح العربى الاسلامى عام ٦٣٦ هـ/٦٣٦ م لكي يعيد الحياه العربيه ولكن فى صيغة اسلاميه روحيه ويتم تحرير فلسطين من ايدى الرومان وتتوالى القبائل العربيه لكي تلتحم مع اخوة العروبه قبل الاسلام فى كيان عربى واحد متواصلاً والذين يطالعون نص العهد العمرى التى منحها عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين للبطريرك صفرونيوس Sophronius كبير بطاركة

القدس والتي تنص فيها بناء على الرغبة المسيحية بعدم دخول اليهود الى مدينة (ايلياء) القدس (اورشليم) حيث انه لم يكن يعيش فيها في ذلك الوقت سوى اخوان (شخصان) ولم يكن في فلسطين كلها عند الفتح العربى الاسلامى سوى خمس اسر يهودية يشكل مجموعها ما يقرب من اثنين وعشرين فرداً بل انه في القرن الرابع عشر (١٢٢٧) وخلال القرن الخامس عشر والسادس عشر لم يكن عدد اليهود في كل فلسطين يزيد ما بين ٢٥٠ الى ١٥٠٠ فرد وذلك يرجع الى استمرار الاخذ باتفاقية والعهد العمرية ، التي اعطاها عمر بن الخطاب للبطريرك صفرنيوس التي نصت على ان تكون حماية الاماكن المقدسة اسلامية ومسيحية في ايدي المسلمين وقد استمر هذا الوضع مستمراً حتى عام ١٠٩٩ - ١٢٩١م عندما قدمت الحملات الصليبية الى بلاد الاسلام ودام احتلال فلسطين حتى عام ١١٨٧ اثر معركة حطين عندما حرر صلاح الدين القدس وفلسطين من ايدي الصليبيين وظلت كذلك داراً اسلاميه عندما فشل نابليون عام ١٧٩٩م في احتلال عكا وكانت دعوته ليهود العالم للقتال معه لاعادة مملكة القدس القديمة ولم يكن مع بداية القرن التاسع عشر ١٨٠١م في فلسطين سوى ١٨٠٠ فرد فهل هناك حق تاريخي لليهود في الديار العربية الاسلامية لقد ظلت فلسطين عربية اسلامية منذ اربعة الاف سنة قبل الميلاد حتى دخول اللورد النبي فلسطين عام ١٩١٧م وكان المخطط الاستعماري الصليبي المسيحى اليهودى في وعد بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧م وكذلك قرار التقسيم بين العرب الفلسطينيين واليهود من اجل تقسيم فلسطين وقيام الدولة العبرية اليهودية الاسرائيلية في ١٧ مايو ١٩٤٨ ، وكانت اتفاقية السلام بين السادات واسرائيل في مارس ١٩٧٩م لكي تعترف مصر حكومة لا شعباً باسرائيل دولة في الشرق الاوسط ولا زال الصراع مستمراً ولا زالت اتفاقيات السلام مدريد ، ووسلوا ، واتفاقيات الاردن ورغم مضي ما يقرب من عشرين عاماً (١٩٧٩-١٩٩٩م) دون أن يتحقق سلام طبيعي وهل يكون سلام الا في ظل اقامة الدولة العربية الفلسطينية من النهر (الاردن) الى البحر الابيض المتوسط دولة تضم المسلمين والمسيحيين واليهود .

وذلك لأن فلسطين تشكل ذاكرة الامة العربيه والاسلاميه لأن ضياعها يعنى ضياع المقدسات والتاريخ والحضاره لدى الاجيال التى عاشت ظروف النكبه الكبرى باحتلال فلسطين من قبل العصابات الصهيونيه وقيام الدوله المزعومه اسرائيل عام ١٩٤٨ م .

وليعلم القارئ الكريم اننى من جيل شهر النكبه الكبرى عام ١٩٤٨ م والمؤامره الثلاثيه الدنيه عام ١٩٥٦ م والنكسه التى دبرتها القوى العالميه الغربيه عام ١٩٦٧ م وكذلك الانتصار العظيم فى العاشر من رمضان ١٣٩٢ هـ / ٦ اكتوبر ١٩٧٣ م كما اننى من جيل كان الصراع العربى - الاسرائيلى وسيظل بالنسبه له جزءاً رئيسياً من معادله الحياه لقد ظلت صور الارهاب الاسرائيلى التى سردت بعضاً منها فى الفصل الاخير من هذه الدراسه تمثل صدمات متواصله للنفس العربيه الاسلاميه ولاسيما صورته دير ياسين وصبرا وشتيلا وفانا وانباء الاغتيالات عبر عقود خمس جزء من الذاكره الجماعيه للشعب المصرى والعربى خاصه ان العدد لم يكتف بالاستيلاء على الارض ولكنه حاول دائماً تمزيق النفس العربيه بالاذلال المستمر والاهانات المقصوده ومن هنا كانت حساسيتى بالنسبه لاسرائيل حساسيه فائقه لذى كان تأليفى كتاب اسرائيل الى زوال الذى طبع عام ١٩٩٦ م وهذا كتاب (هل لاسرائيل حق تاريخى فى فلسطين بين يدي القراء) ثم كتاب شعوب اسرائيل وخرافة الانتساب للساميه الذى سادف به قريباً جداً للطباعه على ان تلحقه باذن الله كتابات اخرى عن القضية الفلسطينيه وحتى تكون فلسطين والمسجد الاقصى كما ذكره القرآن الكريم مذكوراً فى الذاكره العربيه الاسلاميه حتى يعود الحق لاصحابه الشرعيين مهما طالت الايام وتوالت الاجيال فلا بد ان تكون فلسطين عربيه كما عادت الجزائر عربيه اسلاميه بعد اكثر من مائه وثلاثين عاماً (١٨٣١ - ١٩٦٢ م) .

المراجع التربية والاجنبية

اولاً: المراجع العربية

- (١) اسحاق موسى الحسينى : عروبة بيت المقدس . القاهرة ، ١٩٦٨ م .
- (٢) ابراهيم خليل احمد : اسرائيل فتنة الاجيال . القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- (٣) ابراهيم خليل احمد : مقارنة الاديان . القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- (٤) ابراهيم خليل احمد : اسرائيل والتلمود . القاهرة ، ١٩٦٤ م .
- (٥) ابراهيم الحمصانى : اسرائيل قاعدة عدوانيه . القاهرة ، د.ت .
- (٦) احمد سويلم العمرى : الشرق الاوسط ومشكلة فلسطين ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .
- (٧) احمد شلبى : اليهودية ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- (٨) احمد محمد بدوى : فى موكب الشمس : القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- (٩) احمد فخرى : مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .
- (١٠) احمد سوسه : العرب واليهود فى التاريخ : القاهرة ، د.ت .
- (١١) اسعد رزق : الدين والدولة فى اسرائيل ، بيروت ، د.ت .
- (١٢) اكرم لمعى : الاختراق الصهيونى للمسيحية . القاهرة ، ١٩٥٢ م .
- (١٣) اكزم زعيتر : القضية الفلسطينية . القاهرة ، ١٩٥٠ م .
- (١٤) ارنولد تويبى : فلسطين جريمة ودفاع ، ترجمة عمر الديرادى . بيروت ، د.ت .
- (١٥) امين الحسينى : حقائق عن قضية فلسطين ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .
- (١٦) السيد محمد عاشور : الربا عند اليهود : القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- (١٧) ارثر كيسلر : القبيلة الثالثة عشره : ترجمة : احمد نجيب هاشم . القاهرة ، ١٩٩١ م .
- (١٨) امين ساعاتى : الامن القومى العربى . القاهرة ، ١٩٩٢ م .
- (١٩) بدران محمد بدران : التوراة . القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- (٢٠) برجير المير : اليهودية دين لا قومية . القاهرة ، د.ت .
- (٢١) برجير المير : اسرائيل باطل يجب ان يزول : ترجمة : اميل بيدرس . بيروت ، د.ت .
- (٢٢) برستد ، هنرى : تاريخ مصر من اقدم العصور الى الفتح الفارسى . ترجمة : حسن كامل . القاهرة ، د.ت .
- (٢٣) جمال حمدان : اليهود انثربولوجياً . القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- (٢٤) حسام سويلم : دفاعاً عن المسجد الاقصى ، جريدة الاهرام القاهرية ، مارس ، ١٩٩٦ م .
- (٢٥) خلف محمد الحسينى : اليهودية بين المسيحية والإسلام . القاهرة ، ١٩٦٤ م .
- (٢٦) سعدى بسبسو : الصهيونية ، دراسة علمية . القاهرة ، د.ت .
- (٢٧) شفيق ارشيدات : فلسطين تاريخياً . بيروت ، ١٩٦٢ م .
- (٢٨) شاكر عمار : العرب واسرائيل . بيروت ، ١٩٥٤ م .
- (٢٩) شيركمدان : هؤلاء الصهيونيون . تعريب شفيق شالاتى : بيروت ، د.ت .
- (٣٠) سعيد عبد الفتاح عاشور : اوربا العصور الوسطى . القاهرة ، ١٩٥٨ م .

(٢) مصادر هامة :

- (٣١) القرآن الكريم .
- (٣٢) التوراة (العهد القديم) .
- (٣٣) الانجيل (الاربع) العهد القديم .
- (٣٤) عباس محمود العقاد : ابو الانبياء الخليل ابراهيم . القاهرة ١٩٧٣ م .
- (٣٥) عباس محمود العقاد : الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبرانيين . القاهرة ، د.ت .
- (٣٦) حسن ظاظا : اليهود ليسوا تجاراً بالتشاة . القاهرة ، ١٩٧٥ م .
- (٣٧) طارق العمارى : اسرار المعبد اليهودى : القاهرة ١٩٩٤ م .
- (٣٨) عبد الجليل شلبى : اليهود واليهودية . القاهرة ١٩٩٧ م .
- (٣٩) عبد الخالق عبد الله جبه : عروبة القدس فى الفكر الصهيونى ، الاهرام ابريل ١٩٩٧ م القاهرة .
- (٤٠) صالح مسعود أبو صير : جهاد شعب فلسطين . بيروت ، ١٩٧١ م .
- (٤١) عارف العارف : نكبة بيت المقدس : بيروت . د.ت .
- (٤٢) عارف العارف : المفضل فى تاريخ القدس . القدس . ١٩٩١ م .
- (٤٣) ظفر الاسلام خان : تاريخ فلسطين القديم . بيروت ، ١٩٧٣ م .
- (٤٤) ظفر الاسلام خان : التلمود تاريخه وتعاليمه ، بيروت ، ١٩٧٢ م .
- (٤٥) طه باقر : مقدمه فى تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ، ١٩٥٦ م .
- (٤٦) سهل دميت : التوراة ، تاريخها وغاياتها ، بيروت ، ١٩٧٢ م .
- (٤٧) صبرى جرجس : التراث اليهودى الصهيونى . القاهرة . ١٩٧٠ م .
- (٤٨) عبد العزيز عبد الدايم : بيت المقدس فى العصر الايويى . القاهرة ١٩٨٩ م .
- (٤٩) اسعد رزق : التلمود والصهيونية ، بيروت ، ١٩٧٢ م .
- (٥٠) عباس عمار : المدخل الشرقى لمصر . القاهرة ، الجمعية الجغرافية . ١٩٤٥ م .
- (٥١) سامى الاسعد : الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية . بيروت . د.ت .
- (٥٢) جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام . القاهرة ١٩٥٣ م .
- (٥٣) ستيمفر ريتشارد : اسرائيل . وجنوب افريقيا ، القاهرة مصلحة الاستعلامات . د.ت .

- (٥٤) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة . القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- (٥٥) عبد الفتاح مقلد : عروية مصر قبل الاسلام . القاهرة ، ١٩٩٣ م .
- (٥٦) عبد الفتاح مقلد الفنىمى : عروية فلسطين منذ اربعة الاف عام قبل الميلاد . الامرام ، القاهرة .
- (٥٧) عبد الفتاح مقلد الفنىمى : اسرائيل الى زوال ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .
- (٥٨) عبد الفتاح مقلد الفنىمى : شعوب اسرائيل وخرافة الانتساب للسامية . تحت الطبع .
- (٥٩) عبد القادر ياسين وآخرون : المقاومة الفلسطينية . بيروت ، ١٩٧١ م .
- (٦٠) عز الدين فوده : قضية القدس : القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- (٦١) عبد الله التل : خطر الصهيونية العالمية على الاسلام والمسيحية . القاهرة ١٩٦٤ م .
- (٦٢) على حسن الخربوطى : بين المغول واليهود . القاهرة ١٩٦٩ م .
- (٦٣) على محمد على : فلسطين ماضيها العربى وحاضرها الصهيونى : القاهرة ، ١٩٦٢ م .
- (٦٤) عبد الوهاب المسيرى : التراث اليهودى الصهيونى : القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- (٦٥) عبد الوهاب المسيرى : الايديولوجية الصهيونية : الكويت ، ١٩٨٢ م .
- (٦٦) فايز صايغ : النزاع العربى الاسرائيلى . القاهرة ، مصلحة الاستعلامات . د.ت .
- (٦٧) فتحى الرملى : الصهيونية اعلى مراحل الاستعمار : القاهرة ، ١٩٧٢ م .
- (٦٨) فؤاد حسنين على : اليهودية واليهودية المسيحية : القاهرة ١٩٦٨ م .
- (٦٩) فؤاد حسنين على : الادب اليهودى المعاصر : القاهرة ، ١٩٧٢ م .
- (٧٠) فؤاد حسنين على : المجتمع اليهودى منذ تشريده حتى اليوم : القاهرة ١٩٦٧ م .
- (٧١) فيليب حتى : تاريخ العرب . بيروت ، ١٩٤٩ م .
- (٧٢) على عبد الواحد وافى : اليهودية واليهود : القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- (٧٣) سليم حسن : الادب المصرى القديم : القاهرة ، ١٩٥٦ م .
- (٧٤) محمد خليفة التونسى : بروتوكولات حكماء صهيون : القاهرة . د.ت .
- (٧٥) محمد مبروك نافع : تاريخ العرب عصر ما قبل الاسلام . القاهرة ، ١٩٥٢ م .
- (٧٦) غوستاف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضارات الاولى : القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- (٧٧) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة : كمال البازجى ، بيروت ، ١٩٥٩ م .
- (٧٨) محمود العابدى : عروية الاماكن والبقاع المقدسة فى فلسطين ، المؤثر الجغرافى الاول ، ١٩٧٩ . القاهرة .

- (٧٩) محمد طلعت العنيمى . قضية فلسطين امام القانون الدولى . الاسكندرية ، ١٩٦١ م .
- (٨٠) محمد على علوبه : فلسطين والضمير الانسانى . القاهرة . د.ت .
- (٨١) محمد فوزى وعمر رشدى : الصهيونية وريبتها اسرائيل ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .
- (٨٢) فاليتوفسكى ، نادىوس : اسرائيل وجمهورية المانيا الاتحادية . القاهرة ، الاستعلامات . د.ت .
- (٨٣) ول دبورانت : قضية الحضارة . ترجمة : محمد بدران ، القاهرة . د.ت .
- (٨٤) لى ستراىج : فلسطين فى العهد الاسلامى . ترجمة : محمد عمأيره : عمان ، ١٩٧٠ م .
- (٨٥) هانى الهندى : اسرائيل ، فكرة ، حركة ، دولة . القاهرة : د.ت .
- (٨٦) محمد عوض محمد : الاستعمار والمذاهب الاستعمارية . القاهرة ، ١٩٦١ م .
- (٨٧) محمود دياب : الصهيونية العالمية : القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- (٨٨) كامل سغفان : اليهود ، تاريخ وعقيدة ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .
- (٨٩) يورى ايفانوف : الصهيونية . خدار : ترجمة : ماهر عسل ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- (٩٠) محمود كامل : العرب ، تاريخهم بين الوحدة والفرقة ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .
- (٩١) محمد حسين هيكى : حياة محمد : القاهرة ، ١٩٨٥ م .
- (٩٢) محمود شيت خطاب : اهداف اسرائيل التوسيعية فى البلاد العربية : القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- (٩٣) مجموعة مؤرخين . النزاع العربى الاسرائيلى ، القاهرة ١٩٧٥ م .
- (٩٤) لاندور ، چاكوب : العرب داخل اسرائيل ، القاهرة مصلحة الاستعلامات . د.ت .
- (٩٥) وايزمان ب.د : النزاع الاسرائيلى العربى ، القاهرة ، الاستعلامات . د.ت .
- (٩٦) وحيد عبد الحميد : اليهود والعرب فى اسرائيل : القاهرة ١٩٧٨ م .
- (٩٧) مركز دراسات الشرق الاوسط : مسألة القدس : القاهرة ، ١٩٩٥ م .
- (٩٨) مركز دراسات الشرق الاوسط : اسرائيل والتسوية السلمية ، القاهرة ، ١٩٩١ م .
- (٩٩) جامعة الدول العربية : الاقليات العربية فى اسرائيل . القاهرة ، ١٩٦٠ م .
- (١٠٠) صموئيل أنتجير : اليهود فى البلدان الاسلامية ، ترجمة جمال الرفاعى . الكويت ، ١٩٩٥ م .
- (١٠١) چوئانان ربلى سميث : الحملة الصليبية الاولى . ترجمة : محمد الشاعر . القاهرة ، ١٩٩٣ م .

(٣) المراجع الأجنبية :

- 1- Ben Halpern : The idea of Jewish state , massachuset ., 1961 .
- 2- Barton ,w. : Asocial and Religious History of the Jews , N . Y . 1957 .
- 3- Brandeis,L : On Zionism , New York ., 1942 .
- 4- Breasted : Religion and thought in ancient Egypt , London , 1942 .
- 5- Buxton , D. : Thepeoples of Asia : London , 1925 .
- 6- Clay , A . The empire of Amorites , London , 1919 .
- 7- Coon , C.S : The Races of Europe . New York , 1939 .
- 8- Encyclopaeildia of Europe . New York , 1939 .
- 9- Hall , H.R : The Ancient history of near East ., London , 1913 .
- 10- Huntington , E : Palestine and its transformation . Boston , 1919 .
- 11- Hurewitz , G L : The Struggle for qlestine . N.Y : 1950 .
- 12- Garaudg , R : The Case of Isreal . London , 1983 .
- 13- Levenberg , S : The Jews And Palestine ; London . 1954 .
- 14- 14- Lilienthal , A : What pric Isreal . U.S.A. No . date .
- 15- Lilienthal , A . There Goes the Middle east . U.S.A . N.D .
- 16- Maspero , G : Histiore an cienne despeoples de'l , orient classigue , Paris , 1847 .
- 17- Gardiner . A.H. The Egyptian origin of the senitie Alphabet . London , 1958.
- 18- Milmon , History of Jews . London , 1958 .
- 19- Montgomery , J : Arabia and the Bible . London , 1919 .

- 20- Moret , H. : Au Temps despharaons . Paris 1922 .
- 21- Jones , K , : Moses and Montheism . London , 1940 .
- 22- Gkatz , P . : History of the Jews , U.S.A . 1940 .
- 23- Roth , C . : History of Jews . N.Y . 1963 .
- 24- Ripley , W.Z . : The : The Races of Europe . London 1900 .
- 25- Ausubel , N . : The Book of Jewish Knowledge . N.N. 1964 .
- 26- Simon , L . : Studies of the Jewsish Nationalism , London , 1920 .
- 27- Sacher , H.M. : The caurvse OF JEWISH HISTORY , LONDON 1962 .
- 28- SOKOLOU , N : HISTORY OF ZIONISM . MOSCKO , 1988 .
- 29- OLMSTEDA , H.T : History of peralan Empire ; London , 1950 .
- 30- Stien , L : Zionism , London , 1925 .
- 31- The Cambridge Ancient History , 1930 .
- 32- The Cambridge medieval History , 1932 .
- 33- The Diaries of the theoder Harzl . 1918 .
- 34- Weingrad , A : Isrel Group Relations in new society , London , 1955 .

كتب صدر للمؤلف

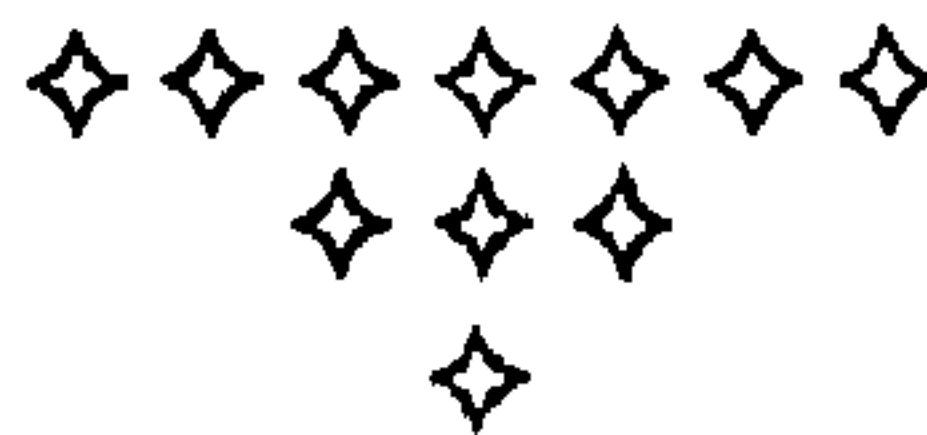
- ١- موسوعة المغرب العربى . ستة اجزاء . بيروت . مكتبة مدبولى . ١٩٩٤ م .
 - ٢- الحضارة الاسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين . القاهرة مكتبة مدبولى . ١٩٩٥ م .
 - ٣- الاسلام وحضارته فى وسط افريقيا . بيروت ، مكتبة مدبولى . ١٩٩٦ م .
 - ٤- الاسلام والثقافة العربية فى اوربا . القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٩ م .
 - ٥- معركة بلاط الشهداء فى التاريخ الاسلامى والادبى . القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٦ م .
 - ٦- الاسلام والمسلمون فى شرق افريقيا ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٨ م .
 - ٧- اسرائيل إلى زوال . القاهرة ، دار الامين ، ١٩٩٦ م .
 - ٨- الاسلام والمسلمون فى جمهوريات آسيا الوسطى . القاهرة ، دار الامين ، ١٩٩٦ م .
 - ٩- الاسلام والعروبة فى السودان ، القاهرة ، مكتبة العربى ، ١٩٨٥ م .
 - ١٠- حركة المد الاسلامى فى غرب افريقيا ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٦ م .
 - ١١- الاسلام والمسلمون فى جزر البحر المتوسط ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٦ م .
 - ١٢- دور مصر الحضارى فى القارة الافريقية . دار الموقف العربى ، ١٩٩٣ م .
 - ١٣- عروبة مصر قبل الإسلام . دار الاشعاع ، ١٩٩٣ م .
 - ١٤- كيف ضاع الاسلام من الاندلس . دار الاشعاع ، ١٩٩٣ م .
 - ١٥- جمال حمدان فى ذاكرة التاريخ . دار الاشعاع ، ١٩٩٣ م .
- وقد ترجم بعض من هذه الكتب الى اللغة اليابانية والانجليزية .
- والمؤلف اكثر من الف مقال فى العديد من الصحف والمجلات المصرية والعربية والإسلامية فى مختلف اقطار العالم الاسلامى .
- السعودية ، الكويت ، المغرب ، مصر ، اليمن ، الامارات العربية ، الهند .
- كتب فى : الاهرام ، النذرة ، المدينة المنورة ، عكاظ ، اخبار العالم الاسلامى ، العالم اليوم ، مجلة رابطة العالم الاسلامى ، مجلة التضامن الاسلامى ، مجلة الفيصل ، مجلة الدعوة ، مجلة العرب ، مجلة الوعي الاسلامى ، مجلة البلاغ الكويت ، مجلة قافلة الزيت ، مجلة منار الاسلام ، مجلة الضياء ، مجلة الارشاد ، مجلة دعوة الحق ، مجلة الرائد .

كتب تحت الطبع :

- ١- شعوب اسرائيل وخرافة الانتساب للسامية .
- ٢- حرب اكتوبر برة تاريخ العرب الحديث .
- ٣- العرب بين القومية والاقليمية والشرق اوسطيه .
- ٤- موسوعة التاريخ الإسلامى ١٠ اجزاء .

الفهرس

٧ص.....	التمهيد
١٢ص.....	المقدمة
	الفصل الاول :
٢٢ص.....	ليس لليهود حق تاريخى فى فلسطين
	الفصل الثانى :
٤٥ص.....	سكان فلسطين منذ اقدم العصور حتى قدوم العبرانيين
	الفصل الثالث :
٦٧ص.....	ظهور العبرانيين على مسرح الاحداث
	الفصل الرابع :
٧٩ص.....	نزوح يعقوب (اسرائيل) وابناؤه الى مصر الاسباط الاثنى عشر
	الفصل الخامس :
٩١ص.....	خروج الاسرائيليين من مصر
	الفصل السادس :
١٠١ص.....	بنو اسرائيل والصراع مع الكنعانيين من اجل احتلال فلسطين
	الفصل السابع :
١١٣ص.....	مملكة داود وابنه سليمان فى فلسطين (١٠٠٠ - ٩٢٧ ق م)
	الفصل الثامن :
	انقسام المملكة الاسرائيلية وبداية الانهيار (٩٢٧ ق م) .
١٢٩ص.....	« الغزو البابلى والاشورى والمصرى »
	الفصل التاسع :
١٤٣ص.....	بنو اسرائيل فى ظل الحكم الفارسى والرومانى
	الفصل العاشر :
١٥٧ص.....	عروبة فلسطين منذ اربعة الاف عام قبل الميلاد
	الفصل الحادى عشر :
١٧٥ص.....	فلسطين فى ظل الاسلام
	الفصل الثانى عشر :
١٨١ص.....	الارهاب والعدوان الاسرائيلى ضد الشعب الفلسطينى
١٨٧ص.....	الخاتمة
١٩٩ص.....	المصادر العربية والاجنبية

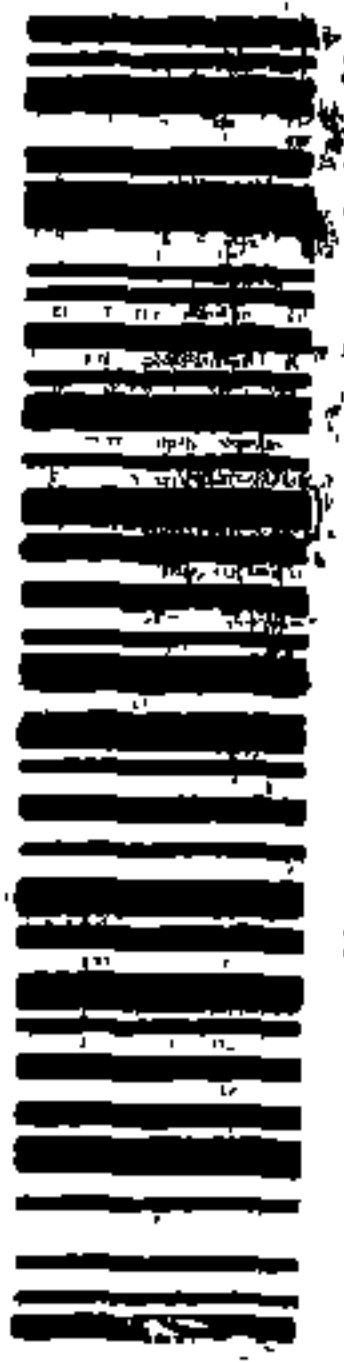


رقم الإيداع ٢٠٠٠/٢٩٩٩

I.S.B.N

977-319-021-8

Bibliotheca Alexandrina



03533858



٦٠ شارع قصر العينى (١١٤٥١) القاهرة
تليفون : ٣٥٥٤٥٢٩ - ٥٩٤١٩٤٣
فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦
٤٢ ميدان البصرة
شارع دجلة من شهاب - المهندسين
تليفون وفاكس : ٧٤٩٢١٤٥

E-Mail: alarabi5@intouch.com